



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور - خنشلة-



كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

الشعبة: اللغة والأدب العربي

التخصص: أدب حديث ومعاصر

سرديّة الخوف

في رواية تماضت... دم النسيان - الحبيب السائح

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال مواد شهادة الماستر

إشراف الدكتورة:

سمية فالق

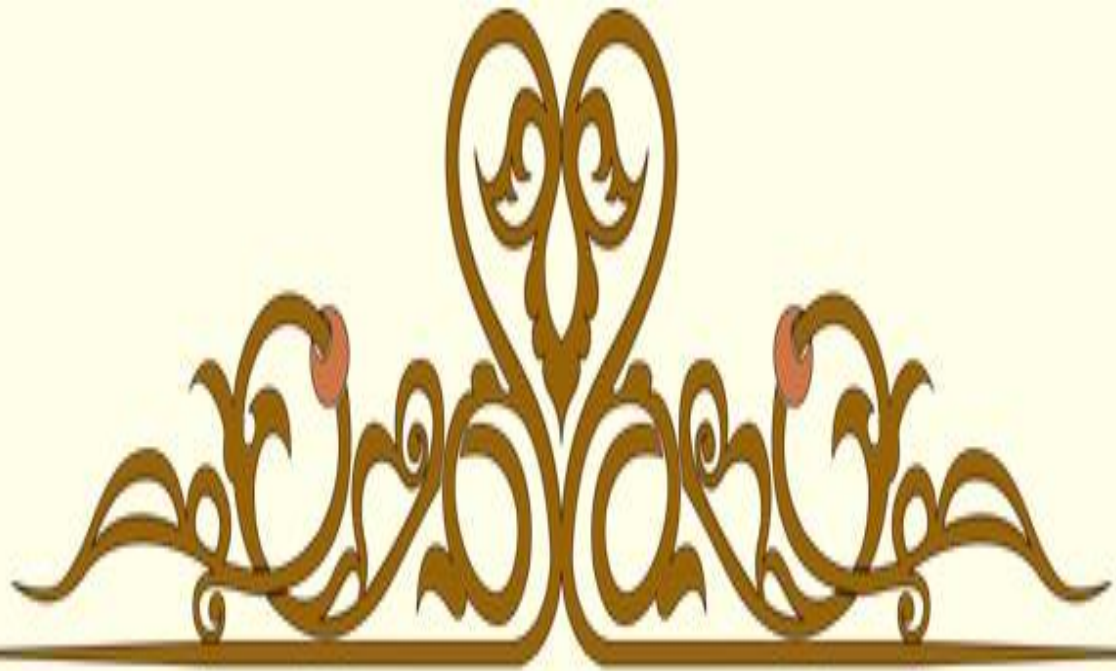
إعداد الطالبة:

- نور الهدى زروال

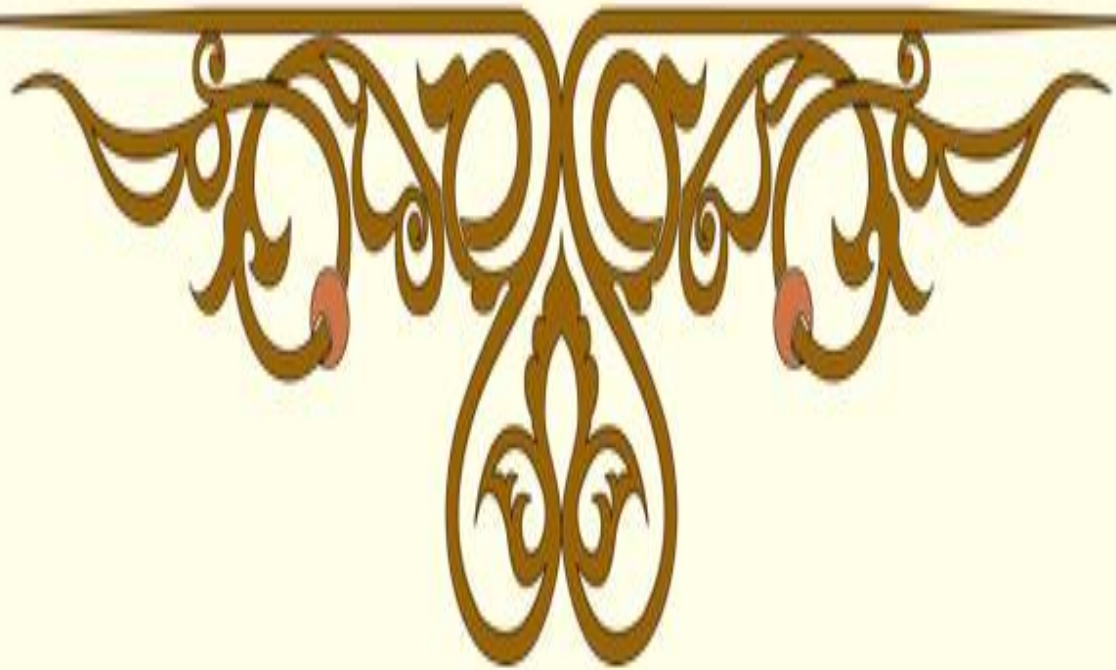
أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
عبد الحميد ختالة	أستاذ محاضر - أ-	جامعة عباس لغرور - خنشلة-	رئيسا
سمية فالق	أستاذ محاضر - أ-	جامعة عباس لغرور - خنشلة-	مشرفا ومقررا
نبيل قواس	أستاذ مساعد - ب-	جامعة عباس لغرور - خنشلة-	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2018 / 2019



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





مقدمة



مقدمة

تعتبر الرواية من أكثر الفنون الأدبية طواعية لمعالجة هموم الإنسان المعاصر، فهي مرآة عاكسة له، وجنس يعبر بشيء من الامتياز عن مؤسسات المجموعة الاجتماعية بنوع من رؤية العالم التي تجرفها معها، بما تحتويه من صراعات وتناقضات وقضايا الهيئة الاجتماعية، خاصة وأن الكاتب يسرد أحداثها وفق تصوره ويتلاعب بالأزمنة استباقا واسترجاعا، ويتحرك في فضاءاتها دون أن تحده حدود أو تعيقه حواجز، متخذا من متنها أرضية خصبة لمتخيل واقعي كثيف الدلالة.

ولقد عاشت الرواية الجزائرية مرحلة من التعقيد خلال فترة التسعينيات أين عصفت الفاجعة بالجزائر والجزائريين طيلة عشرية كاملة عرفت إعلاميا بـ "سنين الدم والنار"، "العشرية السوداء" وغيرها من تسميات التي حملت طابع المأساة والتأزم.

من هذا المنطلق حاولنا تقصي عوالم الشخصيات الداخلية والكشف عن أوجاعها واسترجاع اتزانها وتخليصها من إضرابها، ليظهر هاجس الخوف كأكثر حالة إخلالا بالعالم الباطني لشخصية الروائية.

ورغبة منا في استظهار تجليات دال الخوف بوصفه ذو أبعاد متباينة إرتائينا اختيار رواية جزائرية مشحونة بهذا الهاجس المستعصي، وهي رواية للروائي "الحبيب سائح" والموسومة بـ: "تماسخت... دم النسيان"، وقد كان هدفنا الرئيسي لاختيار هذا هو محاولة اقتحام عالم الرواية المتشابك والنظر إليها بمنظار علم النفس، والحفر في تراكماتها الباطنية وكشف ما تخفيه بين سطورها، من أجل الوقوف عند حدود مضامينها الخفية، ورغبة في معرفة الصلة التي تجمع بين هاجس الخوف وبنيات السرد، وهذا ما جعلنا نعنون بحثنا بـ:

"سردية الخوف في رواية 'تماسخت... دم النسيان' للحبيب السائح"

وكذا تسليط الضوء على فترة حرجة من تاريخ الجزائر التسعينيات الغارقة في وحل الفتنة وبرك الدم ومستنقعات التعذيب والتتكيل، التي كان فيها الفرد الجزائري ضحية للإغتصاب الوجودي والاضطراب النفسي والانفعال الذاتي والاغتراب الكياني، والذي ظهر جليا في

مقدمة

خطاب "تماسخت... دم النسيان" والتي كانت مركزا نستقصي من خلاله تجليات خطاب
الخوف.

وقد انطلقت دراستنا من جملة تساؤلات شغلت فكرنا حول هذه الدراسة، ومن بينها:

- ماهي دلالات الخوف وأبعاد صناعته، وماهي أهم أشكاله؟

- كيف تمثل هاجس الخوف في شخصيات الروائية زمكها، وهل كان له تأثير في لغة
السرد بنية الرواية؟

- هل استطاع الحبيب سائح من خلال روايته هذه أن صورة منسجمة دالة على وضع
الجزائر خلال محنتها انطلاقا من هاجس الخوف؟

- ماهي المضامين الدالة على هاجس وآليات المقاومة؟

ونظر لطبيعة الموضوع الذي اخترناه، والذي يقترب من الظاهر السردية في رواية
"تماسخت... دم النسيان" ومحاولة الكشف عن مظهرات دال الخوف وتأثيره في البنية
السردية، اعتمدنا على المنهج البنيوي الذي ينظر الي الهندسة الداخلية الأعمال الأدبية،
بما يتضمنه مكن عناصر سردية، والمنهج النفسي الذي يكشف عن ماهية الخوف وآثاره
في نفسية وكذا تأثيره في المحيط الخارجي له، إضافة إلى المنهج التاريخي والوصفي
وآليات المقاربة التحليلية .

وقد صممنا هيكل للبحث انطلقت من مدخل عرضنا من خلاله دال الخوف "المفهوم
المصطلح"، أهم أشكاله ووقفنا على أهم أبعاد صناعته ومدى تأثيره وأهميته في حياة الفرد
والجماعة، جاء الفصل الأول موسوما ب "تجليات خطاب الخوف في البنية السردية"، ركزنا
فيه على كيفية تجلي هاجس خوف عبر الشخصيات وتأثيره في الأمكنة والأزمنة على
تنوعها مع الوقوف على مفاهيمها وإستبتيان مواضع الخوف فيها.

مقدمة

أما الفصل الثاني فقد جاء معنونا في "الخوف وآلية المقاومة" على عالجنا من خلاله اضطراب النفس وتقلباتها نتيجة هاجس الخوف بإطلاعها على مجموعة آليات للخلاص من الخوف أو التقليل منه وإرجاع الذات إلى استقرارها واتزانها، وذلينا البحث بخاتمة أوجزنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها، وأعقبنا بقائمة المصادر والمراجع.

وقد اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع شكلت زادا هذا البحث العلمي منها المصدر الأم وهي المدونة محل الدراسة "تماسخت... دم النسيان" إضافة إلى جملة من المراجع منها:

1-سياسيولوجيا الرهبة والأنا القومية وأنماط ثقافة الخوف لمنير الحائط.

2-بناء الرواية لسيزا قاسم.

3-خطاب الحكاية لجيرار جينيت.

4-تحليل الخطاب (زمن - السرد - التبئير) لسعيد يقطين.

أما عن صعوبات فبرغم من استحالة ورود أي بحث بدون أي عقبات إلا أنني لم أواجه أي حمد الله .

وفي نهاية نأمل أن يكون هذا العمل العلمي فاتحة لدراسات أخرى والبحث فيها من منظور أشمل وأوسع

والحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة ومنا علينا بفضل.

وأقدم بجزيل الشكر والعرفان "لدكتورة فائق سمية" التي أشرفت عليا، وإليها يرجع الفضل في وصول العمل إلى شكله النهائي، إذ لم تبخل عليا بتوجيهاتها ونصائحها الثمينة، ونخلل شكرا خاص للجنة المناقشة التي ستقوم بإثراء هذه المذكرة وتقويمها ولهم مني آيات التبجيل والاحترام

والحمد لله الذي وفقنا لإتمام هذا العمل والصلاة وسلام على سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم.

المدخل

الخوف (المفهوم والمصطلح)

1- ماهية الخوف:

1-1- المدلول اللغوي للخوف.

2-1- الخوف في القرآن الكريم والسنة النبوية.

3-1- الخوف في النقد النفسي.

4-1- المدلول الاصطلاحي للخوف.

2- ثقافة الخوف وتجلياتها.

3- أشكال الخوف:

1. الخوف الطبيعي.

2. الخوف المرضي "الفوبيا"

4- أبعاد صناعة الخوف

1-4- البيئة الثقافية للخوف:

2-4- البيئة الاجتماعية للتنشئة الرهابية:

3-4- البيئة الدينية للتنشئة الرهابية "لاهوت الخوف":

4-4- البيئة السياسية للتنشئة الرهابية:

المدخل: الخوف (المفهوم والمصطلح)

تعتبر الرواية من أهم الأجناس الأدبية التي رسمت صورة واضحة للمجتمع الذي روت عنه، فهي البنت الشرعية له، لأنها تحمل في طياتها تعبير صريح لحالة حياة أفرادها، وتنقل تجاربهم عبر الأزمان من خلال الغوص في جوانب الحياة المختلفة، لهذا فهي تتوازي في ضمن محتواها الشكلي والمضموني مع المجتمع، وتتحرك مع معطيات العصر ولا يعني ذلك أنها مجرد تابع وراصد للأحداث التاريخية ومتغيرات الواقع وأنها مجرد وسيلة لتأريخ الاجتماعي والتاريخي، بل هي فن يلعب دوراً هاماً في الإشارة بالمقتطفات الحادة والمتغيرات الحادثة قبل حدوثها، فهي تأسيس للماضي وتوثيق للحاضر وتطلع للمستقبل.

وبهذا أصبحت الرواية ذاكرة الإنسان التي تحميه من نسيان وجوده وذاته في خضم هذا العالم المتسارع الموقد بالحركة والتغيير، الذي لا يهتم من حاضره إلا نسيان ماض ترك علامة سوداء في أعماق أعماقه، وتصبح على هذا الأساس، كينونة الرواية ووجودها مقترن بكشف ألا مكشوف بحثها عما ليس موجوداً في الوجود "لا بد للرواية أن تحاول دائماً إيقاظ ما قد تم إهماله أو إسقاطه أو تجاهله من قيم لا تستقيم الحياة بدونها"¹.

فالرواية تأخذ قيمتها إذا ما ارتبطت بالسياق الاجتماعي القائم، تحلله ونطرح إيجابياته وتكشف سلبياته.

وعلى هذا الأساس تعرّف الرواية بأنها الجنس الأدبي المفتوح على كلّ طوائف المجتمع والأجناس وحتى على مختلف اللغات واللهجات الاجتماعية، بل إن الشيء الذي يجعلها جنس متميزاً حسب -ميخائيل باختين- هو ذلك: "التنوع الاجتماعي للغات، وأحياناً للغات والأصوات الفردية تنوعاً منتظماً أدبياً"².

¹ - عبد الرحيم محمد عبد الرحيم، دراسات في الرواية العربية، دار الحقيقة للإعلام الدولي، ط1، 1990، ص2.

² - ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، جدار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1987، ص39.

المدخل:..... الخوف (المفهوم والمصطلح)

وفي الآونة الأخيرة تحولت الرواية إلى أداة للوعي بمصير الإنسان وقضاياه، فهي مرآة عاكسة للمجتمع بكل تفاصيله المرضي عنها والمسخوط عليها "فالرواية كتابة نثرية تصوّر الحياة، كما أنها الشكل الأدبي الذي يقوم مقام المرآة العاكسة، مادتها إنسان في المجتمع وأحداثها نتيجة لصراع الفرد، مدفوعاً برغباته ومثله، ضد الآخرين، وربما ضد مثلهم أيضاً، وينتج عن صراع الإنسان هذا [...] خروج القارئ بفلسفة ما أو رؤيا عن الإنسانية"¹.

لقد رصدت الرواية العربية مختلف التحولات التي طرأت على البنية التحتية وانعكاساتها على البيئة الفوقية الثقافية، وصوّرت جوانب متعددة من حياة الشعب العربي، ويظهر ذلك في كثير من الأعمال الروائية التي لا تزال شاهدة على أهم التغيرات الاجتماعية والقضايا السياسية التي مرّ بها الوطن العربي، والتي عالجت بجرأة أهم الوقائع التي مرّت بها الساحة العربية، ونذكر منها ما كتبه الروائي "حيدر حيدر" من سوريا، والذي كان أكثر نقمة على الواقع العربي في روايته "مرايا النار 1992" حيث عالج فيها ما أصاب الأمة العربية عامة والعراق خاصة بعد حرب الخليج من "تصدع وتفكك لذرات المتماسكة، وانهيار لتاريخ، وانشقاق لجغرافية جسدين كان من الممكن أن يكونا جسداً واحداً في وقت آخر...نحن لاشيء في زمن العار"²، كما رسمت رواية "باب الشمس 1998" الواقع الفلسطيني، وعنف التاريخ الذي كتب حكاية الفلسطيني بحروف من دمه، إنها حكاية فلسطين الكبرى، التي تتناسل منها عشرات الحكايات "فقد عاشوه منذ انطلاقة الثورة، وقدموا تضحيات كثيرة على أمل العودة إلى بيوتهم وأوطانهم، لكنهم تعبوا من الهزائم والتضحيات التي ذهبت أدراج الرياح، فقد سئموا من ربط حياتهم بهذا المؤقت الذي آن له أن يصبح دائماً"³.

1- عبد الرحيم محمد عبد الرحيم، دراسات في الرواية العربية، ص3.

2- حيدر حيدر، مرايا النار، دار ورد للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط3، 2000، ص80.

3- إلياس خوري، باب الشمس، دار الآداب، لبنان، ط6، 2000، ص129.

المدخل:..... الخوف (المفهوم والمصطلح)

وغيرها من الروايات التي كانت بمثابة القاطرة التي تحمل تصدع المجتمع، وتصور تشظي الذات، وتميط اللثام عن الجروح الغائرة في أعماق الجسد العربي.

كما رصت الرواية الجزائرية أهم المحطات الثقيلة التي أرهقت كاهل الشعب الجزائري وشتت ذاته ومسخت طموحه، ووضعه في بؤرة مشحونة بالعنف والخوف، في ظل التحولات السياسية التي شهدتها فترة التسعينيات، والتي ولدت ما عرف "برواية الأزمة" والتي رصدت واقعا مأزوما عاشته الجزائر طيلة عشرية كاملة عرفت بـ "سنين الجمر" أو "العشرية السوداء" وعلى اختلاف التسميات وتباينها إلا أنها تشترك في نيمة الموت البطيء والخوف حدّ النخاع "ان الارهاب ليس حدثا بسيطا في حياة المجتمع، وقد لا يقاس بالمدة التي يستغرقها ولا بعدد الجرائم التي يقتربها، بل بفضاعته ودرجة وحشيتها، وعندما يتعلق الأمر بالجزائر فإن الإرهاب تقاس خطورته بتلك المقاييس جميعا إذا استغرق مدة غير قصيرة وارتكب جرائم كبيرة، وارتكبها بفضاعة بلغت أقصى ما بلغته الهمجية"¹.

وهكذا وجدت الرواية الجزائرية نفسها في محور الأزمة وما تمخض عنها، فاتخذت من الأزمة موضوعاً لها إذن "فموضوع العنف المعروف إعلاميا بالإرهاب كان مدار معظم الأعمال الروائية التسعينية"².

ومن هنا جاءت رواية "سيّدة المقام" لواسيني الأعرج، ورواية "الورم" لمحمد ساري، رواية "فتاوى زمن الموت" لإبراهيم سعودي... وغيرها من الكتابات التي روت نزيف هذا الوطن، ونقلت مرحلة حرجة من مراحلهِ وعبرت عن هموم الجماعة والواقع العام للمجتمع.

جل روايات المرحلة التسعينية _إن لم نقل جميعها_ طبعت بمأساة وجاءت في خطاب مأساوي عبّر عن تدهور شتى الميادين، وعن وضع سلبي أحاط خاصة بالذات

1- حبيبة حجاج، مليكة أوكسل، صورة الموت في رواية الأزمة الجزائرية "رواية العلاج وزغاريذ الدماء" لمحمّد كحوال، مذكرة ماستر، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، كلية الآداب واللغات، 2016-2017، ص66.

2- إبراهيم سعيدي، تسعينيات الجزائر كنص سردي، المتلقي الدولي السادس عبد الحميد بن هدوقة للرواية، أعمال وبحوث مجموعة محاضرات المتلقي الدولي السادس، ص- ص143-145.

المدخل:.....الخوف (المفهوم والمصطلح)

الإنسانية التي لقيت الحظ الأوفر من نتائج هذه الأزمة، التي اغتصبت الإنسان وذاته وجعلته في دائرة مظلمة تحيط به الهواجس والكوابيس، وتحصره في قبو مليء بالخوف والرعب.

فالفرد الجزائري هو المتضرر الأول والرئيسي من حركة هذه الأزمة على مدى عشرية كاملة، حيث أصبح محاطا بالرعب ولا أمن، فضلا عن حالة **الخوف** التي أثّرت في نفسه والتي تجاوزت حدّها الطبيعي، مانعة تقدمه جاعلة منه إنسان ضائع، غير مدرك لمسار تحركه وفارق لهويته وسيكولوجيته، فهو لا يعرف متى يثور ومتى يهدأ كل هذا نتيجة أوضاع الوجودي، فضلا عن حالة **الخوف** والرعب التي سيطرت عليه وكبحت تحركاته وحصرته في جسر الصمت، يجتر مرارة الوضع الدموي الراهن وعبثية الحياة، عاجزا عن مقاومة موته البطيء الذي ينخر في أعماقه تاركا آثار واضحة من الفزع والهلع.

فالموت أصبح هاجسا للفرد، ينتظره كل يوم ليلتقي به على الأرض جثة هادمة تنخرها غريبان جائعة متعطشة دمويا، فصورة الموت التي ينتظرها ليست محسومة برصاصة أو ضربة سكين من الوريد إلى الوريد، إنما هو موت مختلف من نوعه، يبدأ من داخل الإنسان ويميت فيه شعوره بالراحة والطمأنينة ليزرع في نفسه **الخوف** والذعر "إنه موت اجتماعي وعاطفي وموت سياسي ووطني وموت فكري وفلسفي"¹.

إلى هنا وصلت همجية وجبروت هذا المتطرق الذي لا يثبته قتل إنسان ولا تأنيب ضميره، فهو خارج حدود الإنسانية تحيط به القسوة واللامبالاة وأصبح قبل الأرواح البريئة وسفك الدماء هو الحكم والسلطة.

هذا جزء من المعاناة التي تعرض لها الفرد الجزائري عامة، حيث أصبح ينتظر موته بعد أن سيطر عليه **الخوف** وجعله في فزع وهلع من صوت المجازر التي تتأوه بوجع وفجور، في مدينة أحاط بها السواد وذهب **الخوف** بأنوارها، وقل جمال أزقتها وحجب الضياء عنها،

1- أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دراسة سوسيو نقدية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2013، ص216.

المدخل:.....(الخوف (المفهوم والمصطلح)

وأصبحت ملامح الإنسان شاحبة مرتجفة، يحيط بها الخوف من كل الجوانب، مرتسما في عيون الجميع.

ولم يكن المثقف أفضل حال من الفرد الجزائري، فقد كان أكثر استهدافا باعتباره جزءا مهما من المجتمع يؤثر ويتأثر بهوموم وقضاياه، فلم يبق أسيراً في برجه العاجي ينظر إلى الأزمة، بل ارتمى في القضايا التي ترتبت عنها الأزمة وبحث عن الفتيل الرئيسي لاشتغالها وانزاحت اللغة وانغمست في الهم الاجتماعي، وبالتالي هيمنت المضمون الاجتماعي على العمل الأدبي، "فقد اهتمت الرواية الجزائرية بالمضمون، ولم تنظر إلى الشكل بوصفه خادماً لهذا المضمون الذي كان خاضعاً لأفكار الواقع"¹.

فقد كان المثقف بمثابة العدسة المكبرة التي تنظر إلى الأزمة وتمخضاتها بعين واعية ومحيطية بكل شيء، في ظل تجربة مست الشخص لا الإنسان، فهي تجربة دعامتها الواقع، وصورة فوطوغرافية، تحاكي بقياس دقيق الواقع البحث وتقف عند أهم محطاته ومقتطفاته منتجة إبداع ملء بالتوتر والقلق في متن مشحون بأحداث راهبة وفصول مأساوية، فكانت رواية "الشمعة والدهاليز" لطاهر وطار، و"سيدة المقام" لواسيني الأعرج من أهم الروايات التي بحثت عن جذور الأزمة وفضحت الممارسات التي حملتها.

ولقد اختلفت ردود أفعال المثقفين حول العنف الذي عاشوه، وذاقوا من ويلاته ما عجزوا عن تحمله، فمنهم من أدان هذا الوطن ونقم عليه وأصبح معادي لقيمه ونظامه السائد، باحثا عن الخلاص وهاربا إلى الأماكن، لأنه أدرك أنه معركته خاسرة وغير متكافئة، وهذه التصورات هي نتاج السياقات الاجتماعية والسياسية والثقافية ولم تكن وليدة مزاج فني أو خيار تقني.

1- علال شنفوقة، المتخيل والسلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1،

المدخل:.....الخوف (المفهوم والمصطلح)

فقد صورت "أحلام مستغانمي" في روايتها "عابر سرير" الوضع المزري الذي آل إليه الوطن نتيجة أطراف عديدة متشابكة "إن الوضع المزري الذي آل إليه الوطن في فترة من أشد فتراته حرجاً -فترة المحنة-...أشارت إليه الرواية مباشرة دون إحياء أو ترميز بل وضعت عليه اليد متهمة ومدينة إياها"¹.

فقد أعطت هذه الرواية صورة عن وطن منكسر دمرته أيادي داخلية بالنيب والسلب وأصبح لا يحوي إلا **الخوف** والرعب والإيذاء والتشرد.

ومنهم من آمن بحرية هذا الوطن وبضرورة الكفاح للخلاص من هذا الطاغى الذي انتهك الحرمات وتجرد من أبسط معايير الإنسانية، فراح يكتب عن ألم هذا الوطن آخذاً مادته الخام من مشاكله وقضاياه، فجاء أدبهم وإبداعهم ممزوجاً بالدم والألم، ووصافاً لحالة الترويع التي يعيشها الفرد عامة والمتقف خاصة، حيث كان ينتظر اغتياله وهذا ما صورته "زهرة ديك" في روايتها "في الحب لا أحد" حيث عبّرت عن معاناة المتقف إبان فترة المحنة، إضافة إلى "واسيني الأعرج" الذي صور أزمة المتقف واغترابه عن وطنه في رواية "حارسه الظلال".

هكذا جاءت الأزمة جارفة لكافة فئات المجتمع، لتظهر ردود أفعال تباينت بين فارٍ فزع من هول المحنة، وبين محلل ثابت حاول تفكيك شفرات المحنة، كاشفاً عن جذورها، وأسباب قيامها، وهذا ما يظهر جلياً في الأعمال الروائية، التي وضعت هذه الفترة على طاولة التشريح، ووجدت أن أحداثها يقوم بها بطل وسم في الغالب بالانرجسية، حيث كان من طبقة المثقفين (أي البطل هو المثقف نفسه).

وفي سرد مشحون بالخوف والألم، يعنون الكاتب الجزائري "الحبيب السائح" نصه ب: "تماسخت... دم النسيان" ليصرح بتجربة جزائر الألم والخوف، ويشرب إبداعه بكل ذلك العبق الفريد المنبعث من ثنايا الوطن والقادم من جسد طالما انتمى إليه ولروح طالما تغلغلت

1- زهرة شهبر، نورة مهود، صورة المجتمع في روايات العشرية السوداء روايتي "القلاع المتآكلة" لمحمد ساري و"بماذا تحلم الذئاب" لياسمينه خضراء، مذكرة ماستر، جامعة الجيلاني بونعامة، خميس مليانة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2015-2016، ص228.

المدخل:.....الخوف (المفهوم والمصطلح)

في مسامه وأدركت كنهها الأعماق، وأثبتت حريتها لأن الإبداع لا ينمو إلا في مناخ حر يتمتع برؤية مفتوحة لا تشكل أبعادها الذاتية والموضوعية عوائق ولا تضع أمام الإبداع لمتاريس وحدود فـ " هنالك تحديات أساسية، تتعلق بالأديب كفرد كما تتعلق بنا جميعا، في لحظة من تاريخ العالم، وهناك أيضا مشكلات التي هي همه الخاص كفنان"¹.

وباعتبار الأديب هو الناطق الرسمي على لسان أمتة، كان ضروريا أن يمسح إبداعه بقضايا مجتمعه والمشاكل التي تعصف به، وهذا ما تقيد به الروائي "الحبيب السائح" في منته الروائي المعنون بـ "تماسخت... دم النسيان".

فقد كانت الأزمة، منعرجا هاما بالنسبة له، جاعلا من المأساة مدار لعمله الروائي، منه تتولد أسئلة المتن الحكائي، وفي أحضانه تتشكل مختلف عناصر السرد، فكانت "تماسخت" من الروايات الأولى التي تناولت قضية الإرهاب بالجزائر، شارحة له، وواصفة لحالة أفراد النفسية، في ظل تجربة **الخوف** والتخويف التي فرضت على الإنسان الجزائري بشكل عام والمتقف بشكل خاص، حيث ظهر **الخوف** كعنصر مؤسس للفعل التخيلي ودافع لعناصر السرد، حيث احتلت تجربة **الخوف** مساحة واسعة، وتعرضت له كحالة نفسية وانفعال حاد هيمن على الشخصية الرئيسية وغدا موجهاً لحياته ومواقفه الحياتية والوجودية.

لقد انحصرت هذه الأحداث بين مقدمة معنونة بـ "رؤيا"؛ رؤيا عبثية بألوان كابوس مزعج ومخيف، وخاتمة بعنوان "يقظة"؛ خواطر واعية تفسر بعض من خيوط المحنة، وبعضا من خيبة المواجهة، مع إشغال كبير على اللغة، لأن خصوصية القضية والخصوصية الثقافية يتطلبان بلاغة وقاموس مختلف عن السائد، مزاجا بين اللغة والأسلوب، لأن "الأسلوب في حقيقة الأمر ظاهرة تشبه البذور، يهدف إلى نقل الحالة والمزاج ليستشعرها في نفس القارئ"² فاللغة الوليدة هي طريقة وأسلوب المبدع في تحريك

1- روي كاو ن، الأدب وصناعته، تر: جرا إبراهيم جرا، منشورات مكتبة منيمنة، بيروت، د.ط، ص-ص 175-176.

2-صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1997، ص:107

المدخل:.....الخوف (المفهوم والمصطلح)

هذا لأن "صانع الأدب ينطلق من لغة موجودة، فينبعث فيها لغة وليدة هي لغة الأثر الفني"¹ لبعث الحس الجمالي وبالتالي الأثر الفني.

وقد عرضت الرواية العلاقة بين المثقف والمحنة الوطنية من جهة، وبينه وبين السلطة من جهة أخرى، ولطبيعة قوى الإرهاب التي فتكت بالجميع كانت الفاتورة البشرية غالية الثمن، نتيجة استباحة دم المواطن وتدمير نواة الذات الوطنية، وجعلها تعيش حالة من الخوف والمعاناة والجرح الأزلي الذي لم يندمل إنه جرح وطن ودمه إنسان وقلبه عاصفة من الدمار والنار، يقول البطل: "إهانة تاريخية مستمرة، مذلة إنسانية شاملة واغتصاب وجودي، قدنا على هذه الأرض بأس مدمر وموت بطيء، هل تملك أنت شبرا واحدا تستطيع الحراك فيه بلا قيد"².

إن الصورة المتكاملة التي حاولت "تماسخت" أن ترسمها، وتقل حيثياتها ببراعة، لم تكن مجرد تراكم للأفكار في قوالب صامتة، إنما كانت تعبير عن رؤية، ورفض لوضع فرضته أيادي سوداء عنيفة الهزة على جزائر التسعينات التي تحولت إلى خراب، وأصبحت مغمورة بعذابات الإرهاب القائم على مسح الوجود الكلي، وسحق لكل ما هو حي، قتل وتدمير وتهجير ونشر الخوف وهلع ظل يلاحق الفرد حتى خارج جغرافية وطنه، يمتد طويلاً وعرضاً، شرقاً وغرباً، ويسكن بين الضلوع كالجمر، وفي أعماق الأفراد والجموع، فهذا الخوف الذي عاش فيه هذا الوطن وكان بمثابة بلاء وفتنة كبرى، جعل الإنسان يعيش في متاهة فهل من ذاكرة للنسيان في رواية "دم النسيان؟" وهل من عقار يستطيع أن يسلخ هذا الخوف من جسد الإنسان ليعود إلى حالته الطبيعية؟

1- سميحة بن نوي، آليات تحليل الخطاب الشعري، من منظور سيميائي عند محمد مفتاح "كتابه تحليل الخطاب الشعري" استراتيجية التواصل نموذجاً، مذكرة ماستر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، كلية اللغة والأدب العربي، قسم اللغة والآداب، 2015-2016، ص6.

2- الحبيب السائح، تماسخت...دم النسيان، فضاءات للنشر، دار ميم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2016، ص107.

1- ماهية الخوف:

الخوف شعور بعثه الله في الذات الإنسانية بحكمة منه، وأحاطه بجملة قوانين كلما سار الإنسان على نهجها كفل لنفسه الراحة والسعادة والأجر يقول تعالى في كتابه العزيز

>> وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ < سورة الرحمان، الآية 46 .

والإحساس ب**الخوف** ينتاب الإنسان لحظة فقدان القوة وتراخيها، واضطراب كيانه الداخلي أو الخارجي، وهي تتباين من شخص إلى آخر فلكل منا مخاوفه الخاصة، والتي ولدتها ظروف داخلية متعلقة بالذات الباطنية في عالم الأشعور، أو ظروف خارجية مرتبطة بمحيطه الوجودي.

1-1- المدلول اللغوي للخوف:

حظي مصطلح **الخوف** بالعديد من الشروح في المعاجم العربية وغيرها فقد عرّفه ابن منظور بأنه: **الْفَزَعُ، خَافَهُ، يَخَافُهُ، خَوْفًا وَخِيفَةً وَمَخَافَةً.**

قال الليث: "خَافَ، يَخَافُ، خَوْفًا... وَخَوْفَ الرَّجُلِ إِذْ جَعَلَ فِيهِ **الخوف**، وَخَوْفُهُ إِذْ جَعَلَتْهُ بِحَالَةٍ يَخَافُ النَّاسَ، **فَالْخَوْفُ** هُنَا جَاءَ بِمَعْنَى الْفَزَعِ وَالرُّعْبِ"¹.

كما جاء في "المعجم الفني" أن [خ وف]، (مص: خاف) اعتراه خوف: فزع خشية، رعب... "دخل إلى المعركة بلا خوف، لم يكن خوفه ناتجا عن ضعف: إنما انفعال في النفس يحدث اضطراباً وخشية "خوفا من المشاكل لم...".

خشية: خوفا عليه: حرصاً عليه من... قلقا عليه"².

1- عبد الغني أبو العزم، معجم الغني، مج1، حرف خ، مؤسسة الغني للنشر، ص:782

2- الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، مج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص:45

المدخل:..... (المفهوم والمصطلح) الخوف

ولا يخرج ما ورد في معجم "العين" عن التعريفين السابقين فـ"الخوف" خَوْفٌ خَافَ تصغيرها خويفة واشتقاقها من الخوف، وهي جبة يلبسها العمال والسقاء، وخوفت الرجل: جعلت فيه الخوف"¹.

يتضح لنا من خلال هذه التعريفات المعجمية اشتراكها في معنى واحد للخوف واعتباره انفعال فطري يشعر به الإنسان أثناء مواجهته لمواقف قد تلحق ضرراً به أو تهدد حياته، فضلاً عن خوفه بما سيحدث مستقبلاً فالشخص دائم الهلع والفرع من أن يصيبه مكروه أو يعجز عن مواجهة موقف معين فيجد نفسه محاصراً بمجموعة مخاوف ومتوتراً وعاجز عن الاستقرار، ومنطوي بين الناس.

1-2- الخوف في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية

الحق أن القرآن الكريم له الأولوية والولاية على كل البشر، فهو الحدّ الفاصل في دراسة التعريفات الإنسانية، وهو نقطة النهاية لكل نقص أو تعاون فهو الجامع المانع.

ومن خلال تتبع آية الذكر الكريم نصل إلى تحديد ماهية الخوف:

أ- الخوف حالة طبيعية:

ذلك أن الله سبحانه وتعالى أثبت الخوف لعدد من أنبيائه ورسله مثل ذلك إبراهيم عليه السلام حين قرّب العجل السمين لضيوفه من الملائكة، ولم تمتد إليه أيديهم، قال عز وجل: << فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ >> سورة الذاريات، الآية 28.

قال الراغب في المفردات "والخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الخوف من الأسد، بل إنما يراد به الكف عن المعاصي واختيار الطاعات ولذلك قيل: لا يعد خائف من لم يكن للذنوب تاركاً، فعلى قدر إيمان العبد يكون الخوف من الله وعذابه"¹.

1- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج1، دار القلم، دار الشامية، دمشق، بيروت، ط1، 2009، ص113.

المدخل:..... الخوف (المفهوم والمصطلح)

ب- الخوف شعور نفسي بصاحبه ضيق وسوء:

ودليل ذلك قوله تعالى: >> وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ << سورة هود، الآية 33.

ج- يصاحب الخوف تغيرات جسدية:

يقول تعالى في كتابه العزيز: >> أَشِحَّةً عَلَيْكُم فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفَ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ << سورة الأحزاب، الآية 19.

د- الخوف ضد الأمن:

يقول تعالى: >> وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا << سورة النور، الآية 55.

كما أوردت الأحاديث النبوية شيء عن الخوف:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: >> لا يلج النار رجل بكى من خشية الله، حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جميعا << يدل هذا الحديث على أن الخوف من الله منجاة من النار إذ أنه يدفع المرء لطاعة وبيعه عن المعاصي.

بناء على ما سبق نصل إلى أنّ مدلول الخوف في القرآن الكريم يحيل إلى حالة نفسية طبيعية نتيجة الشعور بالضيق والسوء، تصاحبه بعض التغيرات الجسدية، بسبب ترقب حدوث شر أو مكروه، وهو بهذا المدلول ضد الأمن والاستقرار.

وقد صور القرآن الكريم بعض اللحظات من أعماق نفوس أنبيائه ليؤكد واقعية الخوف وتجذراته العميقة حتى في النفوس المختارة، فمثلا قصة سيدنا موسى الذي رمته أمه في النهر خوفا من بطش فرعون فيعد أن جاءها وحي من الله بذلك وأمرها بتجاوز خوفها وإرساء السكينة في قلبها يقول تعالى: >> وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ

المدخل:..... (المفهوم والمصطلح) الخوف

عَلَيْهِ فَالْقِيَةِ فِي الْيَمِّ، وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّ رَادُّهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ>> سورة القصص، الآية 7.

وفي حادثة سيدنا موسى مع السحرة، حيث رَمَوْ حبالهم وعصيهم التي تحولت إلى أفاعي أمام الناظرين، تحرك هاجس الخوف في نفس نبي الله لكنه سرعان ما تغلب وسيطر عليه، حين أسعفته السماء بذلك وأيده الله بمعجزات يقول تعالى: >> قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى* قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعَصِيهِمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْعَى* فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى، قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى وَأَلْقَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى>> سورة طه، الآيات 65، 66، 67، 68، 69.

من هذا المنطلق يتجاوز الإنسان مخاوفه ويسيطر على درجة خوفه، كي لا يكون فريسة سهلة لشرارة التي تحدث ما تحدث في النفس الإنسانية، خاصة إذ تعلق الأمر بمؤثر خارجي يجعل النفس في حالة فزع وهلع، ويقابل ذلك خوف داخلي هو خوف الإنسان من خالفه، وهو خوف حقيقي ومطلوب موجود في مجاله الصحيح ولا تعادله قوة ولا تساويه ذرة؛ لأن جل المخاوف التي تعترى الإنسان لا تساوي مقدار ذرة أمام المخاوف التي تجول في النفس نتيجة خشية الإنسان من خالفه >> إِنَّمَا ذَالِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَائِهِ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُواْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ>> سورة آل عمران، الآية 174، 175.

1-3- الخوف في النقد النفسي:

الخوف حالة نفسية وميل طبيعي في أعماق النفس الإنسانية، بغض النظر عن الخلاف الموجود بين علماء النفس القدامى والجدد، حول تحديد الخوف هل غريزي أو ميول فطري؟ ففي حين حديث علماء النفس القدامى عن غريزة الخوف، نجد علماء النفس الجدد قد أنكروا وجود الغرائز، وأرجعوه إلى ميولات فطرية.

المدخل:..... (الخوف (المفهوم والمصطلح)

ف نجد **الخوف** قد تجسد عند أفلاطون من خلال المخاوف التي تنتاب الإنسان نتيجة جهله بالمجهول ووقوفه عاجزاً أمام قدره الذي يحيط به ف"المخاوف الميتافيزيقية التي بدأت بها التراجيديا الإغريقية وحاولت بها تحديد موقف الإنسان من تلك القوى الرهينة المسماة **بالقدر** وذلك من خلال مزج الرعب بالشفقة"¹، فخوف الإنسان حسب أفلاطون ناتج عن عجزه أمام موقف أو مواقف معينة ليجد نفسه محاط بسياج من المخاوف وعاجز عن الاستقرار ومتخبط بين الناس نتيجة توتره الشديد.

أما أرسطو، فقد مزج بين الرعب والشفقة، وأطلق عليه ما يسمى **بالتطهير**، وجعل النفس تتأثر بموقف شخصية ما عاجزة عن الوقوف أمام قدرها، فيتطهر بالمشهد المعروض ويتأثر به من خلال شفقه على الشخصية، وخوفه على نفسه من مواجهة الموقف ذاته هنا يصل إلى أدنى درجات الضعف الإنساني، التي غالباً ما تطهر بالأغاني "الأغاني التطهيرية تسبب للناس السرور بدون إيلام ولا ضرر، فالإنسان في حاجة إلى معاناة هذه المشاعر القوية من خوف ورحمة وحماسة"²، فتتطهر الذات الإنسانية من كل مأساة أو معاناة مرت بها.

في حين ربط فرويد العقد النفسية المضمرة والمتكونة لدى البشر بالأساطير القديمة، وأثبت عدة مفاهيم في التحليل النفسي انطلاقاً منها، لأنها تخلق فجوة في الكيان الإنساني وتستثير جملة من الانفعالات التي تعصف بالنفس ومن بينها **الخوف** الذي يواجهه الإنسان في حياته اليومية ويبقى مترسخاً في ذاته.

ثم جاءت الرواية القوطية لتخرج النفس من عالم الأساطير إلى عالم الأشباح أين تفقد الأشياء منطقيتها ويسود الرعب وتنتشر الظلمات وتتعالى صرخات الرعب والخوف في واقع غير واقع الذات البشرية "فقد فشلت كل المحاولات العلمية في درء الرعب أو حتى الإحساس

1- نبيل راغب، موسوعة الفكر الأدبي، دار راغب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ط، 2002، ص191.

2- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، د.ط، 1997، ص80.

المدخل:..... الخوف (المفهوم والمصطلح)

به عند الإنسان، بل من الواضح أنّ الإنسان يسعى لممارسة هذا الإحساس بدليل إقباله على كل الأعمال الروائية التي تتخذ منه مضمونا...إنما يتقبل ببساطة حكايات الردة والغيلات والأشباح لأنها تشبع خياله"¹، فلا توجد وسيلة أخرى لتجسيد هذه الرهبة النفسية من غير الأدب فهو مرآة عاكسة للحياة الإنسانية، وبالتالي تصوير لمختلف جوانبها المضطربة والسوية.

نستخلص أن الكائن الحي هو سلسلة متصلة الحلقات من المخاوف التي تظل حبيسة الجسد وتؤثر في النفس الإنسانية، وتحركها لطلب النجاة والبحث عن ملاذ له يبعده عن مصدر الخطر.

1-4- المدلول الاصطلاحي للخوف:

للخوف عدة معان تدور جميعها في فلك واحد وهو الشعور بالاضطراب وعدم الأمن.

عرّفه الغزالي بقوله: "تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في المستقبل"².

وقيل: هو اضطراب القلب وحركته من نذكر المخوف"³؛ وهو هرب القلب من حلول مكروه عند استشعاره.

فالخوف ينبع عن توقع أمر يعود بالضرر على الإنسان، ويتحول إلى حالة مرضية ينبع عنها الكثير من المشاكل التي تؤثر على سلوكيات الإنسان المصاب وتضعف من قدرته على التعامل مع الواقع بشكل سليم وطبيعي ولهذا المرض انعكاسات على شخصية المريض، وقد لا يتمكن من تأدية التزاماته تجاه المجتمع والآخرين، وهذا المرض (الخوف) منه الظاهري ومنه المخزون، فالظاهري يكون محسوساً ملموساً من قبل الآخرين، والمخزون

1- نبيل راغب، موسوعة الفكر الأدبي، ص193.

2- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، مج4، 2018، ص162.

3- صالح بن حميد وعبد الرحمان بن ملح، موسوعة ثغرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، 1998، ط1، ج1، ص31.

المدخل:.....الخوف (المفهوم والمصطلح)

لا يعرف به إلا المصاب بهذا النوع من المرض حيث يكون إنسان مهزوم لا يستطيع اتخاذ أي قرار نتيجة خوفه، يقول ابن القيم بأنه: "الانخلاع من طمأنينة الأمن بمطالعة الأمن الخير ويعني ذلك: الخروج من سكون الأمن باستحضار ما أخبر الله به من الوعد والوعيد"¹.

إذن **الخوف** شعور بالرهبة والفرع من أمر ما، قد يكون هذا الشعور واقعياً وحقيقياً، وقد يكون عبارة عن تهيئات تجعل الإنسان في حالة من ألا أمن ولا استقرار تمنعه من مواصلة حياته وتجعله حبيس مخاوفه.

2- ثقافة الخوف وتجلياتها:

تعتبر الظاهرة النفسية من أعقد الظواهر التي اهتمت بها العلوم الإنسانية، وحاولت الكشف عن مكوناتها والتعمق فيها من أجل فتح آفاق جديدة لدراسة النفس البشرية، واقتراح حلول للحالات المستعصية التي قد تقف حاجزاً أمام تطلعات الذات وطموحاتها، كل هذا تحت لواء علم النفس الذي يتبنى الإجابة عن جملة الإشكالات والتناقضات التي تعصف بالنفس من خلال الغوص في لا شعور الإنسان وسلوكه "فعلم النفس هو الذي يقتضي بالبحث في السلوك من حيث علاقته بالحياة العقلية شعورية كانت أو لا شعورية"²، واستناداً إلى مبادئ وأسس التحليل النفسي الذي عني بدراسة اللاشعور كمنطقة أساسية وجوهرية في الإنسان، حيث تقوم لبنيتها الأساسية على مراقبة المظاهر السطحية والرمزية، كفلتان اللسان وحركة اليدين، إيماءات الوجه... للإمساك بحقيقة النفس ومحاولة تحليلها والكشف عن أسرارها، ووضع الإنسان في قالب نموذجي خال من آثار جشع النفس وشوائبها، وتحريره من داخله بالثورة على العوائق الذاتية التي تختلج نفسه وتمنعه من التحرك والانطلاق.

1- ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، المجلد 2، 2003، ط7، 2003، ص414.

2- منصور حسين، محمد مصطفى زيدان، الطفل والمراهق، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1998، ص21.

المدخل:.....الخوف (المفهوم والمصطلح)

يمثل **الخوف** كحالة نفسية من أبرز العوائق التي عني علم النفس بالكشف عنها وتحليلها ضمن خطوات المنهج التحليلي النفسي، خاصة وأن هذه الحالة تفرض على الإنسان قمعا بوليسيا يشل حركته وتفكيره ويمتعه من الإفصاح عن رغباته ومواقفه.

فسيكولوجية الإنسان الباطنية تقر بوجود **الخوف** كحالة نفسية متجذرة في النفس البشرية منذ الأزل "فما من عاقل إلا وللخوف في نفسه مسكن ومكمن"¹، ومصاحبة لحياة البشر موجودة ما وجد الإنسان وفي أي زمان، سواء أكان ذلك بالفطرة أو ولدته ظروف معينة، حملته من البعد العادي الطبيعي إلى الأفق ألا طبيعي جاعلة منه حالة مرضية.

فالخوف "حالة نفسية مزاجية"² أو "انفعال طبيعي فطري"³ تجتاح من يتعرض له إذا ما ألم به مكروه أو فقد من يحب، في هذه الحالة يتدخل العقل للبحث عن حلول تعيد للنفس أمنها واستقرارها وهنا تبرز العلاقة بين العقل والخوف الذي يعمل كمحفز يثير العقل من أجل

التدبر والتقليل من اتساع بؤرة **الخوف**، وصناعة المستقبل وتدارك الأخطار في إطار التحليل النفسي، الذي يعمل جاهداً لترميم شوائب النفس والإحاطة بها وتوفير العلاج المناسب، والذي ظل في كثير من الأحيان قاصراً، أمام حالة نفسية خلقها الله في الذات الإنسانية، والتي تنطلق أولاً من **خوف** المرء من خالقه، ثم تليها مخاوف الإنسان من محيطه الخارجي.

وقد شغلت عاطفة **الخوف** حيزاً معرفياً واسعاً في إطار التفكير الفلسفي حيث نجد اهتمام الفلسفة البالغ بهذه الحالة، كونها رافقت الإنسان منذ القدم أي في العصور السابقة، فحاولت الإلمام بهذه الظاهرة والإجابة على بعض مخاوف الإنسان وإحاطته بالهدوء والأمان.

1- زهير محمود عبيدات، تجليات الخوف في رواية بابونس، مجلة جامعة طيبة، للآداب والعلوم الإنسانية، السنة السادسة، الأردن، العدد 12، 1437هـ، ص722.

2- المرجع نفسه، ص722.

3- المرجع نفسه، ص722.

المدخل:.....الخوف (المفهوم والمصطلح)

لا نعلم الكثير عن لحظات الإنسان الأولى، ولكننا نستطيع أن نجزم أنها كانت مليئة بالمخاطر، وأنه كان في كمواجهة شرسة مع المخلوقات من جهة، ومع قوى الطبيعة من جهة ثانية، فيتولد عنه هذا الشعور الطاعي الذي يعبر عن كمية المعاناة التي شلت قدرته وأخضعت جسده وفكره لحالات من التوتر...هنا ندرك تعرف هذا المخلوق الضعيف المبكر على شعور **الخوف**!

>> **تعكس ثقافة خوف موقفا وجودياً أصيلاً في الحياة الإنسانية، عززته التفسيرات المختلفة لكثير من الظواهر الوجودية والإنسانية والطبيعية وقد حاول الدين أن يحرر الإنسان من كثير من التصورات عما يحيط به من ظواهر وفوارق وأساطير**¹.

ولقد أجمعت جل الفلسفات عبر التاريخ أن الواجب الأول الذي يجب أن تقوم به الفلسفة هو تخليص الإنسان من مشاعر **الخوف** وبالتالي تحريره من مخاوفه وهواجسه لأن مثل هذه المشاعر تتنامى مع الزمن، وتتجذر في النفس حدّ النخاع، مولدة حالة من الذعر في النفس، تمتع الإنسان من أن يمضي قدماً.

فالخوف هو العدو الأول للحياة الطيبة، والعدو الأول للحكمة، وهو المسبب الرئيسي في أن يغدو الناس حبيسين بين ماضيهم ومستقبلهم...هكذا كانت رؤية اليونانيين لحالة **الخوف**، لأن دواعي **الخوف** في الغالب لا عقلانية، هذا ما يجعله ضمن حلقة الرهبان.

فالرعب الغير مناسب يؤدي إلى ردود أفعال عبثية، **والخوف** في الصيغة المتعارف عليها يجعل الفرد تحت وطأة التوتر والفرع، يثبته عن العبور والانتقال من حالة إلى أخرى، ويمنعه من الإقامة في حاضره، لأن أغلال الماضي ومخاوفه ما زالت مقيدة لنفسيته

ومسيطرة على تفكيره، من هنا جاء رفض الفلسفة له واعتباره عدو للحياة الفلسفية، فمن منظور أخلاقيات الفلسفة العامة تعتبر **الخوف** رذيلة بل لعله أم الرذائل، لذا فتنحيز الإنسان من **الخوف** سيكون بمثابة المهمة الأخلاقية الأولى لها، سواء في بعدها المعرفي "بلوغ

1- المرجع السابق، ص 823.

المدخل:..... (المفهوم والمصطلح) الخوف

الحقيقة" أو في بعدها المعيشي "بلوغ الحكمة" ونجد ذلك جليا عند أفلاطون وأرسطو في العمل التراجيدي حيث عرفها بقوله: "محاكاة لفعل جاد وتام في ذاته... وتتم المحاكاة فيها حسب الأسلوب الدرامي وتثير في النفس البشرية مشاعر الخوف والشفقة حتى يمكن التخلص من هذه المشاعر وتعهد النفس وتظهر من هذه المشاعر"¹، فالخوف هو العدو الاستراتيجي من هذا المنظور والواجب هو تخلص الإنسان منه، من حيث أن ذلك التحرير سيكون هو المنطلق الأساسي لتحرير العقل من سلبياته ومخاوفه، إضافة إلى التحكم في إطالة وإبقائها ضمن إطارها الطبيعي وإذا ما تجاوز الحد الطبيعي يتم علاجها بالموسيقى وهذا ما يشير إليه أفلاطون في كتابه "النوميس" "معالجة هؤلاء المرضى عن طريق الموسيقى"².

ومن هنا فالشعور الإنساني بطبيعته وفطرته خائف، وكيانه مصمم للخوف والفرع كشعور باطني يصاحبه تسارع لنبضات القلب وفزع الأمعاء وتعرق الجسد وتلعثم الصوت وقد يحصل اضطراب في درجة حرارة الجسم وارتفاع الدم الذي قد يؤدي بالنفس الخائفة إلى الإغماء أو الدوار.

هذه الحالة النفسية ليست مقتصرة على أمة دون الأخرى، أو على فرد دون الآخر، فهي ظاهرة عامة يشترك فيها الجميع، تختلف فقط في نسبة التأثير ودوافعه.

فشيوع حالة الخوف في العالم العربي لم تكن حكرًا عليه فقط، إنما مسن العالم الغربي أيضا، خاصة في مستواه العالمي، ويظهر ذلك جليا في علاقة الغرب بالآخر والتي تبلورت في شكل مشاريع هادفة للإصلاح والتقدم في مظهرها الخارجي، وهي في الأصل تحمل

1- عبيد الديحات، النظرية النقدية الغربية (من أفلاطون إلى بوكاشيو)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 2007، ص66.

2- المرجع نفسه، ص67.

المدخل:.....الخوف (المفهوم والمصطلح)

جينات التدمير والتبعية، وتحاول إحلال موجة **الخوف** والفوضى بدل الأمن والنظام "فتلك التحديات كانت من أشد الأسباب فجائية في تعدد ألوان صراع الحضارات"¹.

وما يلفت الانتباه أن الإنسان المعاصر ورغم التقدم الذي وصل إليه وفتح لآفاق كانت مجرد حلم بالنسبة له، إلا أن صار يعيش في دوامة من **الخوف** نتيجة هذا التقدم، الذي تحكم في درجة **الخوف** وأثر فيها حيث كلما زاد التقدم زادت نسبة **الخوف** ومن هنا فالعلاقة بينهما هي علاقة تثير وتأثر، "العلم يوسع دائرة **الخوف** بدل دائرة الأمن"².

وعلاقة التأثير هذه مسّت العالم الغربي عامة والعربي خاصة، لأنه عاني من **الخوف** كنتاج تراكمات تاريخية خطوطها العريضة غياب العدالة فقط، وتعرض أيضا لحالة تخويف مزدوجة الأبعاد تستخدم السياسة والديناميكية العولمة لبسط نفوذها وسطوتها.

هذا ما مهّد لشيوع ثقافة العنف في القطر العربي، ووقفا كحاجز إما الإصلاح والتغيير "العنف والعنف المضاد يحول دون تبلور مجتمع مدني له آلياته وأهدافه"³.

والتي حولت **الخوف** من ثقافة يقصد بها التحول الذي يطرأ في دور **الخوف** وتأثيراته الفردية والنفسية والجماعة الاضطرابية، ويظهر كمحفز لمختلف مجالات الحياة وأنماطها إلى إيديولوجية تظهر إشكالاتها كسلطة تعرض رأيها ومدرجاتها بإكراه وحتمية متعسفة، فتصبح بذلك سببا في شيوع **الخوف** ورواج صناعته في المجتمع المعاصر.

فالغرب من هذا المنطلق ذا صلة وطيدة بحالة **الخوف** وهو مصدره من خلال ما عرف به من أطماع اتجاه الثروة العربية وخيراتها فضلا عن تكريس جهوده لمحو واستتساخ الهوية والخصوصية، من خلال التهديدات التي تمارسها العولمة على كافة فئات المجتمع.

1- منير الحافظ، سوسيولوجيا الرهبة، الأنا القومية وأنماط ثقافة **الخوف**، المايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2011، ص125.

2- أحمد برقاي، الإيديولوجيا والخوف، مؤتمر فيلادلفيا الدولي الحادي عشر، ثقافة **الخوف**، 2006، ص22.

3- زهير محمود عبيدات، تجليات **الخوف** في رواية بابوس، ص824.

وقد تم تحويل **الخوف** إلى سلعة عن طريق نشر أخبار **الخوف** وأفلام الرعب للتأثير على الفرد، وصرف اهتمام الرأي العام، وتوسيع بؤرة **الخوف** وجعل المجتمع يعيش في حالة فزع، ويدخل الفن كآلية تعبر عن **مخاوف** الإنسان ووضع مثل هذه الحالات على طاولة التشريع للبحث عن دوافعها وآثارها واقتراح الحلول المناسبة لها، للتقليل من مخاطر لكي لا تتجاوز الحد الطبيعي لها "كالفوبيا".

ولعلنا نجد رسومات الإنسان الأول على جدران الكهوف والمغارات أكبر شاهد على تكريس الفن للتعبير عن حالة ليس ليد الإنسان دخل فيها (**الخوف**)، ومن هنا تأتي الفقرة النوعية في الكتابة الإبداعية.

وفي مجال الدراسات الأدبية عقد إبراهيم السعافين دراسة حول "ثقافة **الخوف**" في رواية "أمريكاني" لصنع الله إبراهيم في المجتمع الأمريكي و"مريم الحكايا" لعلوية صبح، كما احتفت الرواية العربية بحالة **الخوف** وعبرت عن هذه الثقافة كما في رواية "الأجنحة المنكسرة" لجبران خليل جبران و"زينب" لحسين هيكل و"الأيام" لطه حسين،¹ حيث أحدثت هذه الروايات نقلة نوعية في تصوير ثقافة **الخوف**، وقد اعتبرت رواية "الشرق المتوسط" لعبد الرحمان منيف من أكثر الروايات تعبيراً عن الرعب، وأن السلطة السياسية من مصادر ثقافة **الخوف**، ووقفت الدراسة التي أعدها علي محمد عودة حول "التخويف الناعم" في الرواية بدل البطش باعتبارها أسلوباً جديداً من أساليب **الخوف** والتخويف والإقصاء.

وقد تجلّى ذلك أيضاً في رواية "عَو" لإبراهيم نصر الله، حيث كان لثقافة **الخوف** تأثيراً كبير في لجوء الرواية إلى التجريد والترميز وإغفال ذكر الأسماء والتواريخ، لأن هذه الثقافة تسكن الذات العربية، وتركيبها وتغتال إنسانيتها، وتسلبها حقها في الأمن، وتفرض عليها قيوداً صارمة، ويأتي القلم للكشف عن كل هذه الملابسات في عمل روائي أو دراسة أدبية،

المدخل:.....(الخوف (المفهوم والمصطلح)

دون تجريد الكلمات وتعرية للمعاني أو الحديث عن شخصية بعينها، وظلوا أوفياء للكلمة الممتلئة حفاظاً على رمزيتها وغموضها وحقيقتها المراوغة.

ووقف العلاّق في دراسة له حول "شعرية الخوف في شعر يوسف الصائغ" عند التوظيف الفني في التعبير عن الخوف وذلك باستخدام الشعرية ويعني بها: "الجهد الذي يتيح إلى فائض الخوف الكامن في قرارة النفس ليستخرجه من هلاميته، وعمائه، ويلبسه كيانا ما ليصبح مائلاً ومرئياً"¹ فالصائغ يجسد الخوف ويبينه بالصورة والحركة والمشهد حتى صار عالمه أشد ضراوة من الكوابيس، وأكثر غرائبية منها.

3- أشكال الخوف:

اهتمت الدراسات الأنثروبولوجية بحالة الخوف كظاهرة نفسية اجتماعية مجتمعية، تتجسد في مجموعة من السلوكيات والتصرفات التي تظهر على الفرد خلال ممارسته لحياته اليومية، والتي يصادف فيها دوافع كثيرة تثير فزعاً وخوفه، وقد طرحت هذه الدراسات جملة من الأسئلة حول حالة الخوف وأنواعها، وقد طرحت هذه الدراسات جملة من الأسئلة حول حالة الخوف وأنواعها، وعن سبب تحول الخوف من حالة نفسية إلى هواجس يصاحب الإنسان ويحيط به ليتجلى كيفية ثقافية في المجتمع ككل، ومن ثم محاولة ردّه إلى أصله البيولوجي الفطري أو إعطائه بعد ثقافي واجتماعي أو ديني وسياسي، ومن ثم تنبسط هذه الأبعاد التي تجعل الفرد في حالة فوضى نفسية وتعكر المألوف عنده، وتحرك ما كان ساكن بالنسبة له، يقول فؤاد إبراهيم صاحب كتاب "صناعة الخوف" "أن ضاع الخوف نجحوا إلى حد كبير في تحقيق أهدافه من الأمر الذي يملّي الحاجة إلى الاقتحام المتكرر على عالم الخوف من أجل إحباط مفاعيله الثقافية والاجتماعية والسياسية والدينية"¹.

1- علي جعفر العلاق، شعرية الخوف: قراءة في شعر يوسف الصائغ، مؤتمر فيلادلفيا الدولي الحادي عشر، ص210.

2- فؤاد إبراهيم، صناعة الخوف: الأبعاد الاجتماعية والسياسية والدينية، دار الملتقى، ط1، 2009، ص05.

المدخل:.....الخوف (المفهوم والمصطلح)

فهذه الحالة لا تظهر لحظة اصطدامها مع الذات وإنما تطفو بارزة بعد عدة تراكمات متزاحمة، لتظهر كنوع من الفرع والخوف نتيجة موقف معين أعاد الذاكرة للحظة الاصطدام الأولى.

انطلاقاً مما يسبق وجب التفريق بين نوعين من **الخوف** ووضع خط التمييز بين **الخوف** كإحساس طبيعي وانفعال تلقائي إزاء حادث معين، و**الخوف** كشعور تفرضه جملة من الاضطرابات والعوامل الخارجية، التي تخرج **الخوف** من الحالة الطبيعية المألوفة إلى حالة مرضية مكتسبة، نتيجة الاحتكاك بالبيئة الاجتماعية التي تكسب المرء هذه الحالة من الرهاب.

3-1- **الخوف الطبيعي:**

الخوف الطبيعي هو **الخوف الفيزيولوجي** العادي الناتج عن بعض المخاوف التي يشعر بها الإنسان، والتي تولدها بعض المواقف، والتي تتحكم في نسبة الخوف وشدته، **فالخوف** هنا معطى نفسي ذاتي يأخذ طابعاً بيولوجياً، أي كإحساس أو انفعال طبيعي غريزي مرتبط بذات الفرد، فحينما يحس الفرد أن حياته مهددة، كأن يسقط من علو شاهق مثلاً، ينتابه إحساس **بالخوف** نظراً الغريزة حب البقاء التي يتمتع بها كل كائن، وهو قاسم مشترك بين كل الكائنات.

وأن يخاف الإنسان الخطر ويخشاه فذلك أمر طبيعي وفطري في أعماق النفس البشرية... وليس عيباً أو نقصاً... أو مطلوب منه اقتلاع جذور **الخوف** من النفس نهائياً، إنما وجب عليه مواجهة مخاوفه والسيطرة عليها لضمان بقاء **الخوف** ضمن مجالها الطبيعي.

فالخوف حالة سوية يصاب بها كل كائن حي، تشترك فيها جميع أفراد الجنس البشري، كحالة عادية وطبيعية لا تخرج عن مسارها المألوف وإن اختلفت طرف الاستجابة من إنسان إلى آخر **"فالخوف حالة انفعالية داخلية وطبيعية يشعر بها الفرد في بعض المواقف"**،¹

1- عبد العزيز الفوسي، أسس الصحة النفسية، النهضة المصرية، القاهرة، ص 329.

المدخل:..... (الخوف (المفهوم والمصطلح)

وهذا **الخوف الطبيعي** ضروري لحماية الفرد ودفعه نحو العمل والسلوك النافع، سواء أكان نتيجة مؤثرات داخلية أو خارجية "الخوف ينشأ نتيجة مؤثرات خارجية معينة"،¹ اشترط بينها وبين الاستجابة حدوث التناسب.

3-2- **الخوف المرضي (الفوبيا - الرهاب):**

قد يتحول **الخوف الطبيعي** المبرر إلى نوبات هلع وفزع غير مبررة، تسيطر على النفس نتيجة أمور تسبب التوتر والقلق عامة، فتحول مشاعر الإنسان الطبيعية إلى حالة مرضية اصطلح عليها "الفوبيا - الرهاب - الخوَّاف" وهذه المخاوف لا تلبث أن تتحكم في مشاعر الإنسان وتجعله أسير التفكير المتواصل في الشيء الذي يخفيه، ويمنع تقدمه علميا واجتماعيا، نتيجة هروبه من المشكلة ومحاولة الاختباء منها وتفاديها، وهذا ما يعرقل حياته الطبيعية ويضطره لتقديم بعض التنازلات والتراجع عن هدفه.

الخوف المرضي (الفوبيا - الرهاب): مرض نفسي وحالة مرضية تعني **الخوف الشديد** والمتواصل، الذي يجعل الشخص المصاب به يعيش عادة في ضيق وضجر، نتيجة مواقف وظروف معينة، قد تكون معروفة ومعقولة، أو تافهة وبسيطة ولا يمكن تحديدها، تجعل الإنسان مصحوب بخوف مبالغ فيه لدرجة الشذوذ "لا ينظر إلى المخاوف الشاذة على أنها مؤشر لبعض أنواع الاضطراب الكامن، ولكن ينظر إليها على أنها مجرد نتاج لتزامن ظواهر تحدث بشكل طبيعي كالمرتفعات والشعابين والأماكن المفتوحة"².

فالمخاوف الشاذة لا تتضمن خطرا حقيقيا يهدد الكيان البشري عامة وكيان الفرد خاصة، ومع ذلك يخاف منها ويرتعد، بمجرد التفكير أو تصور الشيء المخيف، هذا ما يجعله قلقا على ماضيه وحاضره ومستقبله، فضلا عن حالة الألم التي تبقى مصاحبة له "المخاوف الشاذة تركز حول شيء خاص وموقف معين لا يمثل أي خطر حقيقي للفرد، وفي وجود

1- إبراهيم وجيه محمود، مدخل إلى علم النفس، دار المعارف، القاهرة، ص50.

2- أحمد محمد عبد الخالق، أسس علم النفس، دار المعرفة الجامعية، ط3، ص- ص523-524.

المدخل:..... (الخوف (المفهوم والمصطلح)

هذا الشيء أو الموقف فإن الشخص غالباً ما تصيبه أعراض معينة¹، هذا ما يجعله متميزاً وإنصافه بالخصوصية والذاتية ولا معقولة.

- وتعرف "الفوبيا" على أنها من الأمراض النفسية العُصابية، ولفظها مشتق من مقطع في اليونانية Phobos وتعني الخوف، ونعبر عن مجموعة خاصة من حالات الرعب، القلق والذعر المرتبط بأشياء،² أماكن، تجارب، ومواقف محددة.

وتعرف "الفوبيا" في معجم مصطلحات الطب النفسي، على أنها "الرهاب-خَوَاف، خوف مرضي، هي الخوف الغير مبرر من مصادر وأشياء معينة وقد يستخدم اللفظ كلاحقة Phobic- phobe، والوصف منها خَوَاف أو رهابي Phobic ومن أنواعها: رهاب الخلاء Agoro phobia والخوف الاجتماعي Social phobia، والرهاب المحدد Specific- phobia، ويتم العلاج بالوسائل السلوكية والعقاقير³، من هنا فالفوبيا تتجاوز حالة الخوف الطبيعية التي قد يعاني منها أي إنسان، لتتحول إلى حالة مرضية، فضلاً عن التأثير السلبي الذي تتسبب في إحداثه، مسبب إعاقة في الحياة الاجتماعية والعملية واليومية، فضلاً عن عجز الإنسان عن التحكم في مخاوفه أو ضبط انفعالاته، وينتهي به الأمر إلى القصور التام عن مواجهة مخاوفه التي هي في أغلب الأحيان مخاوف غير منطقية رغم تأثيرها في سلوكه وتصرفاته، فالفوبيا إذن عبارة عن درجة غير طبيعية من الخوف نتيجة اضطرابات وظيفية أو علة نفسية المنشأ، يوجد معها اضطراب جوهري في إدراك الفرد لواقعه.

وقد تناولت المدارس النفسية الخوف المرضي كل على حدة وجاءت التعاريف مختلفة حسب منحى كل مدرسة.

1- المرجع السابق، ص 523

2- آرثر بيل، الفوبيا، الخوف المرضي من الأشياء وكيفية التغلب عليها، تر: عبد الحكم الخزامي، دار الأكاديمية للعلوم، ط1، 2011، ص 6.

3- لطفي الشريببي، معجم مصطلحات الطب النفسي، تر: عادل صادق، مركز تعريب علوم الصحة، ص 138.

المدخل:..... (الخوف (المفهوم والمصطلح)

فعرفت المدرسة التحليلية **الخوف المرضي** على أنه، شكل من المقابلة أو إسقاط لحالة القلق المنبعثة من الأوعي على شيء خارجي وهم في هذه الحالة يفصلون القلق بمصدره الأصلي ويحولونه إلى موقف في المحيط الخارجي، يقول إبراهيم وجيه محمود في هذا المقام: "الخوف ينشأ نتيجة لمؤثرات خارجية معينة، فليس عند الكائن الحي دوافع فطرية ندفعه للخوف"¹.

أما المدرسة السلوكية فهي تعرف **الخوف المرضي** على أنه، ردّة فعل مكتسبة، تعمل على اكتساب المؤثر الغير طبيعي ميزان المؤثر الطبيعي، عن طريق جعلت ظروف **الخوف** وموافقة تقترب بالمؤثر الأصلي كأن يخاف الإنسان من حيوان ما، بعدما يقترن هذا بوجود هذا الأخير بحادث ما هو الحادث الأصلي، ويحدث هذا الاقتران بوجود الموضوع والحادث الأصلي في آن واحد، فيجعل الإنسان بطريقة لا واعية ناتجة عن تحذير من الأوعي، يميل إلى الهرب والاحتماء من مصدر **الخوف** "فالخوف أحد الانفعالات البدنية العنيفة التي تملك المرء فتشله عن الحركة وتخمد نشاطه، ويتصف **الخوف** بحدوث تغيرات واسعة المدى في الجسم، كما يتصف بسلوك لدى الشخص قوامه الهرب أو الفرار أمام المثير الخارجي"².

إن جل التعريفات التي منحت **للخوف المرضي** تدور في مدار واحد ألا وهو عبارة عن درجة غير طبيعية من **الخوف**، تعطل الفرد وطاقاته في مجال السلوك الإنساني والاجتماعي، فتجعله منعزلاً خائفاً لا يشارك الآخرين ولا يستطيع التعبير عن نفسه ويصبح أداءه أقل من طاقاته وقدراته، خاصة في المواقف التي تسبب له حالة من الفزع والاضطراب هذا ما ولّد أنواع مختلفة من **الخوف المرضي** "الفوبيا" وجعلها متباينة من شخص إلى آخر، في ظل تصنيفات كبرى لهذه الحالة ونذكر منها على سبيل المثال: **الخوف من البلع Phagophobia**، **الخوف من الأطفال الرضع Pedophobia**، **الخوف من الأشجار الطويلة**

1- إبراهيم وجيه محمود، مدخل إلى علم النفس، دار المعارف، القاهرة، 1980، ص50.

2- أسعد رزق، موسوعة علم النفس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1987، ص127.

المدخل:.....(المفهوم والمصطلح) الخوف

Hylophobia¹، وغيرها الكثير من أنواع الخوف المرضي والتي بقيت شامخة كعملاق انفعالي لافت في ممارسة الحياة الصاعدة والهابطة يوميا، والتي تمتع السير الطبيعي لحياة الفرد خاصة.

- تصنيفات الخوف المرضي "الفوبيا":

تدخل اضطرابات الخوف المرضي المختلفة في تصنيف اضطرابات القلق وتتسم السمكات المميزة لاضطرابات الرهاب بأنها موقفية *Situationnelle* أي لا يظهر الخوف إلا في مواقف معينة من أشياء معينة، ويكون الرهاب مصحوبا باضطراب الهلع أو من دونه.

* النوع الأول: الرهاب البسيط: وهو الخوف من الأمور البسيطة مثل الخوف من الحيوانات، والخوف من المرتفعات وغيرها، والتي تدفع الإنسان للتفكير والهروب من المأزق أو تجنبه، مستعملا المنطق الخاص به ليتخلص من الخطر المحدق به وهذا أمر طبيعي وفي نفس الوقت رهاب بسيط، وهو ما يسمى بـ "الخوف المرضي النوعي أو المحدد *Spécifique ou phobia simple*" وهو الخوف من الأجسام أو موافق معينة مثل الخوف من الحيوانات أو الفراغات المتقاربة أو المرتفعات"².

* النوع الثاني: وهو رهاب الخلاء "agoraphobia" وهو الخوف من الأماكن العامة المفتوحة مثل الحافلات العامة ومراكز التسوق المكتظة والتي يصعب الهروب منها مما يجعل المريض يصبح تدريجيا حبيس المنزل.

* النوع الثالث: وهو "رهاب الاجتماعي *phobia sociale*"، وهنا يخاف المريض من أن يظهر دون المستوى الاجتماعي أو الفكري أو أن يشعر بالإحراج من مواقف الاجتماعي، مثل: النحت أمام الآخرين أو أمام جماعة الناس.

1- آرثر بيل: الفوبيا، الخوف المرضي من الأشياء والتغلب عليها، تر: الحكم الخزامي، ص 06.

2- رحالي فاطمة جلييلة، مقارنة نفسية علاجية عبر الأنترنت للخوف المرضي البسيط، رسالة دكتوراه في علم النفس الإكلينيكي، جامعة محمد بن أحمد، كلية العلوم الاجتماعية، 2014-2015، ص 18.

المدخل:..... (الخوف (المفهوم والمصطلح)

نستخلص مما سبق أن **الخوف المرضي** عبارة عن **خوف** غير طبيعي دائم وملازم للفرد من شيء غير مخيف في أصله، وهذا **الخوف** لا يستند إلى أساس واقعي، وهو شعور شديد بالخوف من موقف لا يثير الخوف نفسه، ولا يمكن السيطرة عليه من قبل الفرد رغم إدراكه التام بأنه غير منطقي.

فهذا **الخوف المفرط** يشل الفكر ويهزج الجسم، ويمتدح من التقدم وتفجير الطاقات، وهو المرض الذي تعاني منه الأكثرية الساحقة من الناس، لأنهم يفرطون في خوفهم من كل شيء "المرتفعات - الحشرات - الأماكن العالية - الأماكن المفتوحة..."¹ حتى تسيطر مخاوفهم عليهم، وتجمد قد قدراتهم وكفاءاتهم وتجعلهم عاجزين أمام شبح **الخوف**.

4-أبعاد صناعة **الخوف**:

عندما تفقد المنظومة الاجتماعية قدرتها على خلق الاستقرار الحقيقي الفعال داخل المجتمع، يحدث تصدع لهذا الكيان من الداخل، وتتووع التيارات في رحمه، فتظهر اضطراب للأهداف وتباين للمصالح، فيعم **الخوف** أرجاء المجتمع، وتختلط الطبقات ببعضها، مفرزة انتماءات متنوعة، ذات خفايا مختلفة، تسبب حالة من **الخوف والفرع** في نفس الإنسان، فهو **خائف** من القوة السياسية أن تسجنه أو تعرقل بعض مصالحه، وخائف من الجهات الدينية أن تكفره أو تصدر في حقه فتوى بضالته والتشكيك في دينه، ويخاف من مراكز النقود الاجتماعي أن تحاصره وتلغي دوره في المجتمع، ويخاف من نفسه على نفسه أن يورطها أو بسبب لها مشاكل أو يوقعها في فشل، هذا **الخوف المكعب المربع**، الذي يملأ النفس الإنسانية، ولدته عناصر مختلفة، وجعلت منه ثقافة مسيطرة، كابحة لجل الطوائف، ومهيمنة على الأفراد والمجتمعات، مسببة لها ركود وجمود معرفي لا يمكن له أن ينهض في ظل هذه الكثافة السوداوية من **الخوف**.

1- المرجع السابق، ص 18.

4-1- البيئة الثقافية للخوف:

إن الثقافة ظاهرة تختص بها كل المجتمعات وتتفق في عموميتها، لكنها تختلف عن بعضها في خصوصياتها، وهذا راجع إلى المجتمع الذي تمخضت عنه فأصبحت بذلك جزء من العلوم الاجتماعية "إن الثقافة موضوعة في معناها الإثنولوجي الأكثر اتساعاً، هي هذا الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع"¹، من هنا فالثقافة تعبير عنه شمولية الحياة الاجتماعية للإنسان، وتتميز ببعدها الاجتماعي، وهي مكتسبة.

أما الخوف فهو وسيلة يستشعر الفرد من خلالها ما يعاينيه من اضطراب وقلق، يندمج في نفسه، ومع الوقف يستوعبه كحالة ملازمة له، نظراً لغياب ما ينقص من تفشي هذه الظاهرة "ثقافة الخوف" والتي تنتج عن موفق واحد، ولا تظهر دفعة واحدة، إنما تتكشف بصورة واضحة بعد عدة تراكمات، وهذا ما زاد خطورتها، وجعلها ظاهرة جديدة ذات دلالات بالغة الأهمية، لأنها تنقل الخوف من حالة طبيعية عاطفية تتولد في لحظة انفعال وقلق إلى حالة مسيطرة على الفرد وملازمة له في مختلف جوانب حياته، وسواء كان الدافع موجود لاستشارة الخوف أو لم يكن موجوداً.

تعمل ثقافة الخوف على صهر كينونة الفرد في الكيان الاجتماعي ويحدث له مسح شامل لهويته وتفكيره وحتى مشاعره وقيمه الإنسانية ليكون الخوف وحده المسيطر والمنغمس في نسيج الوعي الجماعي والفردية ومختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية، الاجتماعية... في هذه اللحظة يظهر فرد جديد محمل بشحنة مكتسبة من احتكاكه بمجتمعه، "الفرد يعاد صياغته من خلال دمج في المجتمع الخاضع تحت تأثير اشاعات ثقافة

1- دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2007، ص31.

المدخل:.....(الخوف (المفهوم والمصطلح)

الخوف، فلا يعود فرداً سوياً مستقلاً، بل جزء من مسخ جماعي، يكتسب خصائص المجتمع الممسوخ، يفكر كل فرد فيه، كما يلبس وينطبق ويهجم بطريقة واحدة، إنها أوركسترا الخوف التي تعزف لحناً موحداً لخدمة صانعيه¹، فثقافة الخوف هي نتاج شروط موضوعية مرتبطة بنظام اجتماعي محدد يعمل على خلق آليات وظروف تستهدف الأفراد ومن ثم الجماعات، فتشل إرادتهم وتخلق بنية سلوكية وفكرية سلبية ومحاطة بشبكة عنكبوتية من الخضوع والاستسلام وجو عام مطبوع بالخوف وإيديولوجية تضليلية، تروج للأكاذيب والإشاعات، لعصر المجتمع في بؤرة الخوف وجعل وضعه أكثر تعقيداً.

4-2- البيئة الاجتماعية للتنشئة الرهابية:

إن العودة إلى التاريخ الاجتماعي للمجتمعات يساعد إلى حد كبير في فهم الكثير من السلوكات والمظاهر كونها نتاج ظروف معينة ترسبت وترسخت في الذاكرة الجماعية للأفراد، ليقوموا بإعادة إنتاجها بطريقة لا واعية غير مدركين للخطورة التي تحملها.

فقد أعادت أنظمة الاستبداد عبر التاريخ إنتاج وإعادة إنتاج ثقافة كاملة من الخوف مؤتثة بمظاهر اجتماعية أصبحت ضاربة في اللاوعي الجماعي والفردية، مشكلة أمامه حاجز بمنعه من التحرر وسلسلة من قيود المعاناة التي تكبله وتشل فكره، فتجعله في حالة الضغط تحوله تدريجياً إلى كائن يخاف من كل شيء حتى استمراره في الحياة لا يمكن ضمانه.

"إن تمدد مجال الخطر والممنوع يبدأ بخطر ذهني حيث يكون ألا مفكر فيه وألا يجوز الاقتراب منه أكبر من المباح الذهني، ليعكس الخطر في السلوك الفردي والجماعي في هيئة انطواءات متعددة الأشكال...قلة هي دفعة الحوافز التي يحصل عليها الفرد في

1- فؤاد إبراهيم، صناعة الخوف: الأبعاد الاجتماعية والسياسية والدينية، ص 09.

المدخل:..... الخوف (المفهوم والمصطلح)

مجتمع الخوف من أجل المغامرة واقتحام المجهول، فثمة اختلال عميق بين الحوافز والكوابح¹.

والمجتمع يتكفل بإنتاج الخوف والترويح له عبر نمط اجتماعي موحد وقهري وهنا تتشوه عملية التوافق الاجتماعي، وتعم السلبية أرجاء المجتمع وتظهر على سبيل المثال في لغة التخاطب اليومي (لا أستطيع، غير ممكن، صعبة، مستحيل...) وهذا ما يجعل النموذج الاجتماعي يرتكن إلى الوراثة ويخاف من أي ردة فعل، فتكون الأرضية مناسبة لنمو ثقافة الخوف وسط إيديولوجية تنتشر وعي مزيف ومشوه عن حقيقة الواقع الذي ينتمي إليه الأفراد، كونه يخدم مصالح الفئة السائدة في المجتمع.

في ظل هذه الحواجز التي تفرضها ثقافة الخوف، ينتج اليأس على مستوى الأفراد والجماعات، فيولد أفراد مطبوعين بمشاعر الكآبة والضجر، لأن المولودين في مجتمع الخوف يفتحون أعينهم على قوالب تربية وثقافية جاهزة تغرس في أنفسهم الريبة والهلع منذ أيامهم الأولى، فيضحوا مجرد عبيد ليس لهم الاستقلالية في تفكيرهم، فالأنا الأعلى أي السلطة تتسلل في كيان الفرد لتكون السلطة المطلقة التي توجه سلوكهم وتفكيرهم وحتى وجودهم ضمن المجتمع.

4-3- البيئة الدينية للتنشئة الرهابية "لاهوت الخوف":

يشكل الخوف منظومة كبرى في الإرث الديني، وكان لتحول أساليب الدعوة من الترغيب إلى الترهيب مصدراً أساسياً في إنكفاء مشاعر الخوف في العقول، كأن يستخدم بعض مواعظ التخويف كاستراتيجية مؤثرة في السيطرة على العوام لدرجة أنهم يهددون بالدعاء على من يخالفهم، وأن الله عز وجل مستجيب لدعائهم، فاحذروا أيها المخالفون، "تتناول طبقة من الفقهاء والوعاظ النصوص الدينية والمحرضة على السمع والطاعة للحكام، والتخويف من الخروج عليه لاقتران طاعة الحاكم بطاعة الله والرسول، وأن الخروج عليه خروج

1- المرجع السابق، ص 23.

المدخل:..... (المفهوم والمصطلح)

عليهما>>¹، من هنا تصبح صناعة الخوف جزءاً جوهرياً من الثقافة الدينية، ويبدأ تخيل الأفراد بكتلة ضخمة من النصوص المحملة بجرعة أو بالأحرى جرعات من الهلع والفرع، وصار الاستدلال بآيات القرآن الكريم عنصراً تخويفياً كثيف الحضور في الخطاب الديني عند بعض الجماعات قال تعالى >> **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**>> سورة البقرة، الآية 195.

هذا كله من أجل ضرب حصار على المجتمع وشل حركته وجعله مرهوناً بتعاليم رجل الدين الذي يملئ عليهم وباستمرار نواهي الله ومحرماته، ويجعلها في توازي مع السلطة وحاكمها وجعل الفرد في قبضه السلطة، فالسياسي يستبد الأجساد والديني يستبد القلوب والعقول، وكلاهما يعملان من أجل بسط نفوذ ثقافة الخوف وتذليل الإنسان، في ظل جهله وخوفه يقول الكواكبي: **"لا يخفى على المستبد أن لا استعباد ولا إعتساف ما لم تكن الرعية حمقاء تتخبط في ظلامه جهل وتيه عمياء"**>>².

إن ثقافة الخوف التي أصبحت مبنوثة في ألياف الوعي الجماعي أصبحت ملازمة ومطرزة بألفاظ دينية وآيات قرآنية من أجل تحقيق هدف واحد منشود، هو ممارسة فعل التخويف على المجتمع وفكره وحتى موروثه العقيدي، وبالتالي يبني الخوف تماثيله في الذات ويجعلها حبيسة التسليط القهري بقوالبه الفكرية والدينية الجاهزة، والتي تعمل على اختطاف الوعي وجعله في حالة ترهيب مستمرة ودائمة.

4-4- البيئة السياسية للتنشئة الرهابية:

الخوف ليس مجرد غريزة فقط، بل رمز لفقدان الأمن والأمان في أي مجتمع سواء عندما تشغل الفتن والاضطرابات، أو عندما تفقد الدولة المركزية سلطتها ويغيب الاستقرار، مما يجعل المواطن يشعر وكأنه ريشة في مهب الريح، وبؤرة للمخاوف والهواجس، في ظل النظام

1- المرجع السابق، ص 25.

2- عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، دار النفائس، مصر، القاهرة، 1902، ص 30.

المدخل:.....الخوف (المفهوم والمصطلح)

الاستبدادي وغياب القانون "فعندما يكون جوهر العلاقات الحاكمة للنظام المستبد هو الاعتبارية المقيدة فإن كل شيء يغدو ممكناً في ظل دولة جوهر نظامها الاستبدادي غياب القوانين ولأنها اعتبارية تتبع بعض الحرية ولو كانت فوضوية"¹.

من هنا يتحول **الخوف** إلى ثقافة في المجتمع، عندما تسمح الأرضية السياسية بذلك، وتكون الظروف ملائمة، ونتائجه معروفة مسبقاً فينتشر بذلك أفقياً وعمودياً، ويصبح مكوناً أساسياً من مكونات المجتمع ويضرب بيد من حديد، لأن أخطر أنواع **الخوف**، هو **الخوف** من سلطة الاستبداد...**وخوف** من البطش...**وخوف** من الإقصاء والملاحقة، حيث يغدوا الفرد فاقداً لكرامته، لا يشعر إلا بالخواء والخيبة والظلام وتلاشي لقيمته الأخلاقية، وهو هنا في هذه المرحلة بالذات يعتبر أكبر خاسر، وهذه الخسارة لها أثر بالغ ومروع على قوام المجتمع ككل لقول أحمد شوقي في بيته الشهير الذي ربط فيه الأخلاق ببقاء الأمم:

إِنَّمَا الْأُمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا لَقِيتُ فَإِنْ هُمْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا²

والاستبداد السياسي المحصن بثقافة **الخوف** ينتج مجتمع يعيش في حالة تردد دائم، بحيث لا يمكن للأيدي أن تبني وهي ترعش، وهنا يعجز المجتمع عن الإنتاج، لأن السلطة السياسية أفرغت كل سمومها في جسده، وجعلته بين الهيمنة والسيطرة "الفارق بين الهيمنة والسيطرة في أن الدولة الحاصلة هي جمع وتركيز قوة المجتمع فإنها بحاجة إلى الهيمنة التي تعكس سيادتها، أما السيطرة فهي من خصائص الدولة التسلطية القائمة على القوة الإكراهية والتخويف"³.

1- فؤاد إبراهيم، صناعة الخوف: الأبعاد السياسية والاجتماعية والدينية، ص44.

2- أحمد شوقي، الشوقيات، ج1، دار العودة، بيروت، 1988، ص224.

3- فؤاد إبراهيم، صناعة الخوف: الأبعاد السياسية والاجتماعية والدينية، ص47.

المدخل:.....الخوف (المفهوم والمصطلح)

إن الوقوف عند حدّ المعطيات السالفة الذكر، يلاحظ طغيان ثقافة **الخوف** وتفشيها في المجتمع، كان نتاج لتضافر عدّة بيئات مختلفة "ثقافية- اجتماعية- دينية وأخيراً سياسية"، والتي أفرزت نتائج وخيمة عادت على الفرد خاصة بالكثير من الضرر، وجعلته حبيس مخاوفه، وأسير هواجسه وسلبت منه حقه في التفكير والتعبير، وقلبت نمط حياته، غارسة فيه ثقافة سوداء يغطي ظلامها كل ما يحيط به.

وانتشار **الخوف** كثقافة وفعل يؤدي تلقائياً إلى ضعف ثقافة الحرية والحق وينعكس ذلك على أهم ما تقوم عليه المجتمعات والشعوب وهو "الأخلاق"، وهذا ما ينعكس على القوانين، ليغدو الفرد متمرداً عليها "فالخوف لا يقتل الأنا الأخلاقية في الفرد فحسب بل تقبل الأنا القانونية بداخله"¹.

1- المرجع السابق، ص44.

المدخل:.....الخوف (المفهوم والمصطلح)

من خلال ما سبق نستخلص أن:

- الرواية من أهم الأجناس الأدبية التي رسمت صورة واضحة للمجتمع الذي روت عنه.
- الرواية تأخذ قيمتها كلما ارتبطت بالسياق الاجتماعي القائم.
- لقد رصدت الرواية العربية مختلف التحولات التي مر بها العالم العربية.
- حملت الرواية الجزائرية أهم المحطات الثقيلة التي أرهقت كاهل الشعب الجزائري.
- صورت الرواية الجزائرية فترة العشرية السوداء وحاولت إعطاء نبذة عن حالة الخوف والهلع التي عانى منها الفرد الجزائري.
- الإنسان يمر بانفعالات كثيرة في حياته اليومية، ترتبط بإثارة دوافعه القطرية والمكتسبة، مثل: الخوف، الفرح، الحزن...
- تظهر انفعالات الإنسان في مواقف وحالات مختلفة، لتكون بمثابة رد فعل على الوضع الراهن.
- كان من نتائج العشرية السوداء التي عصفت بالجزائر، نتائج وخيمة على النفس الإنسانية، تمثلت أساسا في تحريك هاجس الخوف.
- حظي مصطلح الخوف بالكثير من الشروح والتعاريف، في كثير من التخصصات ومجالات المعرفة، التي أجمعت على أنه الفرع والهلع والرعب.
- الخوف هو شعور بالرهبة والفرع من أمر ما.
- حاول علم النفس من خلال مبادئ وأسس التحليل النفسي أن يمسك بحقيقة الخوف وكشف أسرارها، لتحرير النفس من هذه الشائبة التي قد تطور وتظهر كعائق أمام استقرار النفس.
- تتجلى ثقافة الخوف في العالم العربي من خلال العلاقة مع الآخر ورغبته الملحة في استعمار العالم العربي، وبث التدمير والتبعية.
- الغرب "الآخر" ذا صلة وطيدة بحالة الخوف وهو مصدره من خلال ما عرف به من أطماع اتجاه الثورة العربية.

المدخل:.....الخوف (المفهوم والمصطلح)

• ينقسم الخوف إلى: خوف طبيعي وهو خوف فيزيولوجي ناتج عن بعض المخاوف التي يشعر بها الإنسان في حالته الطبيعية وخوف مرضي رهابي يظهر كنوبات الهلع والفرع الغير مبرر.

• الخوف المرضي الرهابي تفرزه ظروف معينة، يشعر الإنسان من خلالها بالفرع الشديد والهلع من محيطه وحتى من نفسه ويمكن اعتباره خوف مكتسب.

• لصناعة الخوف في النفس الإنسانية بيئات كثيرة منها:

1-البيئة الثقافية.

2-البيئة الاجتماعية.

3-البيئة الدينية.

4-البيئة السياسية.

تعمل هذا البيئات على زرع الخوف اللاطبيعي في النفس الإنسانية فيظهر الإنسان سلوكات غير سوية وردود أفعال تختلف من شخص إلى آخر.



الفصل الأول

تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

1- دلالة العنوان:

2- دلالات الغلاف والصورة:

3- تجليات خطاب الخوف عبر الشخصيات:

4- تجليات خطاب الخوف عبر المكان:

5- تجليات خطاب الخوف عبر الزمن:

6- التعدد اللغوي/ تعدد اللهجات



الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

تحمل البنية السردية عالما متخيلا أو حقيقيا من الحوادث التي تشكل المبني الروائي، ينتظم بمنظومة متكاملة من العلاقات والشائعات الداخلية التي تنظم آلية اشتغال المكونات الروائية الثلاثة مع بعضها البعض، بطرح: ماذا حدث؟ كيف حدث؟ مروراً بكيفية بناء الشخصية وعلاقتها، والزمان وتقنياته، والمكان وأنواعه من خلال هذه الدراسة، سنقف عند مكونات البنية السردية وتجليات خطاب الخوف عبرها.

1- دلالة العنوان:

يعتبر العنوان الواجهة الأولى التي تتصدر العمل الروائي، وتكمن أهميته في جلب انتباه المتلقي، هذا قبل تتبع معناه من حيث الدلالة والعلاقات التركيبية بين كلماته، كما أنه المظهر الأول الذي يتلقاه قبل فعل القراءة، ويستطيع من خلاله تحضير أفق الوقع. و يتميز العنوان ببليوغرافية خاصة به، تمنحه التشكيل الكلي داخل فضاء الصفحة، حيث ينفرد بها، إظهارا لنفسه وإشعارا بأهميته فهو: "أول عنصر يدخل معه القارئ في علاقة مباشرة"¹.

جاءت الرواية حاملة لعنوان "تماسخت...دم النسيان" كنقطة انطلاق جوهرية تجذب القارئ لفهم محتوى النص وهذا العنوان المكون من صيغتين، الأولى رئيسية وهي " تماسخت" والثانية فرعية وهي " دم النسيان"

تماسخت: كلمة مفردة جاءت في موقع المبتدأ المرفوع محلا مجزوم لفظا بالسكون الظاهر على آخره لأنه أعجمي و " تماسخت" اسم مؤنث ينتهي بتاء ساكنة مأخوذة من الفعل مَسَخَ.

أما الصيغة الفرعية " دم النسيان" فقد جاء مركبة، جاء فيها " الدم" موقع الخبر المرفوع بالضممة الظاهرة على آخره وهو مضاف، أما " النسيان" فهو مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

¹ - عبد المجيد نوسبي، التحليلي السيميائي للخطاب الروائي، " البنيات الخطابية، التركيب والدلالة"، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2002، ص 109.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

في الناحية اللغوية، "تَمَسَّخْتُ" مأخوذة من الفعل الماضي مسخ، الذي يعني في لسان العرب لابن منظور:

" مسخ (م-س-خ): المسخ: تحويل صورة إلى صورة أقبح منها وفي التهذيب: تحويل خلق إلى صورة أخرى، مسخه الله قردا بمسحه وهو مسخ ومسيخ، وكذلك المشوه الخلق"¹ وفي حديث "ابن عباس": "الجان مسيخ الجن كما مسخف القردة من بني إسرائيل، الجان: الحيان الدفاف، ومسيخ، فاعيل بمعنى: مفعول من المسخ، وهو قلب الخلقة من شيء إلى شيء ومنه حديث الضباب: "المسيخ، من الناس الذي لا ملاقه له، ومن اللحم الذي لا طعم له، ومن الطعام الذي لا ملح له ولا لون ولا طعم"².

فكلمة مسخ تعني تحويل الشيء من صورته العادية إلى صورة أشبع منها، والفعل "مسخ" هو مرادف للفعل شوه الذي يدل على قمة القبح.

أما دلالة الدم: فقد ورد ذكر للونه في القرآن الكريم بقوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ" سورة فاطر، الآية 27.

و قد ارتبط اللون الأحمر بالدماء " فقد أغير هذا اللون من الألوان المخيفة نفسيا لارتباطه بالدماء، وكونه لونا مخيفا لم يكن مقتصرًا على ارتباطه بالدماء فقط، بل ارتباطه بالنار المشتعلة أيضا"³.

كما جاءت عبارة الموت الأحمر كثيرا في الشعر العربي القديم، " يقول أبو تمام :
وملحيا لاقى المنية حاسرا والموت أحمر واقعا بحياه⁴

¹ - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، باب الميم، مج14، دار صادر، بيروت، ط3، 2004، ص 71.

² - المصدر نفسه، ص 71

³ - رنيم موسى شعبان، دلالة الألوان في الرواية النسوية الفلسطينية دراسة تحليلية إحصائية، مذكرة ماستر، جامعة الأزهر، غزة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2016-2017، ص: 28.

⁴ - المرجع نفسه، ص: 27.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

فالدلم يقتزن غالباً بالألم والجرح العميق، والخوف الذي يشعر به الإنسان المقهور، الذي ينزف جرحه كل يوم بسبب صراعه مع الحياة، هذه الايحاءات السلبية والعلامات تؤدي إلى طريق واحد مختوم بالموت بأبشع الطرق.

أما النسيان: فارتبط معناه بالفقدان والحرمان والمعاناة، والمرض وكذا اضمحلال الذاكرة، وكلها نصب في نهر النسيان.

ومادة "نسي" في لسان العرب تحيل إلى "النسيان بكسر النون هو ضد التذكر والحفظ، ورجل نسيان بفتح النون أي كثير النسيان للشيء، والنسيان : الترك"¹.

يقول تعالى في سورة مريم : . : " .. وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا " سورة مريم، الآية 23

أي: متروكا، فالنسيان مرتبط بالترك والاستغناء عن الشيء بقصد: كل هذه المرادفات لا تأتي من عدم، إنما هي نتيجة أسباب متراكمة في ذاكرة الأمة الموحوعة، فالألم هو الدلالة والأثر الذي يخلقه الجرح فيه رمزية على عمق الجرح الذي أدى إلى النزيف.

وارتبط معنى النسيان الذي أحال إليه الروائي بمحو الأثر وعدم تذكره يعجز أمام تواجد الدم، فبقاء أثر الجرح دلالة على قوة الألم، وبهذا فهو يؤكد على استحالة النسيان مادام الأثر موجودا.

" تماسخت ... دم النسيان " كتبت بدم ضحايا زمن الرعب والشقاء، ذلك الزمن الذي لا يرحم ولا تعرف الرحمة طريقا إليه، زمن يبقى خالدا في ذاكرة، تنزف ألما كلما رأت دما.

و هذا ما أفصح عنه الربط بين دلالة تراكييب العنوان، وما أظهره فعل القراءة، الذي أحال ضمنا إلى العنوان "تماسخت دم النسيان".

فقد جاء عنوان رواية " تماسخت... دم النسيان " عنوان مكثف مكتنز بالمعاني والأبعاد الدلالية، فلفظة " تماسخت " تطرح بشدة على المتلقي التساؤل حول الشيء الذي امتسخ

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ص ص 250-251.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

وتشوه وذهب ملامحه، ويقابله من جهة أخرى ارتباط لفظة " تماسخت " بالمكان فهي تحيل إلى أحد القصور المتواجدة ببلدية تماسست الواقعة ضمن دائرة فنوغيل لولاية أدرار الجزائرية، تبعد عن مقر البلدية بمسافة خمسة كيلومتر، ويعتبر معلم أثري وذاكرة حاضرة كل الحضور، صارخة وشاهدة في وجه النسيان والتهميش "تماسخت هو مكان معلوم، فصر من قصور منطقة توات "أدرار" له في الذاكرة الجماعية لأهل الجهة معان عدة، تجمع بين الواقعي والأسطوري"¹، فهو إلى حد اليوم يواجه بصمود ويتعامل مع قساوة المناخ الصحراوي، وقد بناه الزعيم الأمازيغي الذي يحمل القصر اسمه وهو الملك "تماسخ" في السنة الرابعة للميلادي.

واختبار الروائي لهذه الصفة والتسمية إلا على سبيل " الارتباط بالمكان الدال على الحل والترحال، الإقامة والسفر"²، فالمسخ والتحول الذي شحنت به لفظة " تماسخت " أحال من دون شك إلى الوطن الجزائر الذي تشوه بدم القتل فترة محنة العنف والظلم التي مسخت القيم ونشرت شتى أنواع الترهيب والتخويف، يصرح السائح في أحد حواراته قائلاً "... تماسخت غصة عالقة في حلقي بلهيب الغضب والقلق والشعور بالعجز، الشعور بعجز فادح، عن مواجهة الخراب، خرابنا الروحي إذ كيف يصبح في لحظة من ذلك السباق التاريخي، شعب بأكمله، في أرض تفوق مساحتها المليون كيلومتر مربع، سجين ذاته مهددا في حياته نازفا كل ساعة مزيدا من الدماء فا قد آكل يوم حجما متزيدا من مقدراته"³.

¹ -رائية عزاب، نجاح تلاقت، صورة المثقف في الرواية الجزائرية المعاصرة " رواية تماسخت للحبيب السائح أنموذجا"، مذكرة ماستر، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2016-2017، ص 61.

² - المرجع نفسه، ص 61

³ -نواره لحرش، الروائي الحبيب السائح، جريدة النصر 12-09-2009م، الموقع الإلكتروني:

com annasr. Djazair. www://:http

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

أما " دم النسيان" الذي أشار إليه الروائي هو دم الضحايا الأبرياء الذين سقطوا إبان فترة العنف والقتل، فالجزائري هو ذلك الإنسان الممتحن بفتنة الوطن ومأساته التي تشكل قدره بحثا عن الأمن والسلام اذ يتهده الموت ويترصد به كل لحظة إزاء القدر الراهن والواقع الفاجع.

إن تكثير الدم لا يدل على فقدان الهوية بقدر ما يوحي على جهل سبب الموت، وغياب أي مبرر لسقوطهم، هذا ما جعل دمهم نكرة غير معروف، أريق بدون غاية ذكر ولقضية لا جدوى منها، أما " النسيان" فان مسار توظيفه ثابت فهو دائما يدل على تلك الآفة التي تلحق بالذاكرة، والأصل في العنوان هو " نسيان الدم" يحضر في الذهن بداهة، وهذا ما يفصح "الحبيب السائح" عنه، لأنه في أعماقه متعب من شيء اسمه الذاكرة ويأمل في نسيان المحنة حتى يتخلص من أوجاعه وآلامه، لكن النسيان يعد خيانة منه لرفقاء الدرب ممن طالتهم همجية الإرهاب الأعمى " فجزائر هذه المرحلة تشهد نهاية الإنسان بكل آماله وطموحاته، وتكشف عن انهيار القيم وتبدها أنها الفاجعة، وما أصعب أن تتحول الحقيقة إلى سراب والواقع إلى وهم، والممنوع إلى مستباح وتنقلب الأمور ويصبح العالي سافلا"¹.

فارتباط المكان تماسخت، بدم النسيان الذي سفك من دون أي مبرر وأصبح أمرا مسكوتا عنه أمام قدر يشعر الإنسان دوما بفاجعة الموت الرخيص... موت شنيع جعل إماتة إنسان على يد إنسان كفر في حق الإنسانية وتدنيس لكرامتها، فكل حزن عابر إلا حزن الموت الرخيص، هذا الارتباط يعبر عن أمل الكاتب وإيمانه في أن يتحمل الشعب الجزائري حملة المسخ والتشويه، فكما صمد قصر تماسخت واستطاع مجابهة الزمن، على الوطن أيضا أن يبقى مستمرا لا يستسلم ويرفض هذا الوضع المأساوي.

¹ - محمد تحريشي، رحلة الكتابة - كتابة الرحلة نحو أفق كتابة مغربية، عبد الحميد بن هدوقة، جامعة بشار، الموقع الإلكتروني:

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

إن ثنائية " المكان والإنسان " التي حاولت أيادي الطغاة محوها واقتلاع جذورها واغتصابها، هو ما شكل الخطاب الروائي والتمن الحكائي الذي يتوالد ويتشعب إلى حد التيه، واستنادا إليهما تتأسس أنساق خطابهما: المكان- الإنسان/ الذاكرة- النسيان/ الذاتي- الجماعي/ الواقعي- التاريخي/ الروائي- السير ذاتي.

فالذاكرة التي تحدث عنها الروائي، ذاكرة ملطخة بلحظة أليمة وحالة مأساوية عاشها الكاتب وعاشتها الجزائر، فالمكان العام هو الوطن، والذي حمل الكاتب جراحه وآلامه وحتى أحلامه أينما حل وأينما ارتحل، بحثا عن الأمان، يقول: " انك حين تهبط الصحراء فنعيش الوحدة والوحشة لقوة قاهرة تراك ولا تراها ولكنك تبصر بعض تجلياتها كفيض النور ورهبة الشاسعة وجبروت الصمت فنجد نفسك في قضائها سابحا جزئيا"¹ الذي فقدته النفس وجعلها في أنين وصراخ لا يسمعه أحد، لأن فجيرة هذا الوطن وجرحه الذي لم يندمل بقي راسخا في الأذهان .

لم يكن خطاب رواية " تماسخت...دم النسيان " خطابا مباشرة يركز على أسباب الموت اليومي للناس، وأسباب الأخطار المحدقة بهم أو بمصيرهم، " فالعنوان يرمي إلى أمر غائب في النص على القارئ أن يبحث عنه لاكتشاف البيئة المولدة للدلالة والجديرة بأولية التحليل"²، إنما كان خطابا ترميزيا يخفي أكثر ما يظهر، يحكي فجيرة وطن، وغربة إنسان، ألم نفس، وقدر موت، وواقع سوداوي " فالعنوان هنا لم يكن كشافا للمعنى، إنما هو كشف إذ يقوم على توليده في ذهن الملقى أكثر من قيامه على توضيحه"³.

¹ - الحبيب السائح، " تماسخت...دم النسيان"، ص108.

² - أحمد مداس، لسانيات النص " نحو منهج لتحليل الخطاب لشعري"، جدار للكتاب العالمي، عمان الأردن، عالم الكب الحديث أريد- الأردن، دط، 2007، ص 11.

³ - سلمان كاصد، عالم النص " دراسة بنيوية في الأساليب السردية"، دار الكندي للنشر والوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2003، ص15.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

" تماسخت ...دم النسيان" ربطت بين الجزائر السبعينات وجزائر العشرية السوداء، حيث انزوت الرواية التسعينية في التعبير الكابوسي والظلامي عن الراهن، وما خلفه الإرهاب من وشم وحفر في الذاكرة، ورفع لصوت سنفونية الخوف في جزائر الإنسان المنهار، في هذا المكان، في هذا الاسم في هذه الرحلة الطويلة لذات المشتتة الباحثة عن ميناء سلام فأني واقع هذا الذي نحياه أو نحلم به وسط هذه المفارقة العظيمة التي تختلط فيها الأشياء وتتداخل، ولا سبيل لخلاص الجزائري من محنته سوى هذا الخراب الجاثم فوق الأجساد والأرواح.

تماسخت بعد كل هذا هي لعنة القدر ومحنة الذاكرة ونصف الروح الممسوخ، هذا ما حمله العنوان ودلت عليه الصورة المرافقة له.

2- دلالات الغلاف والصورة:

2-1- الغلاف الخارجي:

يعد الغلاف الخارجي من العينات النصية المهمة، التي تواجه القارئ وتساهم بما تحويه من أشكال وصور ولوحات تشكيلية، في جذب المتلقي لفهم النص والوقوف على عتماته ومحاولة إضاءتها " فالغلاف ومكوناته يعد المدخل الأول لعملية القراءة باعتبارها اللقاء البصري والذهني الأول مع الكاتب"¹، فهذه التشكيلية من العناصر تتضافر لتولد الدلالة التي يتأسس عليها النص الروائي، فقد كانت قضية "الاهتمام بأغلفة الكتاب تحمل قصدية تامة ومتأكدة بسبب أنها تتوزع بين ما هو جمالي خال من فكرة مسبقة تربط الغلاف بمضمون النص"².

¹ - عبد الله محمد الركيب، النسيج اللغوي في روايات الطاهر وطار أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، 2006، ص 30.

² - هشام محمد عبد الله، اشتغال الفنيات في رواية " من أنت الملاك"، دراسة في المسكون عنه، مجلة ديالي، كلية التربية، قسم اللغة العربية، ص 665.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

ولقد حمل الغلاف الخارجي عنوان الرواية المرسوم بـ "تماسخت... دم النسيان" في أعلى الرواية ليبرز إلى المتلقي ويواجهه ليفتح له باب التأويل، وقد كتب بخط غليظ باللون الأسود الذي يحيل إلى الخوف والتشاؤم، فاللون الأسود يرمز عامة وعموماً إلى: "الخوف من المجهول والميل إلى التكتّم ولكونه سلبي يدل على العدمية والفناء"¹.

وهناك ألفاظ كثيرة في اللغة تجمع في أغلب الأحيان على أن اللون الأسود هو ضد الجمال ويحيل إلى كل ما هو سيئ، ووضعوا تدرجه فقالوا: "أسود - أسحم - ثم جون - قاحم - حالك - حانك ثم انه حلوك - سحوك - دجوجي"².

كتبت لفظة "تماسخت" بشكل كبير وخط واضح مسيطرة على أغلب فضاء صفحة الغلاف فوق مساحة بيضاء، فحجم الخط وكبره، أحال إلى شساعة المدينة الصحراوية أدرار، التي لجأ إليها البطل لينسى مخاوفه وأخبار الموت والدماء، ويبحث عن السلام الداخلي، في صحراء أدرار المسكونة بالهدوء، في هذا الصدد نورد حواراً للروائي "الحبيب السائح" يتحدث فيه عن مدينة أدرار يقول: "مدينة أدرار كانت ملجئاً خلال عشرية مأساتنا الوطنية أمنتني من خوفي، ومنحتني أن أحبها، فبادلتها عشقاً كان على درجة معرفة الله فيها جميلاً بلا غضب"³، فأدرار هي المدينة التي أوتته واحتضنته بعد سنوات المحنة والضياع.

أما البياض الذي كتب على صدره العنوان "تماسخت"، فليس بياضاً ناصعاً يحيل إلى الأمل والتفاؤل، الشيء المتعارف عليه، والصفة الملازمة له: "فالأبيض لون الصفاء والنقاء واتخذ أيضاً معنى الأمل والتفاؤل والنصر، فهو لون يحمل معنى الفخامة والجمال

¹ - مرضية أباد، رسول بلاوي، دلالات الألوان في شعر يحيى السماوي، إضاءات نقدية محكمة، السنة الثانية، العدد 8، 2012، ص 20.

- المرجع نفسه، ص 20.²

³ - أحمد بلقاسم جعفري، الأبعاد التاريخية في رواية "تلك المحبة" للحبيب السائح، مجلة العاصمة، الجامعة الإفريقية أحمد دراية أدرار، الجزائر، المجلد 9، 2017، ص: 19.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

والأنافة"¹، فاللون الأبيض يوحي بمعنى تطمئن له النفس وتحس بالصفاء والسكينة ويبعث على التفاؤل والسرور والحب ...

انما جاء ملطخا ببعض السواد، الذي أحال إلى المأساوية التي عاشها البطل والتصقت بروحه، ودفع ضربتها داخل وخارج نطاق جغرافيته، حيث كان الخوف يلاحقه كالشبح الذي يكبس على أنفاسه ويشل حركته ويدفع به إلى دهاeliz العتمة، ويجعله أسير الذاكرة المظلمة والحقبة الدموية التي هزت كيان الوطن وقلبت وجود الإنسان، هكذا تحول لون البياض والصفاء إلى لون للخوف والموت، " يرتبط اللون الأبيض في جانبه السلبي بلون الشيب الذي يمثل التقدم في العمر، الاقتراب من الموت، ولون الكفن الذي يرمز إلى نهاية الحياة، ورمز للحنن لدى بعض الشعوب"².

2-2- صورة الغلاف:

هذا الحزن الذي عبرت عنه " تماسخت " من خلال حروفها وجسدته ألوانها العاتمة، ترجمته الصورة المتواجدة على ظهر الغلاف، حيث تظهر الصورة ذات ألوان ضبابية وقليلة الإضاءة لإنسان متشطي ممسوخ تظهر عليه ملامح الريبة والخوف، وقد ظهر نصف الوجه مشوها تكاد ملامحه من شدة تشوهاها، ليظهر في صورة قبيحة، ترتعش منها الأبدان، يغلب على وجه الإنسان المشوه اللون الأسود الذي هو لون "كل الأشياء المفزعة مثل الأفكار السوداء - السنوات السوداء، أنه لون الحقد والكراهية والحزن"³، فالإنسان الجزائري مفجوع في وطنه، حزين عن نفسه، لأنه لم يستطع أن يجد خلاصا، من هذا القدر البائس الذي كتب له الموت الرخيص، والمسوخ البطيء الذي يقتل في اليوم مئة مرة، باستحضار صور الدم والقتلى وحالات الاغتيال الشنيعة التي راح ضحيتها أناس أبرياء .

¹ -رنيم موسى شعبان، دلالة الألوان في الرواية النسوية الفلسطينية دراسة تحليلية احصائية، ص98.

² -المرجع نفسه، ص98.

³ -المرجع نفسه، ص80.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

كما تظهر الصورة تدرجات للون الرمادي، والذي يحيل كل منها إلى حالة تعيسة يعيشها المواطن الجزائري تحت وطأت الجماعة المسلحة التي تمتن التتكيل وأبشع أنواع التعذيب فاللون الرمادي الباهت في أعلى الصورة يمثل: "الخوف من الموت والرعب والحنين"¹.

فالموت الذي يخافه المواطن ليس موتا عاديا، وقدّر كل إنسان، "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ" سورة آل عمران، الآية 185، إنما موت تطبقه أيادي بشرية متطرفة، تخلو أجسادها من الضمير الإنساني، تزرع بهذا الفعل الشنيع **الخوف** والرعب الذي يتحول إلى هاجس يطارد الإنسان في كل لحظة، فلا يجد خلاصا منه، سوى الرجوع إلى الماضي البعيد واستحضار الذكريات الجميلة، لمواساة النفس في فجيعتها والتخفيف عنها.

أما اللون الرمادي الغامق فهو: "أقرب إلى السواد ويمثل الكآبة وانقباض النفس وانعدام والأمل"²، وهذا فعلا ما أحس به بطل الرواية "كريم" الذي عاش في حزن عميق، لأنه أدرك أنه لا أمل لرجوع الوطن إلى حالته الطبيعية، وهذا ما يدفعه إلى الانتحار في نهاية المطاف.

لقد أفصح عنوان الرواية والصورة التي حملها الغلاف على متن الرواية وأهم أحداثها، فالعنوان يفصح عن هوية الرواية، في حين قد تأخذ فضاء معادلا وظهيرا فنيا نستعين به كفضاء الصورة المرسومة في غلاف الرواية الأمامي، ليكافئ دلالة العنوان المكتوب، وتقريب التفصيل الروائي، وكومضة خاطفة لما هو مبعوث في المتن.

فالصورة التي رافقت عنوان الرواية "تماسخت...دم النسيان"، هي التي منحت شعرية غير مألوفة، شعرية تحيل إلى كيان الكيان ألا وهو "الوطن الإنسان"، حيث أظهرت

¹ - المرجع السابق، ص128.

² - المرجع نفسه، ص128.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

الصورة فترة دموية مسخت الإنسان والوطن، وهذا ما عبرت عنه تلك الشظايا من الصورة والتي ساهمت في إثراء المغزى الكلي للخطاب .

2-3- الغلاف الخلفي:

الغلاف الخلفي هو العتبة الخلفية للمدونة أو للكتاب، يقوم بوظيفة عملية، هي " إغلاق الفضاء الورقي"¹، والأغلفة مصممة مقصودا لترويج فكر الروائي وصوته معا، أحدهما يفدي الآخر، وكل منهما يستكمل النقص المستعمر للمعنى أو يعطيه حيوية أكثر، أو يعوضه بطريقة لائقة ولافتة للمتلقي.

وقد كان الغلاف الخلفي لرواية " تماسخت.... دم النسيان " حاملا لحالة التشئت والانهازم التي عانى منها البطل "كريم" خلال عشرية كاملة، حيث يطغى على فضاء الصفحة اللون الرمادي الذي جسد أبشع أنواع العنف الجسدي والنفسي الذي تعرضت له النفس البشرية البريئة، التي لم يكن لها أي ذنب سوى أن قدرها كتب لها العيش في ظل الحقبة الدموية، التي نشرت الحزن والهم في كيان الوطن عامة والفرد خاصة، " كان العبريون يغمرون أنفسهم في الرماد تعبيرا عن الهم العميق، وفي الغرب الرمادي هو نصف الحداد"².

وقد كتب الروائي على ظهر الغلاف الخلفي نهاية بطله كريم المحزنة، حيث وضع حدا لحياته وأقدم على الانتحار في غرفته، لأنه لم يود أن يدنس جسده برصاصة متطرف يقول الروائي: "كأسي الأخيرة من زجاجتي الأخيرة في يدي شريط التسجيل في الآلة خلفي لن

¹ - بلعدي حبيبة، شعيرة العتبات في ديوان " أسفار الملائكة لغز الدين ميهوبي"، مركز الكتب الأكاديمي، 2016، ص100.

² - كلود عبيد، الألوان " دورها- تصنيفها- مصادرها- رمزياتها- دلالتها"، مراد محمد حمود، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع والنشر-بيروت، ط1، 2013، ص2015.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

يلبث أن يتوقف، لن تسمع ارتطامي، أضع الميكروفون، الآن أرمي خطوتي الأولى في الفراغ لأقهر جاذبيتني"¹. بهذه المأساة يغلق السائح نصه المفجوع في بطله.

3- تجليات خطاب الخوف عبر الشخصيات:

تحتل الشخصية مكانة مهمة في بنية الشكل الروائي، فهي من الجانب الموضوعي أداة ووسيلة الرواي في التعبير عن رؤيته، وهي من خلال الوجهة الفنية بمثابة الطاقة الدافعة التي تدور حولها كل عناصر السود حيث يتم نقلها من الحياة ومجادلتها أدبيا داخل النص، لدرجة أن بعد المهتمين بالشأن الروائي يميلون إلى القول بأن الرواية شخصية.

3-1- تعريف الشخصية:

تعد الشخصية عنصرا مهما من عناصر بناء الرواية، فهي تصور الواقع من خلال حركتها مع غيرها، وهي العنصر الذي يضطلع بمهمة الأفعال السردية، ودفعها نحو نهايتها المحددة، ذلك أن "الشخصية هي التي تفجر القصة وتعدد أبعادها، وتدفع بها إلى اتجاهات جديدة، ومع جميع خصائص الشخصية وملايتها فإن القصة تتغير فالشخصية هي التي تجعل القصة مفروضة"².

فالشخصية مكون هام في البناء السردية، وهي بمثابة نظام عام في بنية شاملة، يكتمل مدلولها في علاقتها مع شخصيات أخرى، مشاركة لها في العمل، وهي ذات سلوك معين ووجود فيزيقي خاص ومالا يحصى من الطباع؟ "فهي كائن حي له سمات إنسانية ومنخرط في أفعال إنسانية"³.

¹ - الحبيب السائح، تماسخت...دم النسيان، ص210

² - المصدر نفسه، ص210.

³ - جيرالد برانس، قاموس السرديات، تر: السيد أمام، مرين للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص30.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

و لا أحد من مكونات الخطاب السردى يقدر على ما تقتدر عليه الشخصية، فهي قادرة على تعرية أجزاء من شخصيات الناس كانت مجهولة فيهم، " فالشخصية الروائية بحكم قدرتها على حمل الآخرين على تعرية جزء من أنفسهم، كان مجهولا إلى ذلك الحين"¹.

يظهر من خلال هذا قدرة الشخصية على أداء أدوار مختلفة، يحملها إياها الروائي، ويجعلها في وضع يمكنها من تعرية أي مستور، والكشف عن أي نقص أو عيب يعيشه أفراد المجتمع.

ومن الطبيعي أن تكون هذه الشخصية مستمدة من الواقع ومنبعثة منه، خاصة أن "الشخصية الإنسانية مصدر امتناع وتشويق في القصة لعوامل كثيرة"²، لكنها تختلف عنها في كونها بديل فني لشخصية الواقعية، تعكسها وتتجاوزها، بل أنها تعبر عنها، وتساعد على فهم العام من خلال الخاص.

فالشخصية عماد البناء السردى ومركز الأفكار ومجال المعاني التي تدور حولها الأحداث، وبدونها تغدو الرواية ضربا من الرعاية المباشرة والوصف التقريرى والشعارات الجوفاء الخالية من المضمون الإنسانى المؤثر في الحركة.

3-2- أنواع الشخصيات:

حضور الشخصية في الرواية يكون بمثابة المرآة العاكسة التي يرى فيها القارئ نفسه بكل شفافية، لذلك فتوظيفها في العمل الروائى يكون بدقة، ومستند إلى عدة معايير، نتيجة لتنوعها واختلافها، "بحسب المحددات التي ينطلق منها كل ناقد، وبحسب أطوارها عبر العمل الروائى"³.

¹ - عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 1998، ص 79.

² - علي عبد الرحمن فتاح، تقنيات بناء الشخصية، في رواية"ثرثرة فوق النيل"، ص 49.

³ - عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، ص 87.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

من هنا جاء تصنيف الشخصية حسب الدور الذي تقوم به، ونوع وظيفتها داخل المتن الروائي، إلى محورين رئيسيين متمثلان في الشخصية الرئيسية وتقابلها الشخصية الثانوية.

أ- الشخصية الرئيسية:

هي الشخصية المحورية التي تحتل مرتبة الصدارة في العمل الروائي حيث أنها تقوده وتدفع بأحداثه إلى بؤرة التأزم، وتكون أكثر ظهوراً وإشعاعاً مقارنة بشخصيات أخرى، فالشخصية الرئيسية هي التي: "تدور حولها الأحداث وتظهر أكثر من الشخصيات الأخرى، ويكون حديث الشخصيات الأخرى حولها، فلا تطفئ أي شخصية عليها"¹، وتلعب الشخصية الرئيسية دور البوصلة في توجيه الحدث وفق نسق معين يصطفيه الروائي، وتكون هذه الشخصية قوية ذات فعالية حاملة لأفكار وأحاسيس، كلما منحها الروائي مساحة واسعة تنمو وتتحرك وفق قدراتها وتطلعاتها، وأبرز وظيفة تقوم بها الشخصية الرئيسية هي: "تجسيد الحدث القصصي"².

فالشخصية الرئيسية هي النموذج الذي يجسده الروائي من خلال الدور المسند إليها، وفي ذات السياق هي الدائرة المرتبطة بالواقع والمحرك الأساسي للأحداث في العمل الروائي، فهي تقوم بحدث رئيسي وتترجم رؤية عامة، تجسدها من خلال أفعالها وأقوالها في ظل الحرية والمساحة الواسعة التي تتحرك فيها، والتي منحها إياها الروائي، هذا ما يترجم هدف الشخصية الرئيسية " فالشخصيات الرئيسية تهدف جميعاً لإبراز صفاتها، ومن ثم تبرز الفكرة التي يريد الكاتب إظهارها، فقد تكون الشخصية رمز الجماعة، أو لأحداث يمكن فهمها من القرائن الملفوظة والملحوظة"³، من هنا تحظى الشخصية الرئيسية بمكانة متفوقة

¹ - عبد القادر أبو شريفة، حسين لافي قزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر، عمان- الأردن، ط4، 2008، ص 175.

² - بدوهن سلمى، بلجنان نوال، فنيان وتقنيات القصة القصيرة وخصائصها عند أحمد رضا ححو " نماذج بشرية"، مذكرة ماستر، جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2014-2015، ص 19.

³ - عبد القادر أبو شريفة، حسين لافي قزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص 135.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

يجعلها محل اهتمام الشخصيات الأخرى والساد أيضاً، فهي بؤرة الحدث وجسم العمل ومحرك الوقائع في المتن الروائي.

وقد قامت رواية " تماسخت... دم النسيان " على شخصين رئيسيين هما: كريم والجماعة المسلحة.

أ-1- شخصية كريم:

هو الشخصية المحورية في الرواية والرابط بين مختلف الشخصيات والمحرك الرئيسي لجلب عناصر البنية السردية التي تسير وفق منظومتها وقد حمل على عاتقه مهمة تأطير أحداث وأفعال العالم الروائي.

كريم شاب جزائري مثقف جسد دور الراوي للأحداث، حيث يقول : " وجدتني أسير مع شخص لا أعرفه"¹، اسمه الكامل " كريم بن محمد" يعمل في مهنة الصحافة التي كان كثير النقم عليها، حيث وصفها بمهنة الموت، بعد أن اغتيل صديقه عمر بأبشع الطرق، يقول في ذلك: " كم كان ينظر بعبثية كبعض زملائه، إلى مهنة الموت كذلك صاروا ينعنونها منذ اغتيال أول زميل لهم"².

بعد حادثة اغتيال صديقه عمر، ينعل كريم الطريق الذي أدى به إلى الجامعة ليدخل كلية الصحافة، يقول السارد: "يومها غادر كريم مكتبة ولعن الطريق التي قاده إلى الجامعة ليدخل كلية الصحافة"³، ويصبح صحفياً عاجزاً عن كتابة حرف واحد حول اغتيال صديقه عمر يقول كريم: " كيف عجزت عن رسم حرف البياض الشاهق واستسلمت في معركتي لخوفي"⁴.

¹ - الحبيب السائح، تماسخت... دم النسيان، ص 05.

² - المصدر نفسه، ص 07.

³ - المصدر نفسه، ص 07.

⁴ - المصدر نفسه، ص 16.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

كريم هو: اسم البطل الذي اختاره الروائي، لينقل التجربة التي مر بها، ويؤكد على الصلة الموجودة بينه وبين البطل، فهما وجهان لعملة واحدة، وحكاية عن سيرة ذاتية، يعبر عنها ضمير المفرد "أنا" تارة، بقول كريم عن نفسه: " أنا بلا فريق كنت وبلا فصيل صرت"¹، وبضمير الغائب تارة أخرى، حيث يقول السارد: " ففي عراء المحطة أحس كريم برودة سرت في ظهره"²، وقد وظفه الروائي ليمنح السارد البطل حرية التعبير وإبداء الرأي وإصدار الأحكام.

ويحيل اسم كريم إلى صفة مشبهة تعنى السخاء والعطاء، وهو لتأكيد على واقعية الأحداث، وإقناع القارئ، وهو شخصية ورقية اختارها القارئ لغرض فني يتمشي والموضوع العام، " تصبح الشخصية كائن ورقي، يألف الجمل التي نصفه أو التي وضعها المؤلف على لسانه"³، تعكس هذه الشخصية واقعا عانى منه الروائي في جزائر الدم المغمورة في عذابات الإرهاب القائم على المسخ الوجودي، صورت وجهها من وجوه معاناة المثقف على وجه الخصوص، الذي لم يجد خلاصا منها، سوى الهروب يقول: "أقولها لك تعاسة... الجزائريون جميعا فارون"⁴.

لقد ترك الجزائري كغيره من الإعلاميين خوفا من غدر الطغاة الذين أخذوا أرواح البشر، وسرقوا منهم آمالهم وطموحاتهم لكن ما لم يستطيعوا أخذه منهم هو حبهم لوطنهم، يقول كريم عن وطنه الجزائر: " الجزائري عزيزة علينا"⁵، لأن هذا الحب راسخ في عقولهم ساكن في قلوبهم، ولا يمكن لأي أحد اقتلاعه منهم فالوضع الذي آلت إليه الجزائر، جعل من كريم شخصية غير مستقرة، ومرتحلة من مكان إلى آخر حاملة لحزنها العميق، يقول

¹ - المصدر السابق، ص 20.

² - المصدر نفسه، ص 21.

³ - حميد لحميداني، النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2000، ص 78.

⁴ - الحبيب السائح، تماسخت... دم النسيان، ص 23.

⁵ - المصدر نفسه، ص 115.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

السارد: "وأغمض عينيه ممتصا حزنه"¹، وتبحث عن استقرار داخلي ونسيان لصوت سنفونيا موت عزفت طيلة عشرية كاملة.

انتقل كريم من الجزائر إلى المغرب، ومن هناك شد الرحال إلى تونس ليعود في نهاية المطاف إلى موطنه الجزائر، يقول السارد عن حالة كريم: "أراد أن يصرخ في عمق الليل حتى يبدد صور الخوف واليأس المتراكمة بطول المسافة حتى الرباط ومنها إلى وهران إلى الجزائر، فتونس ومنها عودة إلى البدء"²، وفي موضع آخر يؤكد على أن رجوعه للجزائر أمر لا بد منه في الأخير يقول كريم: " إلى الجزائر لا بد من الرحيل يوما، وداعا تونس وشكرا"³.

فعودة كريم إلى الجزائر بسبب رغبتين، تمثلت الأولى في الوقوف أمام غباوة العنف الأعمى، وكتابة صفحة من الحماقة في تاريخ الطاغوت الذي سفك دماء الأبرياء، ووضع نهاية له يقول كريم: " سنوفر لأهل ضحايانا مشهدا رائعا ليتطهروا ولأولئك البدائيين المتوحشين لحظة ردع باترة"⁴، كما أن الجزائر لن ترضى باستمرار هذا الوضع يقول: "لن ترزع، لن تسلم لنهاية مظلمة لأن قلبها ممنون بدم الشهداء"⁵ لأنها هي الأخرى تألمت للأرواح التي ذبحت عليها، ولدماء التي امتصتها مرغمة، أما غايته الثانية فتمثلت في وضع حد لحياته، والإقدام على الانتحار بعد أن عجز عن نسيان خوفه، والخلاص من قسوة الذكريات التي كانت تزوره بين الحين والآخر حاملة معها موت قاهر وفزع منتشر في كل مكان، فعودته إلى موته كان بمثابة استسلام للعنة التي ظلت تلاحقه حتى خارج جغرافيته، يقول كريم: " خرجت وحدي إلى موتي برصاصة أو ذبحا وربما بسرطان"⁶، لأنه أدرك أنه لا

¹ - المصدر السابق، ص 59.

² - المصدر نفسه، ص 41.

³ - المصدر انفسه، ص 209.

⁴ - المصدر نفسه، ص 204.

⁵ - المصدر نفسه، ص 142.

⁶ - المصدر نفسه، ص 209.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

خلاص من محنته إلا بالموت المبرمج أو موت يقدم به في حق نفسه وهو الأمر الذي عزم عليه كريم في اليوم الذي عاد فيه إلى الجزائر، يقول كريم: " كآسي الأخيرة في يدي وشريط التسجيل في الآلة خلفي لن يلبث أن يتوقف، لن تسمع ارتطامي، أضع الميكروفون، الآن أرمي خطوتي الأولى في الفراغ لأقهر جاذبتي"¹.

فالموت هو الحقيقة المؤكدة في بلد سادته العنف والظلم، وسيطر الخوف على نفسيته قاطنية، وانتهكت في نواه مواطنيه لتظهر ذات متشظية مخربة، عاجزة عن المضي قدما، منتظرة أجلها المحتوم برصاصة أو ذبح بخنجر، فما أبشع أن يشعر الإنسان بفقدان رخيص لحياته؟، وما أتعس أن يكون شاهدا على نقطة نهايتها؟ والأحق من ذلك أن يصبح رقما متداولاً في بورصة التتكيل والتقتيل، إن الوضع المأساوي الذي آل إليه كريم في آخر المطاف، كان بسبب مصدر رئيسي، يبيت الرعب في المكان قبل الإنسان، فقد كان المحرك الذي دفع كريم للخروج من وطنه، كما كان سببا حالة خوف والهلع الذي عانت منها نفسية كريم وغيره على طول أحداث الرواية، هذا المصدر التخوفي تمثل في الجماعة المسلحة.

أ-2- الجماعة المسلحة:

الجماعة المسلحة_ الإرهاب _من الشخصيات الفاعلة في تحريك وتيرة الأحداث من جهة، ودفع شخصية البطل الى الأمام، وإحداث اضطراب نفسي ووجودي لها من جهة أخرى.

هي تنظيم جماعي يحاول خلخلة نظام قائم، وزعزعت السلطة وانتهاك القيم السائدة في المجتمع، " فالإرهاب ليس حدثا بسيط في حياة المجتمع، وقد لا يقاس بالمدة التي استغرقها، ولا بعدد الجرائم التي يقترفها، بل بفضاعة ودرجة وحشيتها، وعندما يتعلق الأمر

¹ - المصدر السابق، ص 210.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

بالجزائر، فإن الإرهاب تقاس خطورته بتلك المقاييس جميعا إذ استغرق مدة غير قصيرة وارتكب جرائم كبيرة، وارتكبها بفضاعة بلغت أقصى ما بلغته من الهمجية¹.

امتهنت هذه الجماعة المسلحة مهنة القتل والاعتقال وسفك دماء الأبرياء بدون شفقة، ونتيجة فكرها الزائف أفرزت واقعا رديئا قائم على الذبح والقتل الذي لم يسلم منه أحد يقول السارد: " أشار كبيرهم إليهم بالسير خلفه نحو الجبل، وقد طوقهم على الجانبين مسلحون متقبصون متوترون أصابعهم على المكابس، فلم يشفع للنساء بكاء وللرجال توسلات، ولا حتى تقبيل رجلي من كان يبدو أميرا للمجموعة"²، فبهذه الاغتيالات الجماعية التي ضمت مختلف شرائح المجتمع، غرق الوطن في الدمار والخراب وعمت المعاناة أرجاءه، وانتشرت الجثث في أنحائه يقول كريم لأحد الشيوخ: " أنت الآن تدوس هياكل وجماجم طمرها هذا اللون المكبد"³، يشير كريم في هذا المقطع إلى الطريقة التي تلجأ إليها الجماعة المسلحة في التتكيل بالجثث، حيث أنهم يفصلون الرأس عن الجسد بدليل قوله: "هياكل وجماجم"، وهذا وجه من وجوه همجية الجماعة وفضاعة ما تقوم به، يقول كريم واصفا طريقة القتل: " القطع الثلاث المعلقة: الرأس، الصدر، الحوامل، والأرجل جثمان رجل عارف"⁴.

فأي ذاكرة قادرة على نسيان هذه الفضاعة وقساوة قلوب مرتكبيها، وبأي حق ينكل الإنسان بجثة إنسان، وأي عدالة هذه التي تشرع القتل لمن تشاء وتتعداه لدرجة التتكيل الفضيع يقول كريم باسم شعبه: " لا تستغرب الجنون قائم في ذاكرتنا والقتل يللم زماننا غدا وثأرا وتنكيلا"⁵، فهو بهذا لا يستطيع أن ينسى زمنا جاء بقدر ملعون كتب بالبند العريض " الموت والتتكيل قدر الجميع" ولا هروبا من ذاكرتك الشاهدة على جهنم التي

¹ - حبيبة حجاج، مليكة أوكسل، صورة الموت في رواية الأزمة الجزائرية " راية الحلاج وزغاريد الدماء"المحفوظ كحوال، ص 65-66.

² - الحبيب السائح، " تماسخت... دم النسيان، ص 29.

³ - المصدر نفسه، ص 127.

⁴ -المصدر نفسه، ص 127.

⁵ -المصدر نفسه، ص 120.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

أوقدوا نارها بجثث سكان الجزائر، يقول كريم محاولا السخرية من فعل الجماعة المسلحة: " أنه يرتسم على صفحات وجودنا معرة؟ أنظر الحماقة تستنزفنا مثل جهنم تنادي فينا هل من مزيد، أبصر من هنا خلق ستار الخجل"¹.

فأمام تشابك ضغط الجماعة المسلحة ونكد الحياة، وقسوة الذكريات، وتتامي الخوف والفجيرة في نفس المواطن الذي أصبحت روحه رخيصة أمام رصاصة طائشة تقذف بها لعنة مستمرة، يجد الوطن نفسه غارقا في جنون القتل الدرامي، حاملا على ظهره مواطنا عانى من حالة خوف رهيب، جاعلة منه إنسان مضطرب في نفسه ووجوده غير قادر على تغيير قدره، الذي ذله واغتصبه، وجعله شيء منسيا، يقول كريم في هذا الصدد: "إهانة تاريخية مستمرة، مذلة إنسانية شاملة، واغتصاب وجودي سافر قدرنا على هذه الأرض يأس مدمر وموت بطئ، هل تملك شبرا واحدا تستطيع الحركة فيها بلا قيد"² هذا الضعف الوجودي، والانكسار النفسي وعدم القدرة على المواجهة والاستسلام للقدر الفاجع، زادت همجية الجماعة المسلحة وتعاملها الشنيع مع المواطن، الذي أصبح لا يشعر بأنه هو، ولا يستطيع حتى التكهن بنهاية هذه المهزلة التاريخية، التي ارتكبت مجزرة فضيحة في حق نفوس بريئة، ليس لها ذنب سوى أنها خلقت على أرض الجزائر، في هذا المقطع يبرز كريم حالة اغتيال شنيعة راح ضحيتها صبي بريء يقول: " فأخذ برجل الصبي والثدي في فمه، فجذبه منها من حجرها، فضرب به الحائط فانتثر دماغه في الأرض"³، كما يورد كريم حادثة اغتيال جماعية راحت ضحيتها آلاف الأرواح البريئة يقول: " ثلاث مئة رجل في ساعة واحدة، وعذب شيخ فقير وضرب عنقه كما قتل فقيهين من غير أهل مذهبه"⁴.

¹-المصدر السابق، ص120.

²- المصدر نفسه، ص107.

³- المصدر نفسه، ص127.

⁴- المصدر نفسه، ص 127.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

هذه الأفعال الشنيعة التي قامت بها الجماعة المسلحة في حق النفوس البريئة تبقى راسخة في ذاكرة البطل كريم الذي هرب من وطنه حتى لا يكون فريسة تتكل خناجرهم بها، فهي المسؤولة الأولى عن حالة الهلع والخوف الهستيرى الذي ظل ملازماً لكريم في أي مكان وفي كل زمان، جاعلاً منه شخصية انهزامية غير قادرة على مواجهة، مكتفية بقدر طاغي، يتقن في القيام بالممارسات لا إنسانية، التي توحى إلى تغيب الضمير وموته.

عملت الجماعة المسلحة على زرع حالة من الخوف والتخويف داخل كيان المجتمع من خلال قيامها بعمليات القتل والتكيل بلا رحمة، حيث أنها تفقد للمشاعر الإنسانية، وليس في جسدها ضمير، فهم مثل الحيوانات المفترسة في تعاملهم، يقول: " ليلة اغتيال سي عبد القادر كانت المذبة ذاتها زرعت قنوط الكافرين إذ لا كن بأسف مقتن في نهاية الخبر المروع أن العملية وقعت في شهر العباداة والتسامح والغفران"¹، فالعجيب أن القتل والتشويه يتم في شهر رمضان، شهر التسامح والغفران وهذا إن دل على شيء أنه يدل على تطرق هذه الجماعة وعدم فهمها لسماحة الإسلام.

ولقد كان الجميع هدفا لهذه الجماعة ولو يمنع من بطشها أحد، يقول: " فما تركوا في المنازل من الأثاث والحلي ولا الفراش إلا نفض صوفه، حتى الحمام والدجاج كانوا يذبونها "².

كما ذكرت الصحفية نبأ اغتيال المحافظ، تقول: " كان المسلحون مدججون مقتعين بالرشاشات الهجومية، وأفرقوا الرصاص في ملابسهم"³، لقد كانت مهمتهم الوحيدة هي القتل والاغتيال والتكيل، ولقد تفاجئ كريم بنباً اغتصاب جميلة التي جلس معها ملياً قرب

¹ - المصدر السابق، 112.

² - المصدر نفسه، ص 126.

³ - المصدر نفسه، ص 136.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

الشاطي، يقول السارد: " فإذا ودعته جميلة على الشاطي، نسي أن يهنئها بحلول يناير الجديد، لم يكن يدري أن الوحش سيغتصبها منه فنذهب دون أن يستدرك لها"¹.

لقد انتهكوا إنسانية الإنسان ليس بالقتل فحسب، وإنما بالتشوية أيضا، لتبقي صور الجثث راسخة في الأذهان وعالقة في الذاكرة، يقول السارد "ففي قطار التاسعة الليلي، موغلا به في عمق ضياع أحق بخروف ضال، هيمنت عليه صور الموت والرعب الهائلة"²، فلا الزمن ولا الذاكرة قادرة على محو هذه الفضاعة، يقول كريم: " لا الكحول ولا أي حامض كان سيمحوا من ذاكرتي صورة ذلك المسلح الكابوسية "³.

فالشخصية المسلحة هي التي دفعت شخصية البطل للانتقال من مكان إلى آخر، وجعلته يعيش في حالة من الهلع والخوف الهستيري، نتيجة الممارسات لا إنسانية التي كانت تقوم بها الجماعة المسلحة، الأمر الذي جعل البطل ينقم عليها في كثير من المرات، يقول: " لكن هذه الجزائر مجنونة خالية وسريالية كلما أظهرنا لها عشقتنا أفسحت إلينا نحو الموت على صدها كأطفال ينامون؟ قابعة هنا في ذاكرتنا في عمق نسياننا، ضميري يتأرجح لمجرد ذكر اسمها"⁴ لأنها لم تقدر له سوى الموت والخوف .

كما تعرض أخ جميلة للاغتial مع أربعة آخرين، إذ راودهم الوحش وسفك دمهم بكل برودة يقول: " كلف مسلح بأن يربط أيدي الأربعة بالسلك خلف ظهورهم، ونادى مسلحا آخر باسم جعفر وأشار إليه أحمد إلى اليمين فأبركه، بقوة فيها كان السائق يتابع المشهد متمسكا بالمقود كازا أسنانه مقاوما....مسلح آخر أدخل في منخري أحمد سلكا معقوفا، وأسفر النحر لنجر الجزيرة "⁵ .

¹ - المصدر السابق، ص145.

² - المصدر نفسه، ص47.

³ - المصدر نفسه، ص98.

⁴ - المصدر نفسه، ص142.

⁵ - المصدر نفسه، ص145.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

لقد كان العنف من أهم الأساليب التي تعتمد عليها الجماعة المسلحة في بث الخوف في نفوس الناس من جهة، واثبات وجودها وكيانها من جهة أخرى، حيث طال عنفها الصغير قبل الكبير، المرأة قبل الرجل، يقول السارد: " انهم يقطعون يديه ورجليه يا سيدي"¹.

فالجماعة المسلحة شكلت نقلة وانقلابا شاملا في حياة الجزائريين، خاصة مع ظهور ممارسة جديدة لفعل التدين "كلما اشتد النحر، زاد التقرب إلى الخالق"²، وفتحت قناع الدين والوعي الزائف، الذي تمارس من خلاله أعمالها الإجرامية، ويعتبرون أن كل من يخالفهم يستحق الإدانة .

كانت شخصية البطل كريم والجماعة المسلحة من أبرز الشخصيات الرئيسية التي قام عليها المتن الحكائي لروائي "الحبيب السائح"، هذا لا يعني انعدام شخصيات مساعدة للشخصية الرئيسية، فلا يمكن لأي رواية أن تخلو منه، وغالبا ما تكون هذه الشخصيات غير نامية وتسير ضمن مستوى لا تتعداه، اصطلح على هذه الشخصيات، بالشخصيات الثانوية.

ب- الشخصيات الثانوية:

تشكل الشخصيات الثانوية المساعد الرئيسي للشخصية الرئيسية والمرافق الأساسي لها في سير الأحداث وتوازنها، " فالشخصية الثانوية تضيء الجوانب الخفية أو المجهولة لشخصية الرئيسية أو تكون أمينة سرها فتبوح لها بالأسرار التي يطلع عليها القارئ"³.

فهي النافذة التي تسمح لنا بخلع الستار تدريجيا لتعرف والتطلع على الأحداث ومجريات المتن الحكائي، وغالبا ما تبني علاقة حسنة مع الشخصية الرئيسية وتكون معها، حاملة لنفس أفكارها وتطلعاتها، " فقد تكون الشخصية الثانوية صديق الشخصية الرئيسية أو

¹ - المصدر السابق، ص 124.

² - المصدر نفسه، ص 108.

³ - عبد القادر أبو شريفة، حسين لافي قزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص 135.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

إحدى الشخصيات التي تظهر بين الحين والآخر، وتقوم بدور تكميلي مساعد للبطل أو معيق لها¹.

حيث أنها تعمل جنباً إلى جنب مع الشخصية الرئيسية، ولا يمكن الفصل بينهما وهذا ما يؤكد عبد الملك مرتاض في إبراز العلاقة بين الشخصية الرئيسية والثانوية، يقول: "لا يمكن أن تكون الشخصية المركزية في العمل الروائي، إلا بفضل الشخصيات الثانوية إليها كان لها أن تكون، هي الأخرى لولا الشخصيات عديمة الاعتبار"².

إذن فوجودها ضرورة لا بد منها لاكتمال الأحداث وتصعيدها وصياغة الحكمة وهندسة البناء الروائي، بغض النظر إلى حجم الدور الذي تقوم به هذه الأخيرة، التي كثيراً ما تتسم بالوضوح والبساطة، فهي بصفة عامة "أقل تعقيداً أو عمقا من الشخصيات الرئيسية، وترسم على اتجاه سطحي وغالبا ما تقدم جانبا من جوانب التجربة الإنسانية"³، فرغم قلة قيمة وظيفتها إلا أنها تقوم أحيانا بأدوار مصيرية في حياة الشخصية الرئيسية، ونمو الحدث القصصي وبلورة معناه والإسهام في تصوير الحدث.

ومن أهم الشخصيات الثانوية التي لعبت دورا هاما في بعث الحركة داخل البنائي الروائي "لتماسخت... دم النسيان" وكان لها تأثير في حياة البطل كريم، وصناعة أحداث متنامية في شخصه، نجد شخصية "عمر، جميلة، خيرة، إسماعيل"، إضافة إلى شخصيات أخرى تعرف عليهم أثناء انتقاله من بلد إلى آخر بحثا عن الاستقرار ومن بين هذه الشخصيات نجد، "كمال من تونس والصديق من المغرب"، وغيرها من الشخصيات التي كانت محيطة بكريم.

¹ - عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، ص: 133.

² - المرجع نفسه، ص 133.

³ - محمد بوعزة، تحليل النص السردى: "تقنيات ومفاهيم"، ص 57.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

الشخصية	الحدث والواقعة التي تجسدت عبرها	الصفحة
عمر	✓ صديق كريم، يعمل في مهنة الصحافة، تعرض للاغتيال من قبل جماعة مسلحة، بعد كشف هويته لهم، يقول كريم عن حادثة اغتيال عمر: " قرأ بطاقة الهوية ثم مد يده لتفتيشه فأنزل عليه قبضته بعصبية اليأس مرنحا إياه وجرى، فزقق من خلفه صوت حاقد تلاه عصف رشاش مزق ظهره مقطعا أوصال صمت الطرق الجبلية".	56
جميلة	✓ صديقة كريم منذ أيام الدراسة تعمل في مقر الجريدة تربطهما علاقة حب وصداقة قوية وعميقة، وقد كانت تمثل الماضي الجميل الذي يجن الله كريم، يقول كريم نفسه: " ماذا كان سيصيني لو كانت جميلة هي التي نشرتها في كف حقيقتي"، وقد تعرضت الأخرى للاغتيال، وهذا ما يبرزه المقطع الموالي: " وسنا له طبق جميلة بين يديها باقة الورد نفسها التي وضعتها على فيرها".	07 07 47
إسماعيل	✓ صديق كريم يقطن في حي شعبي ويعمل بالصحافة تعرض هو الآخر للقتل من قبل الجماعة المسلحة، وكان بمثابة الشاهد الثاني على حالة الاغتيال، يتذكر كريم حالة اغتياله، يقول فيه: " استحوذ عليه شبح قابلية لاهئين نحوه وهو يخرج من العمارة في به الشعبي فلم يبعد أمترا حتى أحاطوا به تقاطع، أطلق عليه الأول في ظهره وأطلق عليه الثاني في الرأس والصدر".	53
خيرة	✓ شابة في العشرينيات تقطن بالحي الشعبي، كانت صديقة كريم، أعجب بها في أيام المدرسة الابتدائية " خطبت خيرة ولا تزال معنا في المدرسة تحضر في القسم النهائي " .	16

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

لقد كانت مهنة الصحافة وحادثة الاغتيال هي القاسم المشترك الذي جمع بين الشخصيات السالفة الذكر، يقول كريم: " عمر، إسماعيل، جميلة وغيرهم وكل من تنعاهم الصحف يوميا، وجميعا للذين سر في جنازتهم؟ كيف تلكأت عن كتابة سطر واحد عن اغتيال عمر؟ لم أنعقد فبد الجبن على عقلي؟ أنا جدير بالإدانة".¹

هنا يظهر أن المثقف كان أكثر استهدافا من قبل الجماعة المسلحة التي رفعت صراحة شعار قتل النخبة المفكرة فكان الصحفي والمسرحي والرسام والكاتب وغيرهم من الفعاليات المثقفة هدفا للموت، لأنهم أدركوا قدرة هذه الفئة على إحداث انقلاب ضدها، وتغيير المادي والملموس، من خلال ريشة وقلم تدمر من خلاله الواقع وتعيد صياغته من جديد يقول كريم في هذا الصدد: " هذا العالم يا صديقي، يجب أن ندمره ونعجنه ونعيد نحن الفنانين صياغته"²

في قول كريم هذا، دعوة جهرية إلى تحفيز الملكات الذهنية وإفراز عطائها في صورة تفاعلية تصب في ساحة محاربة الإرهاب وردع مزاعمة، بفكر وطن واحد، خاصة وأن الفكر هو أحد أهم الفعاليات الوطنية المناهضة للإرهاب، حيث يقوم على تشخيص الإرهاب وأفكاره المنحرفة وكشف أسبابه الحقيقية، من أجل اقتلعه من جذوره وبتر نواته الجوهرية، وهذا فعلا ما جاء على لسان كريم حين يقول " يجب أن ندمره".

وقد كان مكان اغتيال بعض الشخصيات في الأحياء الشعبية، هذا لأن هذه الجماعة المسلحة، تجد في الأحياء الشعبية حركية كبيرة وملاذ آمنة لهم لممارسة نشاطهم الإجرامي، بل وإنهم يجدون في بعض هذه الأحياء حاضنة شعبية مقتتعة بوعيا الزائف وتطرفها الواضح، كما أن بروز هذه الجماعة الجهادية في " الأحياء الشعبية راجع إلى عدة أسباب

¹ - الحبيب السائح، تماسخت... دم النسيان"، ص 16.

² - المصدر نفسه، ص 81.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

منها: انتشار الفقر والبطالة والتصحّر الديني في مقابل انتشار فكر جهادي استهوى جزء من الشباب¹.

ومن بين الشخصيات التي التقى بها كريم في غربته نذكر:

الشخصية	الحدث والواقعة التي تجسدت غيرها	الصفحة
سي عبد القادر	✓ صديق كريم يسكن بوهران، اغتيل في شارع مستغانم في أواخر رمضان، وهاهو كريم يستحضر واقعة اغتيال عبد القادر في نفسه يقول: "أشعر بعظيم الخجل يجتاحوني كلما تذكرت نبأ اغتيال سي عبد القادر ليلة الخميس، غدروا به في شارع مستغانم في أواخر رمضان". إن اغتيال عبد القادر في شهر رمضان وليلة الخميس بالضبط، هو الدليل الأكيد على تطرف هذه الجماعة وهشاشة فكرها ومبدئها التنويري، فهو يسفكون الدماء في أعظم الشهور عند الله وهو شهر رمضان، كما أن الاغتيال كان ليلة الخميس، وهو اليوم الذي تفتح فيه أبواب الجنة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تفتح أبواب الجنة، يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء".	33

¹ - هادية الشاهد المسيهلي، الإرهاب يتمركزون في الأحياء الشعبية: مداها من الشفق والأمل للمعدة للكراء، صحيفة الشروق التونسية، 19 فيفري 2014، الموقع الإلكتروني:

81	✓ عثر عليه مقتولا في سيارته، وهو صديق لكريم يقول كريم : " عثر على عيد الثور في سيارته الخاصة مذبوحا قرب مدخل المنطقة الصناعية في ضواحي قسنطينة". فذكر الروائي للمنطقة الصناعية بالما المتواجدة في ضواحي قسنطينة، تأكيد مرة أخرى على أن حوادث الإغتيال تقع تقريبا في الأحياء الشعبية أو المناطق التي تشهد تدهورا كبيرا.	عبد النور
13	✓ تعرف عليه كريم خلال فترة تأديته للخدمة العسكرية بذكر كريم لقائه به ويقول : "جمعتني خدمة عسكرية كون وجهي بالشفاء في ثكنة عسكرية مهملة في بقعة جراء في الجنوب الغربي". إن ورود الخدمة العسكرية كعملية قام بها كريم وصديقه ودي في الجنوب الغربي، يوحي أن كريم كان ضمن جنود مكافحة الإرهاب، ويحسن استخدام السلاح، ومدرك تماما لما تفعله رصاصة في جسد قتيل.	ودي:
96	✓ صديق من تونس إلتقاه عند وصوله إلى مطار "قرطاج" وقد ذكر شيء عن حالته بقوله: "كان في عمق هدوء كمال بركان من التوتر"، وتوتره كان نتيجة خوفه من استيلاء الجماعة المسلحة على السلطة في الجزائر، امتداد طغيانها إلى الحكومة التونسية، وقد جاء ذكر هذا على لسان شعبها إذ يقولون: "تونس	كمال

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

	حكومة متأهبة لدفاع عن وجودها وحدودها في حال استيلاء الأصوليين على السلطة في الجزائر ." ✓ صديق من المغرب، صادقه في وجدة ويظهر ذلك من خلال قوله: "أمس استخبرت لدى صديق في وجدة".	الصديق
--	--	---------------

من خلال ما سبق نستخلص إلى أن:

- ✓ الشخصية عنصر من عناصر بناء الرواية، فهي تصور الواقع من خلال حركتها مع غيرها.
- ✓ الشخصية الروائية هي العنصر الذي يضطلع بمهمة الأفعال السردية ودفعها إلى نهايتها المحددة.
- ✓ تنقسم الشخصيات بحسب الدور الذي تقوم به إلى شخصيات رئيسية وشخصيات ثانوية.
- ✓ كاتب الشخصيات الرئيسية في الرواية هي : كريم والجماعة المسلحة أما الشخصيات الثانوية هي: عمر شهلة- إسماعيل وغيرهم.
- ✓ عانت الشخصيات على أنواعها من حالة خوف وفزع رهيب تسببت فيها الجماعة المسلحة التي كانت تمتن التهذيب والتقتيل.
- ✓ أفرزت حقبة الدم والقتل التي عاشت في ظلها الشخصيات نتائج سلبية كثيرة، خاصة بعد عمليات القتل والتعذيب التي مست النخبة المفكرة ورجال الصحافة.
- ✓ هاجس الخوف الذي زرعه الجماعة المسلحة في نفوس الشخصيات جعلها تميل إلى الاغتراب والانكفاء عن الذات والشعور بالقلق والخوف.
- ✓ واجهت هذه الشخصيات هونها المجاني على أيدي الطغات، هذا ما أحسها بالاغتراب النفسي قبل الجسدي.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

✓ صوت الموت وموجة الدماء كان قدرا موجها للجميع ولا مفر من هالفكر المتطرف لهذه الجماعة ووعيتها الزائف هو ما جعلها نماذج بشرية بلا ضمير، تتخذ من جسم الإنسان مكانا للتجربة الدموية والتتكيل الرهيب... فبأي حق يقتل الإنسان أخاه الإنسان.

4- تجليات خطاب الخوف في المكان:

يكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة، لا لأنه أحد عناصرها أو لأنه المكان الذي تجري فيه الأحداث وتتحرك خلاله الشخصيات فحسب، بل لأنه يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى قضاء يحوي كل العناصر الروائية، بما فيها من حوادث وشخصيات، وما بينها من علاقات ويمنحها المناخ الذي تفعل فيه، وتعبّر عن وجهة نظرها، يكون هو نفسه المساعد على تطوير بناء الرواية، والحامل لرؤية البطل.

4-1- تعريف المكان:

يعتبر المكان من المكونات الأساسية للنص السردى، تعدد دلالاته من نص إلى آخر، وتتنوع مفاهيمه من ناقد إلى آخر، فهو من أكثر العناصر فاعلية في المتن الإبداعي، ويتم اختياره بدقة خاصة وأن المتن الحكائي يحدد مكانه بعناية بالغة، وفق ما يناسب حركة الشخصيات وتطور الأحداث إذ "لا يمكن اعتبار مكان ما هو المكان الروائي لأن الرواية إذ تضع عالمها الخاص، وإذ تستفيد حتما من الواقع فإنها قابل لأن تجعل كل الأماكن مادة لبناء فضاءها الخاص"¹.

فلا يمكن تصور حكاية بدون مكان، ولا وجود لأحداث خارج حيز المكان، يعرفه لوتمان بقوله: " هي مجموعة من الأشياء المتجانسة، تعوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة"²، فالحدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين.

¹ - حميد لحميداني، بنية النص السردى " من منظور النقد الأدبي"، ص72.

² - محمد بوغرة، تحليل النص السردى " قنليات ومفاهيم"، ص99.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

وقيام الرواية على مجموعة أفكار وآراء وحتى إيديولوجيات يستدعي توظيف شخصيات تقوم بالإفصاح عن هذه الأفكار وتنتهي أحداث تجري وتتنامى في مكان يسيطر عليه الروائي، كمسرح لهذه الأحداث، ويحمله في غالب الأحيان بأسماء مستعارة من صميم الواقع لتظهر جمالية المكان في طابعه الحقيقي الذي يؤثر في حياة البشر المقيمين فيه، باعتبار حقيقة معاشة وعنصر مؤثر ومتأثر، فالبشر يعيشون فيه وينتقلون فيه حسب أذواقهم وحاجياتهم، وهو أيضا يؤثر فيهم من خلال تضاريسه وتمظهراته المختلفة، فيجعلهم مندمجين في أركانه " المكان حقيقة معاشة، ويؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه"¹.

مما سبق يضح أن المكان هو الوعاء الذي تتبع منه كل شخصية وتحمل حياته، ويمنح الشخصية جمالية ويطبعها بطابعه الخاص وهذا ما يبرر العلاقة الاتصال والتأثير بين الشخصيات والأمكنة ذلك أن كل شخصية تعبر عن المكان الذي عاشت فيه، من خلال سلوكها وتصرفاتها وحتى وجهة نظرها في إطار هيكلي منظم منحه المكان شرف الهوية وأكد على خصوصيته وأصالته في ظل السلوكيات البشرية والعادات والتقاليد، التي تختلف من مكان إلى آخر " فالمكان لا يظهر إلا من خلال وجهة نظر شخصية تعيش فيه أو تخترقه وليس لديه استقلال إزاء الشخص الذي يندرج فيه"².

من خلال هذه المفاهيم التي تعرضنا لها، نرى أن المكان بعد من العناصر الأساسية المكونة للبناء الروائي والتي تسهم في معماريته عن طريق علاقة المكان بالشخصيات ومدى تفاعلها.

¹ - صدوق نور الدين، البداية في النص الروائي، دار الحوار للنشر والوزيع سورية، ط1، 1994، ص 47.

² - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي " الفضاء - الزمن - الشخصيات"، ص، 34.

4_2_ أنوع الأمكنة في الرواية:

المكان في العمل الروائي ليس مجرد شخصية تقع عليها الأحداث الروائية فقط، انما هو مكان تطورها ونموها باعتباره المساحة التي يجسد من خلالها الكاتب وجهة نظره، التي تقوم الشخصيات بطرحها من خلال حيويتها داخل الصيغة البنائية.

وتختلف الأمكنة شكلا وحجما ومساحة، منها الضيق المغلق، والواسع المفتوح، المرتفع والمنخفض ... إنها أشكال من الواقع انتقلت إلى الرواية وصارت عنصرا من عناصرها، ومن بين هذا الأماكن نذكر:

4-2-1- الأماكن المفتوحة :

هي الأماكن المركزية ذات الأبعاد الجغرافية والتي تجري فيها الأحداث، وتتحرك في إطارها الشخصيات، ولا غنى عنها بالنسبة لبقية العناصر أو الوظائف الأخرى، " فالمكان المفتوح هو الذي يخرج عن نطاق الغرفة في مقابل البلد والبلد الأصلي في مقابل بلد الغربة، وهو مكان رحب وواسع غالبا ما نجد الفرد تفاعل معه ايجابيا"¹.

فالأماكن المفتوحة تلعب دورا بارزا في تطوير الأحداث وحركة الأشخاص وصراعاها، حيث تكون فيها الأحداث كبيرة، مختارة بعناية خاصة وحنكة من فوضى الحياة ومن مساحها العريضة، حيث تطفو الخطوط المتعلقة بعلاقة الإنسان بالمكان، فيظهر المكان من خلال الإنسان... فالمكان المفتوح بكل ما يحتويه هو نقطة الاتصال مع العالم والانتقاء والتواصل مع الآخرين، ويحمل الانفتاح فيه معاني البحث والاطلاع والاكتشاف، والتأثر بما يحيط بهذا من تيارات ومنطلقات وتأثيرات كبيرة، كان في مقدمتها الزمن الذي يغير الأمكنة من حيث شكلها وألوانها وحتى طبيعتها الجغرافية، فالأماكن المفتوحة " أماكن مفتوحة على الطبيعة،

¹ - كلثوم مدقن، دلالة المكان في رواية موسم الهجرة الى الشمال" للطبيب صالح الأثر-مجلة الآداب واللغات، جامعة ورقلة- الجزائر - العدد4، ماي، 2005، ص141.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

تؤطر بها الأحداث مكانيا، وتخضع هذه الأماكن لاختلاف بغرضه الزمن المحكم في شكلها الهندسي وفي طبيعتها وألوانها، إذ تظهر فضاءات وتختفي أخرى¹.

كما يوحي المكان المفتوح بالاتساع والتحرر، ولا تخلوا الأمر من مشاعر الضيق والخوف، لاسيما إذا كان المكان مفتوحا في أمكنة الشتات والمنافي والغربة، فللمكان المفتوح أهمية قصوى فني " تشكيل الفرد وأحاسيسه وانفعالاته من خلال إحساسه بالانتماء إلى ذلك المكان، إذ تراه يعبر عن نفسه من خلال أشكال المكان المتفرقة ويكسب معاني متعددة بتعدد الأمكنة التي يرتادها"².

و من أهم الأماكن المفتوحة التي كانت راصدة لحالة الخوف التي يعيشها " كريم"، نجد مدينة وهران والجزائر كمدن داخلية، إضافة إلى تونس والمغرب كمدن خارجية، وقد تجلّى هاجس الخوف فيها في كثير من المشاهد الروائية، سواء بالمعيشة الفعلية أو عن طريق الاستنكار.

أ- مدينة وهران:

المدينة فضاء جغرافي مفتوح يجمع بين عدة شخوص، سواء أكانت بينهم علاقة قرابة أولم تكن، حيث وظفتها الرواية الحديثة بكل تناقضاتها وصورها، فظهرت كوعاء حامل لكل الأحداث السياسية والاجتماعية وحتى الثقافية فالمدينة بالذات هي : " المكان الذي يتسع لاستيعاب جدل وصراع التناقضات بكل أطرافها ومحاورها"³، وتتفرد المدينة بهيكله معمارية خاصة بها، وتظهر ككيان مثقل بالعواطف والمشاعر ورمز للأبعاد النفسية والاجتماعية

¹ - عبد الحميد ختالة، المكان وأهميته في النصوص السردية، مجلة النصر 06-02-2017 الساعة 21:24، الموقع الإلكتروني :

<https://www.djazairzss.com/annasr/165553>

² - سمية بن حوشن، بنية الشكل الروائي في رواية " مواكب الأحرار" لنجيب كيلاني، مذكرة ماستر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2014-2015، ص 44.

³ -رزاق إبراهيم حسن، المدينة في القصة العراقية القصيرة، الموسوعة الصغيرة 143، دار الحرية لطباعة، بغداد، العراق، 1984، ص 106.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

للشخصية وما يعتريها من غموض، فالمدينة بشكل عام " أمكنة عامة تمنح للإنسان حرية الفعل وامكانية التنقل وسعة الاطلاع والبدل، لذا فهي أمكنة انفتاح، تنفتح على العالم الخارجي، نعيش دوما حركة مستمرة"¹.

تظهر مدينة وهران في رواية " تماسخت... دم النسيان"، بشكل كبير حيث أخذت مكانا رئيسيا دار فيها معظم الأحداث إن لم تقل كلها فقد برزت وهران لتحكي عن حالة الخوف والهلع التي عانى منها الجزائريون خلال عشرية كاملة، فزعم شماختها وأماكنها التاريخية عدت مكانا مدنسا تسير فيه أقدام ملطخة بدماء الأبرياء، وتسير فيه أشباح وحوش تشيع فيها الفسق والرذيلة، وتحولت إلى صخرة صماء جامدة يغلب عليها الضباب ويكسي الظلام أرقعتها، وأصبح الناس فيها متشطين متماسخين تكاد لا تعرفهم من هول ما هم فيه، فالوطن مفجوع خائف ومتعب، ويظهر ذلك من خلال وصف كريم لها، يقول عنها: " وهران من هذا العلو تبدو أنهكتها متاعب نهارها وساعات زنا ليلها"².

لقد انعكست فجيرة وهران على سكانها، فجعلتهم خائفين ومستسلمين، يعانون الضياع والاغتراب الداخلي بكل معانيه، فالموت أصبح يحاصرهم، وغدى اليقين الوحيد وسط هذا السراب القائم على نظام تعسفي يحسن كتم الأصوات وحتى الأنفس ويجعل منهم آلات تنفذ أوامره وتنسيهم حلما ذات يوم مر ببالهم، يقول كريم عن خيبته في وهران: " تحولت أعوام شبابنا المصروفة في الوهم، قداحة للعمر الباقي مقابل جحود مرقوم على راية الردة"³.

و قد كان للجوء كريم إلى مدين وهران سببيين، تمثل الأول في حبه لها، حيث يعتبرها جزء من كيانه وروحه، وكأنه ولد فيها، فكلما ابتعد عنها خنقه الشوق إليها، يقول كريم في هذا المقطع أنه لم يجد مدينة أجمل من وهران: " شعرت دائما أنني تشكلت من زبد بحرها لم

¹ - عبد الحميد ختالة، المكان وأهميته في النصوص السردية، مجلة النصر.

² - الحبيب السائح، تماسخت.. دم النسيان، ص-ص 7، 8.

³ - المصدر نفسه، ص 20

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

أجد في الجزائر مدينة مثل وهران تجعلني أحس أنني جزء من كيانها"¹، أما السبب الثاني الذي جعله يلجأ إليها، كان رغبة في نسيان خوفه وهلع، ويسترجع حالة الاستقرار والأمن التي فقدتها في مدينة، لتفاجئه وهران بفاجعة أكثر سوء، وهو الذي كان راجيا أن لا يصاب بخيبة أمل ثانية، يروي كريم فجيعة عن وهران، فيقول: " قابلتني وهران على غير عاداتها ساكنة الشرفات متعطرة بالكافور متلفة الجمال داعرة، لأنها رضت أن يراودها الوحش فعزز أنيابه في قلب فنائها"²، ويحيل هذا المشهد المأساوي إلى فضاة الواقع في مدينة وهران التي من كثر عدد الموت فيها وحالات الاغتيال المتزايدة أصبحت متعطرة بالكافور، وهو مادة توضع في صناديق الموتى، لتخفف من رائحة الدماء والجثث الميتة فالعنف الإرهابي انقض على وهران وأخذ يلتهمها ويأكل الأخضر واليابس فيها، حتى انطوت على نفسها مكسورة الخاطر، مستسلمة لخوفها، مصغية إلى الرعب الذي يمزق أحشائها، فقد غدت مثل الجندي الخائف الذي يختبئ من العدو حرصا على روحه، يسرد كريم حال وهران مشبها أيهما بالجندي فيقول: " نائمة الآن على عين كمحارب في فندق"³.

وهران بالنسبة للبطل فضاء للقتل والرعب والخوف، فاقدة للألفة الإنسانية جراء الأفعال الإجرامية على يد الجماعة المسلحة فهي مدينة مشحونة بمشاعر البطل الحزين وبؤرة لأحداث العنف وفضاء لصور الفجائع، وطريق للفناء والموت والخوف إلى جانب مدينة وهران تحضر الجزائر لتصور جزء من المعاناة التي عصفت بها والهمجية التي عرضت لها، وبشاعة الأعمال التي ارتكبت على ترابها، والتي انعكست سلبا على سكانها وجعلتهم تحت تأثير هاجس الخوف الذي انتقل من الوطن إلى المواطن.

¹ - المصدر السابق ، ص8.

² - المصدر نفسه، ص33.

³ - المصدر نفسه، ص 08.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

ب_ مدينة الجزائر:

تمثل الجزائر وطن البطل كريم وأرضه التي اختصته منذ ولادته حيث نشأ وترعرع في أحضانها، فكان كالأم بالنسبة له، يقول كريم، واصف الوطن: "الوطن كالأم في حناها ودفنها وخوفها على أطفاله"¹.

إلا أن المحنة التي مرت بها والخراب الذي تعرضت له على يد الجماعة المسلحة التي كانت تمتن القتل والتخويف، جعلت البطل يحول نظرته عن الجزائر لأنها أصبحت مصدر خوف بالنسبة له، فعلى أرضها كان شاهدا على كثير من حوادث الاغتيال الشنيعة التي راح ضحيتها أناس أبرياء كان ذنبهم الوحيد أنهم مثقفون.

فانتشار الرعب والهلع في أرجاء الجزائر، جعل كريم يتمنى أن يكون قد ولد في غير هذا الوطن وغير هذا الزمان يقول: " ليت أتنى بلا سمع ولا بصر أو جئت في زمان غير هذا العصر في بلد غير هذا الوطن، أو كنت ولدت قبل الطوفان أو بقيت جزئيا سايحا في الفضاء"²، فقد أصبح الوطن بالنسبة له مكان للخوف، ومنبع للكوابيس الدموية التي تطبق على أنفاسه وتجعله حبيس هلع وتوتره.

فيقرر الخروج منها والرحيل إلى مكان يجد فيه راحته وينسى فيه مخاوفه فالخيبة التي جاء بها، وشعور الاغتراب الذي تسلل إلى أعماقه، جعله يلحق سمة الجنون بالجزائر لأنها لم تحمي أبنائها، يقول: " لكن هذه الجزائر مجنونة خالية سريرية كلما أظهرنا لها عشقنا أفسخت إلينا نحو الموت على صدرها كأطفال ينامون"³.

فالحقيقة الوحيدة في الجزائر هي الموت المفاجئ، فلم يبقى فيها إلا صور الدم والدمار والفرع والعويل، إنها كما قال كريم: " ضربية اعتناق الجزائر"⁴، على الرغم من الخوف الذي

¹ المصدر السابق، ص 48

² -المصدر نفسه، ص 26.

³ -المصدر نفسه، ص 142.

⁴ المصدر نفسه، 176.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

ألحقته الجزائر بنفسية كريم، وإجباره على الخروج منها مرغما، إلا أنها تبقى راسخة في ذاكرته مزهرة في قلبه، يقول " إنها نابعة هنا في ذاكرتنا، في عمق سباتنا، ضميري يترجرج لمجرد ذكر اسمها"¹ لأنه لا يستطيع أن ينكر فضلها عليه، فهي التي حوته وترعرع في أحضانها، واستمتع بجمالها ذات يوم، فيصفها قائلا : " الجزائر بلد له سحره الخاص "².

كما أنها منحت له الهيبة والعزة وجعلته معروفا حتى خارجها، وهذا ما أدلت به إحدى النساء أمام واجهه ملابس جاهزة، مبدية إعجابها به :

" حدثوني عنك في نيزرت

كيف عرفتني من بينهم؟

جزائريتك الطافحة وجرأتك الحارة"³.

لذا يقرر في الأخير الرجوع إليها والموت على صدرها، لأنه أدرك أن " الموت مقتولا على صدر الوطن الكرم من عافية بلا كرامة"⁴.

فيشد الرجال إلى الجزائر مواجهها قدره، حاملا لتذكرة موته وخلاصه قوله:"أنتظر وفي جيبتي تذكرة عودتي نحو رصاصتي أو خنجري الضامئين إلى دمي"¹.

كانت هذه أهم المدن الداخلية التي لجأ إليها كريم لينسى مخاوفه لكنها لم تخفف عنه إنما زادت من خوفه وهلعه الذي تحول إلى هاجس يطارده أينما حل يقول السارد عن حالة كريم: " زامن شعوره باستتباب الهدوء، سريان رائحة خوف من مجهول مترقب"⁵.

¹-المصدر السابق ، ص145.

²-المصدر نفسه، ص160.

³ -المصدر نفسه، ص 176.

⁴-المصدر نفسه، ص 176.

⁵ -المصدر نفسه، ص 28.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

لذا يقرر الخروج من جغرافية الجزائر نهائيا ويتركها سباحة في دمائها، تجتر بمرارة أحزانها، وقد كانت وجهته الأولى المغرب التي كانت تمثل له أملا في نجاته من موته الرخيص.

جـ دولة المغرب:

عانى كريم على طول الرحلة قلقا خائفا متوترا، مما قد يصيبه أو يعيق رحلته، فيصبح فريسة لرصاصة أو محشوشة خاصة وأن الجماعة المسلحة، تقيم حدودا مزيفة تستهدف خلالها مجموعة من الشعب وترتكب في حقهم مجزرة جماعية، هذا من جهة وإغلاق الحدود من جهة أخرى أمر وارد، وهذا ما أخبره به صديق له في وجدة يقول في حوار بينه وبين أحد الركاب:

"الحدود الغربية تختنق على ما يشاع

هل هنالك ما يؤكد ذلك؟

لا أدري بالضبط، ولكن السلطان هنالك لن تسمح بتوافد من لا مصلحة لها فيه

يعني؟

أمس استخبرت لدى صديق في وجدة فلمح لي بإمكان إغلاق يدعو أن سلطات بلاده لا ترغب في آثاره مشاكل إضافية مع الجار باعتبار ما يجري هنا أمر داخلي"¹.

يغامر كريم بنفسه ويجعله روحه بين فكي أنياب الوحش بإقدامه على السفر إلى المغرب، رغم علمه بما يحدث في الحدود، فكان يراقب الطريق إلى أن دخل إلى المغرب، يقول السارد: " ثم تقدم يدخل في المغرب، إذ تناهت إليه طلقات رشاش مغداة توهم"²,

¹ -المصدر السابق، ص 12.

² -المصدر نفسه، ص 41.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

فالرصاص الذي سمعه كريم لم يكن حقيقيا بل توهم أنه يسمعه وهذا بسبب هاجس الخوف الذي سيطر على تفكيره والصور الدموية التي مازالت ملتصقة صوب عينيه.

كانت وجده هي وجهة كريم الأولى في بلد المغرب الشقيق، فقد كانت محاولة لنسيان خوفه، وبداية لغريته وبؤسه فبعد وصوله إلى محطة وجدة هاتف صديقه الضاوي وتواصل معه، يقول السارد: " في محطة وجدة هاتف كريم صديقه الضاوي"¹.

بعد أن أرتاح كريم من عناء سفره، انتابته حالة نفسية، أثارت ثورة عميقة في قلب، وقلبت عليه مواجهة واستحضر عزى الجزائر والجزائريين، وأخذت بيده إلى ماضي قريب، كان فيه بين أحضان الجزائر، يقول السارد : " بات كريم ليلته بين وجدة والرباط، مشدود الوجدان إلى ماضيه القريب"².

و قد اتجه إلى الرباط التي حضنته وحاولت علاج جروحه ومراعاة آلامه وهمومه، لكن ثقل الواقع وقسوته والحنين إلى الوطن كان دائما يلاحقه ويشعره بالاختناق، ففي محطتها انتابه الخوف من هاجس الغربة يقول السارد: " كما في وهران وفق كريم وحيدا في محطة الرباط منظرا أن يظهر وجه الضاوي إلى أن خلا الرصيف فأحس ريح الغربة نفذت إلى قلبه"³.

تواجد كريم بالمغرب، أيقض في نفسه شعورا بالغربة يقول كريم " نامت الرباط على غريتي"⁴ الذي لم يجد له دواء سوى باسترجاع صور جميلة من ماضيه أين كان ينعم بالراحة والاستقرار، في فضاء يعج بالذكريات والحنين إليها، يقول السارد: " ثم استلقى في السرير

¹ -المصدر السابق، ص47.

² -المصدر نفسه، ص 53.

³ -المصدر نفسه، ص59.

⁴ -المصدر نفسه، ص51.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

المقعر استرجع صورة أمه رآها في المنام نبحت عنه ليلة محاق، كان قد ظل طريقه الآخر سكنوه ووجد نفسه دخل بينهم الأول"¹.

فشعور الغربة جعل كريم، يعاود السفر مرة أخرى، وكانت تمثل تونس المكان الثاني الذي قصده البطل كريم هروبا من الواقع البائس، لكن بمرور الأيام والأشهر وجد كريم نفسه وحيدا فيقول: " واستيقظت تونس على وحدتي"²

د_ دولة تونس:

تحضر تونس محمله بالتاريخ الزمني لماضي الشخصية، ولم يرد ذكرها إلا على لسان شعبها، يقول: "تونس وحكومة متأهبة للدفاع عن وجودها وحدودها في حال استيلاء الأصوليين على السلطة في الجزائر"³، وذكرت لمساواة كريم ومحاولة التحقيق عن أمه وأن يعتبر تونس بلده الثاني وعدم شعوره بالغربة، يقول صديق كريم:

" كيف خليت الجزائر؟ حالكم يحزننا،

ربي يستر لي باق مرحبا بيك في تونس، بلدك الثاني،

أين الجزائر أو تونس، لا يهم"⁴

فبعد أن أستقبل بحفاوة من قبل صديقيه أحس أنه وطئ الأرض وانتابه شعور بالراح سرعان ما تحول إلى تعب داخلي وصم هش يغشي في قلبه حزنا عميقا وهو ينظر إلى البحر غاصا في القصة، يقول: " مدينة " التحت" اللوطة كما يعبر التونسيون، زافرة برائحتها ولونها ونورها وفضائها، فهز كريم حنين لكل الضياعات"⁵.

¹ -المصدر السابق، ص91.

² -المصدر نفسه، ص 184.

³ -المصدر نفسه ، ص157.

⁴ -المصدر نفسه، ص150.

⁵ -المصدر نفسه، ص150.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

حضور تونس في الرواية كمكان انتقل إليه كريم، تمثل له المنفى فشعبها متحضر ومتقف وطيب وقد اهتموا به وحاولوا التخفيف عنه من خلال تأكيدهم على وحدة التراب والقضية، يقول: " المغرب مغرب واحد جرحا وحلما"⁵ ولكنه لم يستطع نسيان خوفه وكان دائما يطلع إلى موته بخنجر أو محشوشة إلى جانب الأماكن المفتوحة تحضر الأماكن المغلقة لتصور جزء من المعاناة التي عاشها كريم بين حيطانها فقد كانت شاهدة على حالات الفرع والهذيان التي كانت تزوره بين الحين والآخر محدثة جرحا فوق جرح لم يندمل بعد.

4-2-2- الأماكـن المغلقة:

تؤدي الأماكن المغلقة دورا محوريا في الرواية، لأنها ذات علاقة وثيقة بتشكيل الشخصية الروائية، وتتفاعل هذه الأمكنة المغلقة مع الأمكنة المفتوحة بايجابياتها وسلبياتها وحتى تجلياتها، فتغدوا أماكن مليئة بالأفكار والذكريات والآمال، يرتادها الشخص لطلب السكينة والراحة والابتعاد عن صخب الحياة، فالمكان المغلق " يحمل قيمة الألفة والدفاء ويعكس مظاهر الهدوء والطمأنينة، ليصبح فاء حميما يوف الحماية والأمان من مؤثرات الفضاء الخارجي وعدوانيته"¹.

كما يتمتع المكان المغلق بمساحة محدودة تفصله عن العالم الخارجي، لكنها تمنحه إمكانية التواصل معه فالمكان المغلق: " يمثل غالبا الحيز الذي يحوي حدودا مكانية تعزله عن العالم الخارجي، ويكون محيطه أضيف بكثير من المكان المفتوح"².

و يلعب المكان المغلق في الرواية دورا كبيرا في استغلال الأحداث وتحريك الأشخاص وفقه، حسب رؤية الروائي، وملاتمة الشخصية للمكان وتوافقها معه

¹ - المصدر السابق، ص 156.

² - فرحات بحري، السالم محمد خضر، بنية المكان في فحوص (حراس المعبد) لحسن عبيد حسين، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، كلية التربية للعلوم الإنسانية، العدد 39، 2018، ص 998.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

ومن خلال دراستنا لرواية " تماسخت... دم النسيان " والتمعن فيها، بكشف سبب اختيار الروائي إطار مكاني مغلق تتوالى الأحداث فيه وتتطلق منه شحنة الأحداث، تمثل هذا الإطار في " الغرفة"وهي أول الأماكن المغلقة البارزة التي صوت حالة الخوف التي تنتاب البطل داخلها.

أ- الغرفة:

تعتبر الغرف من الأماكن المغلقة التي يجسدها البيت "البيوت والغرف والحمامات والأقبية والسرديب... وكل الفضاءات المكانية ذات الطبيعة المحصورة في حدود أماكن مغلقة"¹.

وقد سجل حضور الغرفة في رواية " تماسخت... دم النسيان " حضوراً معتبراً مقارنة بفضاءات البيت الأخرى، وكأنه المكان الوحيد الذي تجدد فيه الشخصية راحتها، والخلو بنفسها، وعدم وجود من يراقب تصرفاتها وتحركاتها خاصة وأن الوضع في تلك الفترة " العشرية السوداء" كان كثير الاضطراب والتوتر نتيجة الانتهاكات التي كانت تقوم بها الجماعة المسلحة.

حيث فضل كريم العزلة والانفراد بالذات إلى الغربة والهروب من الواقع وإلغاء كل شيء، يقول السارد: " بدد كل شيء حتى الورق"²، ولكنه لم يستطع أن ينسى حزنه، فالورق الذي كان صديقه كلما رآه أصبح يتذكر زميله الذي اغتيل، حيث يقول كريم عاجزاً: " كيف عجزت أن رسم حرف في البياض الشامت واستسلمت في معركتي لخوفي"³، كما راوده إحساس بالحزن، ونصيب من الحزن أيضاً جعل الذكريات تتساقب كشلال نغمات حزينة.

¹ - علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة " مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص 166.

² - الحبيب السائح، تماسخت... دم النسيان، ص 07.

³ - المصدر نفسه، ص 16.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

كما أوحى غرفة كريم إلى حالة من العتب والحزن، التي ترجمتها الطاولة التي وضع فوقها كأس وقرعة وكمية من الجبن والزيتون والبصل الطري، فقد كانت صورة مصغرة عن العالم الخارجي بوحشيه، والذي زرع كيان البطل وجعله يعيش في فوضى هستيرية.

لقد أصبحت غرفه خالية من الدفء والراحة، وأصبح يشعر فيها بالتعري الجسدي والنفسي وحتى الفكري، فهو من بث هذا الشعور فيها وأصبح ينظر موته القريب كغيره من الزملاء يول، : " ولو أنني مسخت ورقة في مهب ريح دوامة العنف هذه"¹.

ليملأ الخوف أرجاء الغرفة، ويتوقف الإحساس بالزمن، أمام الضربات المتتالية التي تعرضت لها نفسية كريم على يد الجماعة المسلحة، وتتحول إلى مكان يثير الخوف والقلق يقول السارد عن حرقه كريم: " كانت غرفة كريم الباردة الفارغة تضغط بسأم أسود، فكر في أن ما يخرج من زمنه الشقي هو أن يجن"².

فالغرفة هنا أصبحت تمثل مكانا للمآسي والقلق والهلع حيث تراوده سنفونية الموت والخوف وتعزف أوتارها على أحداث مأساوية عاشها الوطن والإنسان، وأغرقت الشوارع في برك من دماء الأبرياء، لتجعل منه شخصا مضطربا فزعا لا يجد حلا لمرضه الوجودي ونفسيته المتشظية، فشرب الخمر لينسى شيء من هلعه وماضيه، لكن الخمر يخيب ظنه ولا يخفف عنه " فشرب نبيذا ويوجه من غير أن يشعر بارتخاء عصب واحد في جسده فكمش قبضته وضرب على الطاولة ضربات متتالية ثم نهالك في سريره شاذا على رأسه"³.

هكذا جسد الغرفة حالة الخوف والهلع التي كان يعاني منها البطل كريم سواء في وطنه أو في البلدان التي انتقل إليها هربا من موته الذي كان محتوم برصاصة من بني آوى، فقد سكن الخوف ذاته، وعكر صفوى حياته، بما يعزفه من أوتار حزينة تحدث تمزقا للقلب وإتلافا للشرابين فما هو البطل كريم يضع حدا لحياته في إحدى الغرف بعد أن عجز عن

¹-المصدر السابق ، ص15.

²-المصدر نفسه، ص81.

³-المصدر نفسه، ص 193.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

مواجهة خوفه، ورمى بقلمه الذي لم يخفف عنه ولو بكلمة يقول : "خرب روعي يا عزيزي، خرب؟ أترك النسخة الأصلية لأنك مالك الشقة، ها أني من هذا الطابق أقعد على حافة إطار النافذة نحو الخارج... لن تسمع ارتطامي أضع الميكروفون، الآن أرمي خطوتي الأولى في الفراغ لأقهر جاذبيتي"¹، فالغرفة كانت شاهدة على نهاية نبض "كريم"، وربما كانت أكثر قسوة من العالم الخارجي على نفسه ويظهر مكان آخر يؤثر هو الآخر على نفسية "كريم" ويزيد من خوفه وقد تمثل في محطة القطار.

ب- محطة القطار:

محطة القطار مكان واحد في طبيعته لكنه متعدد الوجوه في جوهره، تتعدد أوجهها باختلاف ما يحول في صدور روادها وخواطرها، بين من يعيش فضاء القطار مستمتعا بالأماكن التي يمر عبرها، وبين من يقصد القطار مبتعدا عن وطنه وأهله تحت تأثير متطلبات الحياة، أو هروبا من وضع موتر يهدد حياته في كل لحظة، فالمحطة تدل على " الحركة والفوضى والضوضاء، إذ تضم جميع المسافرين وغير المسافرين، ومنهم من يتاجر فيها لتوفير متطلبات الحياة"².

لقد حمل فضاء المحطة بعدا نفسيا ينتاب في وجدان البطل كلما ذهب إليها أو تذكرها، فرسمت فضاء للحسرة والكآبة والضياع يقول السارد يقول: " فإذا كان دخل محطتها الحديدية، ففخر عليه صمتها تراءت له أشياءها سحقها الضياع، كان بمثل تلك الكآبة التي عبر وجه أمه لما وقفت له في صحن حوشهم واجهة خائفة يفترس ملامحها قلق غائر"³، هنا شبه كريم كآبته في المحطة بكآبة أمه يوم أراد الرحيل عن أرض وطنه.

كما لعب القطار دورا هاما في نقل ووصف الرحلات التي قام بها كريم، والتي حمل من خلالها، حزنه وحسرتة وخوفه مقدما على بداية مجهضة لنسيان ألم أحل به وجعل وطنه

¹-المصدر السابق، ص210.

²- فرحات بحري، السالم محمد خضر، بنية المكان في فحص (حراس المعبد) لحسن عبيد حسين،، ص999

³ -الحبيب السائح، تماسخت...دم النسيان، ص45.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

يتقاطر دما وظهر مكان لاسترجاع أحداث وقعت له، حيث يصفها بكل ارتياح، يقول: " إذ دخل القطار وفتحت أبواب العربات وجد كريم نفسه صاعدا بقوة فاطمته رائحة طروليات الجامعة، فشعر بالقرف"¹.

هذا المشهد ينقل تجربة كريم الأولى في رحلته بالقطار إذ شعر فيه بالقرف الذي أعاده إلى أيام الجامعة ورائحة الطروليات الجامعية هذا كان رده فعل، على شعور مستتر في نفسه، لأنه التحق بالجامعة ودرس في كلية الصحافة وامتنه هذه المهنة، التي أصبحت نسي الموت الرخيص، أنها مهنة الموت، يقول "كريم": " لم يكن أحد يتوقع أن تتحول مهنة الصحافة في البلد إلى ما يشفي الضمير، ويوحد الموقف ويعفو الكرامة وبسبب الموت الرخيص"²، وهي التي جعلته فارا من مكان إلى آخر، خاصة وأن الجماعة المسلحة تستهدف رجال الصحافة والنخبة المثقفة.

كما صور القطار حالة الخجل والانسحاب التي رافقت كريم طول المسافة لأنه انسحب بسهولة وقرر العيش بلا كرامة خارج وطنه، يقول السارد عن حالة "كريم": " أحس كريم مرارة الانسحاب من معركة صابر في ميدانها زملاؤه وغيرهم يخوضون نهايتها بشرف"³، فقد شعر بالاختناق والخجل من نفسه لعدم مثابرته في وطنه.

القطار بالنسبة لكريم مكان لاسترجاع حوادث عايشها، وكان شاهدا عليها، في حركته المستقيمة، يغرق الذاكرة في ذكريات عميقة بجل تفاصيلها، فلم تغب عنه حادثة صغيرة كانت أو كبيرة، ليزيد القطار من ضغط الخوف على "كريم"، ويعيده إلى خوفه وقلقه، الذي يعتقد أنه قد تركه في بلده، يقول السارد: " في قطار التاسعة الليلي موغلا به في عمق

¹ - المصدر السابق ، ص25.

² - المصدر نفسه، ص14.

³ - المصدر نفسه، ص33

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

ضياح أحق بخروف، ضال، هيمنت عليه صور الموت والرعب الهائلة¹، هنا تصوير لوحشية الليل في القطار، الذي خرب الذاكرة وجعلها تنتشر صورا للخراب والفجيعة العمياء.

كما تذكر يوم أوقفته جماعة من المسلحين، مثيرين فيه حالة من الذعر والخوف بعد أن طالبوا الجميع بالنزول من العريان، يقول السارد: " لقد صار كلما ركب قطار أو رآه ثارت فيه الرعب يوم عودته إلى وهران من مقر الجريدة إذ أوقفه مسلحون"².

هكذا كانت تجربة كريم المجهضة في القطار الذي استوقد في الذاكرة نارا يصعب إطفاء لهيبها، لأنها جرفت معها ذكريات حزينة ومواقع عميقة.

من خلال ما سبق نستخلص أن:

✓ المكان من المكونات الأساسية للنص الروائي، فلا يمكن تصور حدوث أحداث خارج الإطار المكاني.

✓ تنقسم الأماكن حسب هيكلها إلى أماكن مفتوحة وأماكن مغلقة لكل منها دوره الفعال في تلاحم بناء الرواية.

✓ قام رحلة البطل " كريم " على ارتداد أماكن مفتوحة تمثلت في مدينة وهران والجزائر ودولة المغرب وتونس، وأماكن مغلقة تجسدت في الغرفة ومحطة القطار.

✓ لجأ البطل إلى هذه الأماكن لينسى خوفه ويسترجع أمنه النفسي.

✓ جل الأماكن التي لجأ إليها كريم أثارت في نفسه الشعور بالغربة والحنين إلى وطنه الجزائر.

✓ جمال الطبيعة الذي حضن البطل في طفولته وحواه، لم يعد مصدرا لسعادته، بل أصبح يبعث في النفس الرعب والخوف ولا أحد يجراً أعلى الاقتراب منه، فقد أصبح مرتعا للجريمة.

¹ - المصدر السابق، ص47.

² - المصدر نفسه، ص29.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

✓ الأماكن التي ارتاد عليها البطل عبرت عن عمق الجرح الذي يصبح بسخط، فالمحنة تعدت الخطوط الحمراء، وهاهي تهشم كل نفس وتصب فيها شيء من ظل الخوف.

✓ هذه الأماكن صحيح أنها خرساء، ولكنها لو تكلمت لفضلت البكاء فهي شاهد أخرس على بشاعة الأحداث، فالدم الذي لوث أجزائها ان يبقى دليلا على فضاة الجريمة المسلحة.

✓ ستبقى هذه الأماكن تنشد تراتيل حزن وتعزف على أوتار ذكريات قابعة في جل أجزائها.

إذا كانت الشخصية الروائية بمثابة العمود الفقري للرواية، والطرف المحمل برؤى الروائي وإيديولوجياته إلا أنها لا تستطيع تجسيد هذه المنطلقات التي تظهر في شكل أحداث وأفعال...خارج الإطار المكاني الذي يآثر فيها وتتأثر به، كما أنه لا يمكن أن يكون مكان بدون زمان، على اعتبار ان هذا الأخير محمل بالدلالات والأفكار النابعة من رؤى الروائي. وقد كان الزمن في رواية " تماسخت...دم النسيان " ذا تأثير حاسم في حياة شخصية البطل كريم، الذي عاش في زمن ماضي بعيد يحلم فيه، وزمن حاضر آسي يهدده بالموت الرخيص كل يوم، ومن خلال دراسة الرواية نستحضر كيف تجلى خطاب الخوف عبر الزمن.

5_ تجليات خطاب الخوف عبر الزمن:

لقد إرتبط الأدب بالزمن وشغل مساحة مهمة في مختلف الأشكال الأدبية، والرواية بوصفها جنسا أدبيا لم تأت من فراغ، إنما اتخذت من الواقع موضوعا معتمدة على إحدى ركائزها التي لا يمكن لها على أي حال من الأحوال الإستغناء عنها والمتمثلة في الزمن.

5-1- تعريف الزمن:

يعد الزمن من المكونات الرئيسية التي لا يستغني عنها أي سارد وبالكاد نعثر على عمل سردي خال من هذا العنصر، فهو من المحاور المدروسة في عوالم السرد والتمثيل،

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

يعرفه عبد الملك مرتاض بقوله : بقوله: " الزمن مظهر وهمي يزمن الأحياء والأشياء، فتتأثر بماضيه الوهمي غير المرئي، غير المحسوس(...) إنها تتوهم أو تتحقق أننا نراه"¹.

ولا يمكن أن نتصور حدث ما سواء أكان واقعيا أو متخيلا خارج اطار الزمن، فالزمن ركيزة أساسية في كل نص روائي، " فمن المعتذر أن نعثر على سرد خال من الزمن، وإذ جاز لنا افتراضا ن تفكر في زمن خال من السرد، فلا يمكن أن تلغي السرد، فالزمن هو الذي يوجد في السرد، وليس السرد هو الذي يوجد في الزمن"².

يتضح من خلال هذا أن عنصر الزمن يتميز بمكانة مرموقة في الفن الروائي، إذ لا يمكن انطلاق سرد حدث ما لم تمهد له عتبة زمنية فالزمن " يوجوهه المختلفة عامل تكييف رئيسي في تقنية الرواية"³.

و لدراسة البنية الزمنية لرواية يجب التفريق بين زمانين هما:

زمن الحكاية كما يفترض وقوعها منطقيا حيث بعيد القارئ ترتيب الحوادث ليتمكن من فهم الرواية فالأصل في البناء السردى: " أن ينهض امتداده على الطولية المألوفة بحيث ينطلق من الماضي إلى الحاضر ومن الحاضر إلى المستقبل"⁴، وزمن السرد الذي يتم من خلاله تقديم الحوادث من دون مراعاة التسلسل المنطقي للحكاية، غير أن الزمن أيضا "يقطب الأحداث ويشوش بنائها وذلك بتقديم ما يجب أن يؤخر، وتأخير ما يجب أن يقدم"⁵، هكذا نجد أن حركة زمن السرد، أما استرجاعا لأحداث ماضية في الحاضر، أو استباقا لأحداث لاحقة سيعرفها السرد الروائي في وقت لاحق.

¹ - عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، ص: 173.

² - حسين بحراوي، بنية الشكل الروائي " الفضاء- الزمن- الشخصية"، ص 170.

³ -منير بهار العتيبي، البنية الزمكانية في روايات وليد الرقيب " دراسة وصفية تحليلية"، مذكرة ماستر، جامعة الشرف الأوسط، كلية الآداب والعلوم قسم اللغة العربية وآدابها، 2014-2015، ص 11.

⁴ - عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، ص 190.

⁵ - حسين بحراوي، بنية الشكل الروائي " القضاء- الزمن- الشخصية"، ص192.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

_ زمن وقوع أحداث تماسخت... دم النسيان:

أحداث رواية " تماسخت... دم النسيان" صبغت في زمن الماضي، أي فترة التسعينات، بدليل قوله "... سمعت صياح ديك يشبه عويل الريح في تماسخت يوم عدت من رقان مربعا بهول التفجير"¹ التفجير ها هنا مقترن بفترة مظلمة عاشتها الجزائر، ولا زالت كذلك، لأنها تعرضت لأبشع طرق القتل والتعذيب اللذين مارسها الإرهاب لذا فهي تعد ماضي أسود في تاريخ الجزائر، فالبيئة الزمنية هي " اطار نفسي ضاغط تزداد ضغوطات كلما عانت الشخصية من مرارة الواقع فيتحول إلى صورة مظلمة شديدة الانفعال والتوتر"²، فليل الجزائر كان حزينا، يقول السارد: "هذا الليل الخوف"³، وأيضا قوله : "أمس كالיום واليوم كغد وغد كبعد غد"⁴ فالأوقات كلها واحدة ولن يتغير فيها شيء ولم يطرأ عليها أي جديد، لأن الإحساس بالخيبة هو الرابط بينها، وهذا ما يبرزه قوله: " قبل أن تعيده خيبة النهار"⁵، إلى غير ذلك من الأوقات التي تعج بالزمن النفسي الكئيب، الذي سيطر على "كريم" وجعله في كثير من الأحيان يشعر بالضيق والإحباط

5-2- المفارقات الزمنية:

تقوم المفارقات الزمنية على التلاعب في سير مجريات الأحداث بكسر عمودية الحكي، ويتحول من المستوى المؤلف للتعاقب التصاعدي إلى مستوى معقد تداخلت فيه الأقطاب الزمنية، واختفى الترتيب الزمني المباشر للحكاية وصار الروائي يشتغل على طريقة أبحاث له حرية التوجه إلى الوراء أو إلى المستقبل، وهذه المفارقات أساسا تتمثل في استرجاعات

¹ - الحبيب السائح، تماسخت... دم النسيان، ص 05.

² - هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكندي للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط1، 2004، ص 309.

³ - الحبيب السائح، تماسخت... دم النسيان، ص 118.

⁴ - المصدر نفسه، ص 171

⁵ - المصدر نفسه، ص 171.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

والاستباقات" فالمفارقة الزمنية أما أن تكون استرجاعا **anapleps** لأحداث ماضية، أو استباقا **prolepse** لأحداث لاحقة¹.

5-2-1- الاسترجاع **Anapleps** اشتغال الذاكرة:

بعد الاسترجاع شكلا من أشكال السرد الاستذكاري، حيث أنه يرجع الى الزمن الماضي، ويخرج القصة عن زمنها الطبيعي، فالاسترجاع هو : " مفارقة زمنية باتجاه الماضي انطلاقا من لحظة الحاضر، استدعاء حدث أو أكثر وقع قبل لحظة الحاضر أو اللحظة التي تتقطع عندها سلسلة الأحداث المتابعة زمنيا لكي تخلي مكانا للاسترجاع"².

فهو تقنية زمنية وأداة سردية وشكل من أشكال الرجوع إلى الوراء والإحالة إلى إحداث سابقة عن النقطة التي بلغتها القصة فهو : " عملية سردية تتمثل في إيراد السارد حدثا سابقا عن النقطة الزمنية التي بلغها السرد"³، ليمنح للمتلقي معلومات حول الشخصية الروائية وماضيها، أو الإشارة إلى أحداث سبق للسرد أن تركها فيظهر الاسترجاع كمرمر للفراغ الحاصل في مسار أحداث الحكاية مما يسهم في ربط أحداثها، فالاسترجاع جاء، " ليملاً الفجوات التي يخلفها السرد ورائه سواء باطلاعنا معلومات حول سوابق جديدة دخلت عالم القصة، أو باطلاعنا على حاضر الشخصية اختفت عن مسرح الأحداث ثم عادت لظهور من جديد، كما أنه يشير إلى أحداث سبق للسرد أن تركها جانبا واتخاذ الاستدكار وسيلة لتدارك الموقف وسد الفراغ الذي حصب في القصة"⁴.

وخلاصة القول أن الاسترجاع هو استدعاء أو استحضار للماضي ولجملة من الذكريات والوقائع التي جرت فيما مضى، وتوظيفها في الزمن الحاضر من السرد، بالاعتماد على جملة من التقنيات السردية الاستذكارية كالحوار الداخلي والاعتماد على الذاكرة

¹ - محمد بوعزة، تحليل النص السردى، تقنيات ومفاهيم، ص 89

² - جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد أمام، ص 16.

³ - ضياء غني لفنة العبودي، البنية السردية في شعر الصعاليك، أطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية التربية، فلسفة في اللغة العربية وآدابها، 2006، ص 61.

⁴ - المرجع نفسه، ص 61.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

والرجوع إلى الأحلام... وغيرها، حيث يستحضرها الروائي لإضفاء التميز والجمالية لعمله، فتوظيف الاسترجاع في المتن الحكائي ليس توظيفاً عشوائياً إنما وظف لغاية جمالية وفنية وجملة من الوظائف الأخرى التي تتمازج لتكون متن سردي متماسك الأجزاء، ينقسم هذا النمط من الاسترجاع إلى ثلاث أنماط وهي: "الأول استرجاع خارجي وهو الذي تكون سعته كلها خارج سعة الحكاية الأولى، والثاني هو استرجاع خارجي وهو الذي تكون سعته متضمنة في سعة الحكاية نفسها والثالث هو الاسترجاع المزجي الذي تكون مداه سابقاً لبداية الحكاية الأولى ونقطة سعة لاحقة لها"¹.

- الاسترجاع الخارجي: يكون هذا النمط في الرواية التي تعالج فترة زمنية محدودة، وهو تقنية يلجأ إليها الكاتب كي يعالج أحياناً سردية "فالخارجي هو ذلك الاسترجاع الذي تظل سعته كلها خارج سعة الحكاية كلها"²، ويأتي في صورة تذكر أحداث سابقة للحدث، أدى إلى تذكره ظهور إشارات معينة في الحاضر، كظهور حدث هو على نقيض حدث وقع في الماضي، فيذكر لبيان المفارقة بين الحدثين.

و قد كان لهذا النمط ظهور واحد في رواية " تماسخت... دم النسيان " حيث أورده كريم أثناء رحلته في القطار الذي تغيرت هيكلته وأصبح قديماً، حيث كان هو الآخر له خط من المحنة الدموية، فيتذكر الوضع الذي كان عليه القطارات في الزمن الغريب، يقول: " هل تذكر إلى زمن غير بعيد كانت قطاراتنا مجهزة بالمشارب والمطاعم انها النكبة بلون الانحطاط يا صديقي؟ "³، فهذا المقطع ظهر ليبين الفرق بين حالة القطار في الزمن الغير بعيد والزمن الحاضر .

¹ - باقر جواد محمد رضا الزجاجي، ثنائية الاسترجاع والاستباق في البناء السردى لدى الطيب الصالح، روايتي " موسم الهجرة إلى الشمال - عرس الزين"، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة أهل البيت، كلية الآداب، المجلد 19، العدد 81، ص 133.

² - جبرار جنييت، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، تر: محمد هضم، ط2، 1997، ص 65.

³ - الحبيب السائح، تماسخت.. دم النسيان، ص 26.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

- **الاسترجاع الداخلي:** يتعلق هذا النوع من الإسترجاعات، بإدراج داخل سياق الحكاية الأولى الأساسية عناصر جديدة متأصلة فيها، كأن يسترجع السارد أحداثا وقعت بعد زمن الحكاية، فالاسترجاع الداخلي هو الذي

" يستعيد أحداثا وقعت ضمن زمن الحكاية، أي أن يعد بدايتها، وهو الصيغة المضادة للاسترجاع الخارجي"¹، يتيح هذا النمط من الاسترجاع لروائي فرصة إعادة الأحداث التي لها صلة مباشرة بالقصة الرئيسية وشخصياتها المركزية.

- **الاسترجاع المزجي:** هو الاسترجاع الذي " يجمع بين اثنين"² يجمع بين الاسترجاع الخارجي والداخلي حيث يقدم في شكل " استرجاعات خارجية تمتد حتى تنضم إلى منطق الحكاية الأولى وتتعداه"³.

يسمى الاسترجاع المزجي بالاسترجاع المختلط لأنه يجمع بين الخارجي باعتباره ينطلق من نقطة زمنية تقع خارج نطاق المحكي الأول، وداخلي أيضا بحكم امتداده ليلتقي في النهاية مع بداية المحكي الأول.

يمكن القول في النهاية أن الرواية تكاد تكون في مجمل بنيتها السردية محض استرجاع مزجي، بسبب التناوب شبه مستمر بين تقنيتي الاسترجاع الداخلي والخارجي، غير أن الاسترجاع الخارجي تقنية تأخذ مسارا تنازليا، أي يبدأ ثم يصغر، في حين أن الاسترجاع الداخلي بأخذ مسارا تصاعدا، يبدأ صغير ثم كبير، مسيطر في ذلك على معظم بنية السرد الروائي، ومنه: " فالعلاقة بين الاسترجاعين هي علاقة مزجية وهي أيضا علاقة عكسية إلى حد كبير "⁴ ولكل منهما دوره في العمل الروائي.

¹ - لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص 20.

² - سيزا قاسم، بناء الرواية: دراسة مغاربة لثلاثية نجيب محفوظ، ص 58.

³ - جيرار جنيت، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، ص 70.

⁴ - أمنة يوسف، تقنيات السرد بين النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 2015، ص155.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

تتميز رواية " تماسخت... دم النسيان " بنوع الأزمة، حيث نجد الروائي فيها اشتغل على فعل التذكر في استعادة ماضيه الذي هو سر وجوده ومحاولة الإمساك بفرحة هاربة أما الفجيرة التي عرض لها الوطن والمواطن.

و قد قامت الرواية على جملة من الإسترجاعات، أعادته إلى زمن بعيد ينعم فيه بالهدوء والراحة، وزمن قريب قلب موازين حاضره وجعله يجتر مرارة حزنه، فها هو يصور فترة مظلمة في تاريخ جزائر التسعينات أين تعرض الشعب لأبشع طرف التعذيب والتتكيل، ومنها حادثة اغتيال أحمد من قبل المسلحين يقول: " جاء مسلح آخر وأدخل في منخري أحمد سلكا معقوفا، غارسا ركبتيه بين كتفيه، وجذب إلى الخلف فأسفر النحر لخنجر الجزارة، في يمين جعفر فتحررت صرخة أحمد تحت تكبيرة جعفر فتقيا السائق وتلحست الأنوار الراجعة"¹، فهم يرتكبون هذه الجرائم نتيجة فهمهم الخاطئ لتعاليم الإسلام، حيث يرتكبون جريمتهم الشنيعة تحت قول " الله أكبر".

كانت هذه الإسترجاعات شاهدة على بعض الجرائم التي ارتكبتها الوحش في حق زملاء "كريم" الذين كانوا يعملون في مهنة الصحافة، التي كانت ترفع من صوت الشعب ورفضت أن تقف على الحياد متفرجة فالواجب يملي عليهم بصفتهم فئة مثقفة واعية أن يقوموا بدورهم في البحث عن الحقيقة وإيصالها إلى شعب تشبع مرارة العنف، ليظهر الصحفي كهدف أول للجماعة المسلحة، فهو بمثابة ميت جاهز ومشروع قتل سجل اسمه في الصفحة الأولى لحظة الموت: " شكلت فئة المثقفين درعا أصابهم مع أول رصاصة أطلقها الإسلاميون فسقطوا الواحد تلو الآخر، لا يعرفون من أين يأتي القاتل ولا الطريقة التي يحمون بها أنفسهم"².

¹ - الحبيب السائح، تماسخت... دم النسيان، ص 145.

² - بوقندول حبيبة، بوهالي حسيبة، ظاهرة الإرهاب في رواية " وطن من زجاج" ليا سميحة نصر، مذكرة ماستر، جامعة عبد الرحمن ميرة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2012-2013، ص 51.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

و هذا بالفعل ما حدث لصديقه عمر الصحفي الذي اغتيل على يد الوحش فاستحضر صورته وبحث عن مسقط لدمعته الملحة في هذا الفضاء العظمي يقول: " لم يصرخ عمر تهاوى عاصرا قبضته بعصبية البائس، فزقق صوت من خلقه حاقدا تلاه عصف رشاش مزق ظهره"¹، هذا العمل الشنيع جعل البطل يعاود النظر في قناعاته ويطلق صفة مهنة الموت على مهنة الصحافة، حيث يخلو عنها لينجو بروحه ويقرر الانتقال إلى مكان آخر بحثا عن الأمن والاستقرار.

فتواجد كريم في بلاد الغربة، أيقظ في نفسه مشاعر الحنين إلى أمه، فاستحضر صورة لها في منزلهم الريفي، أين كانت السعادة لا تفارق ثغورهم يقول: " في عمق عيني أُملي كبرياء طائر الرخمة أُملي جميلة الصورة نبيلة الروح"²، كما راودته صورة الفتيات اللاتي كن تبهجن الأزقة بالزغاريد، فهنا يسترجع كريم فترة مراهقته وإعجابه بالفتيات اللاتي تزغردن، وهذا دليل على الزمن الجميل الذي كانت فيها الجزائر قبل محنتها يقول: " وحن لرؤية أولئك الفتيات اللاتي كن يخرجن إلى الحمام كقطات ريام، يحطن بعروس جديدة، فيغوى الفتيان بأحلام وأوهام وحب ويقبلن بزغاريد تبهج الأزقة وترقص القلوب"³.

يسترجع كريم جل هذه الأحداث والوقائع الماضية ويتذكر في جوف الليل همجية الطاغوت الذي يستعمل الخنجر في قتل ذات إنسانية، كرمها الله حيث يقول: " مقبض الخنجر الخشبي الذي اشتراه كان بمسمار واحد فاستغني أمام الحي في صلاحية أضحية العيد والآن بكم مسمار يجب أن يكون الخنجر لذبح إنسان"⁴، فهو يتعامل معها بإهانة كبيرة، حيث يقدم على قتلها بسهولة ويعد ذلك من أبشع طرق التتكيل والتشويه.

¹ - الحبيب السائح، تماسخت دم النسيان، ص 56.

² -المصدر نفسه، ص 10.

³ - المصدر نفسه، ص 146.

⁴ - المصدر نفسه، ص 52

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

هكذا كانت ليلة كريم طويلة وقاسية عليه، أثارت في نفسه خوفا هستيريا وحبسته في فترة شنيعة، خلقتها صور الفجائع التي لازلت تحدث في الذاكرة جرحا يصعب شفاؤه فيظهر البطل حبيس الزمن المظلم، تحت أنياب وحش أعمى قتل بهمجية الوطن وحوله إلى جحيم، فلا حروف قادرة على وصف هذا الكابوس المخيف " واجهنا البغل برأسه الآدمي"¹.

فقد حمل مأساته التي أرهقت كيانه، وندست حلمه الذي تحول إلى تعاسة وبؤس بعد قدوم النسر الحديدي الذي أحرق السهل " حلم لم يعد يدرى متى أن أمه طارت به إلى وراء الجيل الذي يحد حقلهم، لكن جاء النسر الحديدي وقع ناره على صديقه وأحرق سهلهم"².

فعلا انه زمن الخيبة، زمن يقضي فيه حلم وتغتصب فيه طفولة " خوفا وترددي وحيي الباقي لأرض أبوي هو ما يمزقني فأنزف حنينا إلى طفولتي المسروقة"³، فأين المفر من هذا القدر الملعون الذي سفك دمائنا وإستباح حرمتنا، وأسرى أرضنا بالدمار، وجعل من أجسادنا هدفا لرصاصته الطائشة لكن " اطمئن اغتيالنا قلادة عار على صدورهم"⁴، " كم أنا وحيد أوجه جميلة كم هي فادحة في قلبي الخيبة يا شهلة"⁵.

وفي موضع آخر من زمن الحلم نذكر أحلامه الجميلة وفصل ربيع في وجه أمه: " رأى أنه طارد شعورا بلا جدوى وقبض على فراشة بلون مرج أرضهم فنغثر فأفلتت وحطت إلى جانب نحلة راعية على نوار شجرة قندول، كان الربيع، وكانت أمه، لما عاد بصداع في رأسه دهنت له جبهته بتراب الولي سيدي محمد بن سواق فأحس نفسه تدرى في تلك التربة وتحول قرنفل"⁶.

¹ - المصدر السابق، ص 05.

² - المصدر نفسه، ص-ص: 104-105.

³ - المصدر نفسه، ص 105.

⁴ - المصدر نفسه، ص 53.

⁵ - المصدر نفسه، 199.

⁶ - المصدر نفسه، ص34.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

لعل حضور السرد الاستذكاري بكثرة في رواية "تماسخت... دم النسيان" رغبة في ربط الذات الساردة بماضيها، وإحالتها إلى زمن كانت فيه بين فكي وطن وأحشاء وحش سياسي، أفقد الذات توازنها " فقد استنزف كريم، ليالي وأياما، الشعور بأن وجوده أمسى يثقل على كاهله"¹، وحول أيامه إلى مرثاة حزينة لحاله وحال وطنه، فزمن الموت والرعب لا ينسى ويحفر في أعماق الذاكرة " لا الكحول ولا أي حامض كان سيمحو من ذاكري صورة ذلك المسلح الكابوسية"².

ليجد نفسه في متهاتات أسئلة معقدة وأجوبة متناهية في أسئلة أخرى لا تنتهي، فلا ظل يحميه من هذا الطوفان العارم ولا سلاح يقف به أمام مخاوفه وأحزانه من غير الكتابة " الأخ كريم من الجزائر، أحد المصابين بجنون الحرف، مثلنا مطارذ بسبب حلمه في أن يكون حرا"³، فلا يبقى أمامه سوى ريشة وحبر يدمر به واقعة ليعيد صياغة من جديد " هذا العالم يا صديقي، يجب أن ندمر هو نعجنه ونعيد نحن الفنانين صياغته"⁴.

فهيمنت السرد الاستذكاري من خلال تقنية التذكر عبر الرجوع إلى الورا، كانت بمثابة إثبات لأناه الوجودي وتأکید على ارتباط تاريخه بتاريخ وطنه " سنعرف يوما كيف نحب رمز يسمى وطننا يجمعنا"⁵ فتولد الذكريات بدون انتظام يشعر الذات بالانكسار لخسراتها رهانات الوجود بسبب خسران الوطن لرهاناته مع التاريخ، لنجد الذات الساردة نفسها عاجزة عن تحقيق أحلامها.

أما التقنية الثانية التي يستعين بها الروائي لإضافة الحس الجمالي والفني، هي تقنية الاستباق وهو الآخر له أنواع وخصائص تميزه.

¹-المصدر السابق، ص183.

²- المصدر نفسه، ص29.

³- المصدر نفسه، ص153.

⁴-المصدر نفسه، ص80.

⁵-المصدر نفسه، ص88.

5-2-2- تقنية الاستباق Prolepse اشتغال التخيل:

الاستباق هو أحد أشكال المفارقة الزمنية التي تتجه صوب المستقبل انطلاقاً من لحظة الحاضر، فهو يحدث " عندما يعلن السرد مسبقاً عما سيحدث قبل حدوثه"¹، ويعني هذا أن نتحدث عن حدث لم يقع بعد، يعرفه سعيد يقطين فيقول: " هو استباق بحيل مسبقاً على في حينه بتطويل"².

يلجأ إليه الروائي لنقل أحداثاً ستقع في المستقبل أي في قبل حدوثها وهو يعني من الناحية الفنية: " تقديم الأحداث اللاحقة والمحققة - حتماً - في امتداد بنية السرد الروائي، على العكس من الوقع الذي قد يتحقق وقد لا يتحقق"³، يهدف إلى تشكيل زمن خاص يتجاوز فيه صيرورة الزمن الخطية، وذلك بتقديم حدث لم يصل إليه السرد بعد، بغية تمييز دلالة أو كشف رؤية ستقع لاحقاً في المستقبل، والتي يعلن عنها إما صراحة أو تمهيد للحدث المسبق وذلك حسب الوظيفة التي يؤديها الاستباق " فالاستباق يدل على حركة سردية تقوم على رواية حدث لاحق أو يذكر مقدماً"⁴.

والاستباق محاولة لكسر خطية الزمن وتسلسله، إنه يقوم على "مخالفة سير زمن السرد ومن خلال تجاوز حاضر الحكاية وذكر حدث لم يحن وقته بعد"⁵، وقد يأتي هذا الإستباق عن طريق توقعات الشخصية لأحداث ستقع في المستقبل، فيعلق دور المروي له ويبرز الراوي الذي يباشر في سرد حكايته حتى النهاية، ويأخذ مساحة واسعة من الرؤية، من هنا فالإستباق يأتي على: "شكل حلم منبئ أو افتراضات صحيحة أو غير صحيحة بصدد المستقبل"⁶.

¹ - محمد بوعزة، تحليل النص السرد، ص 89.

² - سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص 96.

³ - أمّنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ص 119.

⁴ - جيرار جنيت، خطذي اب الحكاية، بحث في المنهج، ص 51.

⁵ - لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص 16.

⁶ - ضياء غني لفته عبود، البنية السردية في شعر الصعاليك، ص 65.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

تكمن الغاية التي يؤديها الإستباق في القصة على:"تحميل القارئ على توقع حادث أو التكهّن بمستقبل إحدى الشخصيات"¹، وهذا ما يمنح هذه التقنية القدرة على شد القارئ وزرع في نفسه التشويق لمتابعة الأحداث.

لقد ميز جيرار جنيت بين نوعين من الإستباق، يكمن الاختلاف بينهما في الوفاء بما أخبر الراوي عنه صراحة أو ضمناً، فيقول: "فإذا أخبر الراوي كما هو متوقع أو محتمل الحدوث ضناً فهذا تمهيد أما إذا أخبر صراحة عن وقوعه وأخذ على عاتقه تحقيق هذا الإعلان الذي صرح به حاضر السرد فإنه إعلان"².

-الاستباق التمهيدي :هو الإستباق الذي يكون بمثابة توطئة لأحداث لاحقة تكون منها التطلع الى ما هو متوقع أو محتمل الحدوث في العالم الروائي، "إن الإستباق التمهيدي يمثل في أحداث أو إشارات أو إحياءات أولية، يكشف عنها الراوي ليمهد لحدث سيأتي لاحقاً وبالتالي بعد الحديث أو الإشارة الأولية هي بمثابة استباق تمهيدي للحدث الآتي في السرد"³.

وتعد الرواية بضمير المتكلم هي الأنسب في الإستباقات التمهيدية، وهذا النوع من الإستباق يرفض الظهور بشكل صريح ويأتي ضمناً على شكل إشارات أو تمهيدات وحتى أحلام.

ولقد كان لهذا النمط من الإستباق الإستشراقي حضور في رواية "تماسخت...دم النسيان" في صيغة رؤيا برزت كنقطة انطلاق في مقدمة الرواية.

¹-رمضان علي عبود، الزمن في قصص جمال نوري، مجلة آداب الفراهيدي، العدد 17، كانون الأول، 2013، ص 10.

² -نبيل حمود الشاهد، بنية السرد في القصة القصيرة، سليمان فياض نموذجاً، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 2016، ص.209

³-مها حسن يوسف عوض الله النصراوي، الزمن في الرواية العربية (1960-2000)، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 2002، ص.209.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

- الرؤيا كتمهيد:

ينفتح عالم رواية "تماسخت" برؤيا* تجسدت في كابوس عجيب المعالم، ينتشر في مناخه رائحة الفاجعة حيث يتراءى للذات الساردة وجودها مع شخص في الغابة، قبل أن يراودها كائن غريب يحمل جثة بغل ورأس إنسان، تكتشف من ملامحه أنه ابن عم لها، يقول السارد: " وجدتني أسير مع شخص لا أعرفه داخل الغابة لما وقفنا على بغل يختصر، فطلبت إلى مرافقين أن يجهز عليه فتردد قليلا ثم أخرج مسدسه، وإذا بالفعل ينهض برأس رجل من معارفي يقول لي: أنت كريم بن محمد ابن عمي ونريد أن تقتلني بهذا الطاغوت الذي يحميك؟ أنا سأبيدكم يا طواغيت"¹.

فذكر القرابة " ابن عمه" في هذه الرؤيا أظهر علاقة الإنسان بالإنسان الإنسانية وحبسها في قوقعه الخوف والرعب، فهذا الطاغوت موجود في كل مكان، ويظهر في أي لحظة، بخطط الأرواح ويسقط الدماء ويسرق سكينته النفس، ويقبض على روح نفخها الله في الإنسان مغيرا بذلك قدر الإنسان، يقول السارد: " الله أبدع خلفه في وحدته، يجب أن تعرف أن عزلة البشر مهما تكن من التحصين، فإنه يخرقها رقيب يتسرب إلى الضمير وينفذ إلى القلب، يستقر في الوجدان ويلبد في اللاوعي تلك حقيقة الوحش الذي أزاح عن النفوس الهشة خشية خالقها وبث فيها من خوفه البهيمي"².

لقد حملت هذه الرؤيا رائحة الموت والخراب لترسم منافات من الرعب والقتل، حولت جزائر التسعينات إلى كابوس ثقيل لا يزال يفتك بحياة الجزائريين، يقول كريم : " كذلك هو

*الحلم والرؤيا:وردت كلمة الأحلام في القرآن الكريم ثلاث مرات وسياقها أنها هواجس وأحلام لا تفسير لها، وليس كل حلم يفسر.وقد جاءت بصيغة الجمع دلالة على الخلط"قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام"، اما الرؤيا فجاءت سبع مرات وكلها تتحدث عن الرؤيا الصادقة وتستعمل بصيغة المفرد دلالة على التميز والوضوح والصفاء"قال لا نقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا"والفرق بينهما يكمن فب أن الرؤيا من عند الله أما الحلم من الشيطان.

¹ - الحبيب السائح، تماسخت...دم النسيان، ص 05.

² - المصدر نفسه، ص 50.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

الرعب تكاد لا تعرفني فلها ذروة الإنهيار"¹، فعوالم الفاجعة والمأساة التي مهدت لها " الرؤيا" الكابوسية، ما هي إلا نظرة ضبابية لجزائر التسعينات التي صار فيها الموت هاجسا متمكنا من النفوس التي تمارس أشكال وجودها على إيقاعه الجنائزي في أجواء خاتمة بلون المصير الفاجع، يقول السارد: " رابطو قاتلكم نحن مدعوون إلى يوم عظيم وليحرس كل واحد فيرى إلى أن يموت دونه"².

الحلم تحول إلى كابوس مرعب ملئ بالوحشية، نتيجة مرور الذات الساردة بأزمة شديدة الحدة وواقع شديد المرار، فهذه الصورة المخيفة التي حملتها الرؤيا مهدت لأحداث لاحقة قبل أوانها، قصد وضع القارئ في الجو العام الرواية، فرغبت الوحش في القتل منذ الوهلة الأولى التي سيطرت على جو الرواية منذ بدايتها يقول: "أخرج مدفعا، فهريا فرمانا بقذيفة وقعت دون أن تنفجر"³.

إلى نهايتها التي أيقنت أن الموت هو الحقيقة الوحيدة وأمر لابد من تحقيقه سواء برصاصة أو ضربا بالخنجر، يقول كريم أثناء عودته إلى الجزائر: "في مطار هوارى بومدين نزل ومنه خرجت وحيدا إلى موتى برصاصة أو ذبحا وربما بسرطان"⁴.

هذا الاستباق التمهيدي أدى إلى إثارة هاجس الخوف لدى شخصية البطل، وهذا ما يؤكد هذا المشهد، يقول: " التفت إلى مرافقي فلم أجده، فصرخت"⁵.

و يحيل هروب الذات الساردة ورفيقها إلى رفض الوضع القائم ومحاولة تغييره، في الوقت الذي يتعب فيه الوحش من ملاحقة النفوس البريئة واغتيالها، يقول: " أنا تعب"⁶، فانهزام الوحش واعترافه بجرائمه لم يكن له أي معنى لأنه من كان موضوعا للقتل قتل، ومن كان

¹ - المصدر السابق، ص32.

² - المصدر نفسه، ص202.

³ - المصدر نفسه، ص 05.

⁴ - المصدر نفسه، ص-ص: 209-210.

⁵ - المصدر نفسه، ص 05.

⁶ - المصدر نفسه، ص05

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

قدره التتكيل والتعذيب لا في حذفه، هذه الهمجية أغرقت الوطن في طوفان الدم، وتمنى كريم أن يكون قد ولد في غير هذا الوطن، يقول: "ليت أنني بلا سمع ولا بصر، أو جئت في زمان غير هذا العصر في بلد غير هذا الوطن، أو كنا ولدت قبل الطوفان، أو بقيت جزء سابحا في الفضاء"¹.

كما لخصت هذه الرؤيا ما يعانيه الفرد من حسرة وألم في جزائر المحنة والدم، والتي تأزمت أحداثها وكبرت جراحها، يقول:

"شيء فظيع ما يحدث عندكم.

ديناميكا الجنون . .

أعلى من الجنون.

مايرى ويسمع شيء أشنع."².

جاءت لغة الحلم حاملة لفكر استشراقي، وطاقة إستباقية ذات صيغة رمزية، حيث أنها أحال إلى مبدأ تدمير الذات بالذات، هذا ما أشار إليه الرؤيا من خلال سقوط الآدمي برأس بغل يقول: " وإذ بالبغل ينهض برأس رجل من معارفي"³.

إضافة إلى ربط عملية التفجير الذي تركه وراءه في الشمال بالتفجير الذي وجدته في الجنوب، والذي قام به الإرهاب بشكل همجي من أجل استهداف المواطن الجزائري ووطنه، فالفاجعة واحدة والوحش واحد والهدف معروف: تدمير الذات الإنسانية يقول السارد: " فسمعت صياح ديك يشبه عويل الريح في تماسخت يوم عدت من رقان مرعبا بهول التفجير"⁴.

1 - المصدر السابق، ص 26.

2 - المصدر نفسه، ص 65.

3- المصدر نفسه، ص 05.

4- المصدر نفسه، ص 05.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

لقد حضر الحلم كتقنية استخدمها الروائي ليعبر بها عن موقفه الراض للحاضر الجزائري، والمتطلع إلى واقع بديل أفضل، فالحلم بديل للواقع، يشكل طقوسا وجودية يعسر تحقيقها في واقع كانت حقيقته الوحيدة هي الموت الرخيص .

- الاستباق الإعلاني:

هو عكس الاستباق التمهيدي، حيث أنه يعلن صراحة عما سيشهده السرد من أحداث لاحقة، ونقول " صراحة" لأنه إلى مجرد إشارات لا معنى لها في حينها ونقطة انتظار مجردة من كل التزام تجاه القارئ فالإعلان هو الذي : "يعلن صراحة عما سيأتي سرده مفصلا، بينما التمهيد يشكل بذرة غير دالة، لن تصبح ذات معنى إلا في وقت لاحق بطريقة رجعية"¹، فالاستباق الإعلاني تقنية تتم بشكل مباشر عن طريق مهمة إخبارية حاسمة، وقد ظهر هذا الاستباق في نهاية الرواية كيقظة.

2- اليقظة كإعلان:

لقد وضعت اليقظة* التي وضعها الروائي في آخر الرواية جميع الألغاز والأسرار التي أوجزت جميع خيباته في وطنه ومع أصدقائه، وأعادته إلى ذكريات من ماضيه القريب، ليفتح عينيه على حقيقة مرة ورحلة طويلة في ذا العميقة التي أصابها المسخ والتشطي وسيطر عليها الخوف والهلع وأصبح فريسة للموت المبرمج يقول: " كنت سنموت كما برمجو لك" ².

ورحلته خارج تراب وطنه لم تنفعه فالرباط صدته بغربة مهانة، وتونس تركته للوحدة والأحزان، ليدرك أن العيش في بلاد الغربة مهانة وعيش بلا كرامة، فيقرر الرجوع والموت على صدر الوطن، وكانت قوة منه أن يواجه قدره المحتوم برصاصة أو خنجر يقول: "

¹ - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص137.

* اليقظة هي الانتباه من النوم، أو خلاف النوم ومنه: ما أنساك في النوم واليقظة

²-الحبيب السائح، تماسخت...دم النسيان، ص98.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

الموت مقتولا على صدر الوطن أكرم من عافية بلا كرامة"¹، ويقول أيضا: " في جيبني تذكرة عودتي نحو رصاصتي أو خنجري الضامنين إلى دمي"².

كما أيقن البطل كريم أن الوضع لن يستمر طويلا، فالوطن لنبلأ وحرة الشهداء بدمهم، لن يستسلم لهذا الطاغوت المتطرف الذي يعبث فيها فسادا فلا بد من الخلاص يوما، يقول عن الجزائر: " الجزائر وجدت من أجلنا لن تركع ؟ لن تسلم لنهاية مظلمة لأن قلبها ممنون بدم شهدائها"³.

إن هاجس الموت الذي طال البطل من رقان الى تماسخت يتركه في غربة ومحنة أخرى،، إنها غربة الذات المتشظية عن بناء سلام، تتوقف عنده لتضع حدا لغربة الذات مع الذات في عصف الذاكرة المستمر يقول: " في ذاكرتي صوت زرعني بين رقان وتماسخت نوحا لتشيع دم النسيان"⁴، لدم لم يطله بعد ذلك النسيان.

من خلال ما سبق نستخلص إلى أن :

- ✓ الزمن من المكونات الرئيسية التي يستغني عنها أي سارد.
- ✓ عنصر الزمن يتميز بمكانة مرموقة في الفن الروائي.
- ✓ جاء الزمن في رواية تماسخت ليعبر عن فترة التسعينيات أي كانت الجزائر في أعسر فترا محنتها.
- ✓ حركة الزمن نكون أما استباق أو استرجاعا.
- ✓ الاسترجاع هو استدعاء أو استحضار للماضي في الزمن الحاضر.
- ✓ قامت رواية تماسخت على جملة من الاستحضار، بسبب رغبة الروائي الملحة في ربط الذات الساردة بماضيها وإحالتها إلى زمن كانت تتعم فيه بالراحة.

¹ - المصدر السائق، ص : 176.

² - المصدر نفسه، ص 176.

³ - المصدر نفسه، ص 142.

⁴ - المصدر نفسه، ص 211.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

✓ يظهر السرد الاستشراقي في صورة رؤيا مهدت للفاجعة التي عانى ومازال يعاني منها البطل في جزائر الدم.

✓ يقظة الذات الساردة، بينت حقيقة الواقع المر الذي أنهك الوطن والمواطن.

✓ هذا التناوب بين السرد الاستحضاري والاستشراقي هو التقنية الأساسية التي يقوم على الرواية في مجمل بنيتها السردية.

6- التعدد اللغوي/ تعدد اللهجات

تكتسب اللغة في الإبداع بوجه عام وفي السرد الروائي على وجه الخصوص مكانة مهمة، بل إن الرواية تكتسب أهميتها وتميزها عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى إلا في إطار التصور النظري العام للغتها من خلال التركيز والاهتمام بعملية التشخيص اللغوي، وبمختلف البناءات السردية وما تتوفر عليه من خصوصية فـ"رواية صياغة لفظية متميزة والخطاب الروائي لا يمكن إن يتحدد بالحكاية فحسب، بل بما يتضمنه من لغة توحى بأكثر من الحكاية، وابتعد من زمانها ومكانها ومن إحداثها وحتى شخصياتها"¹

فاللغة هي الأداة الأساسية في التشكيل الفني للرواية والوجه المعبر عن أدبيتها وهويتها، التي لا تتجسد إلا بواسطتها ومن خلالها "فما انتماء الرواية إلا للغة التي تكتب بها بغض النظر عن الحكاية وانتمائها إلى هذا المكان أو إلى هذا المستمع"²

من هنا جاءت رواية "تماسخت...دم النسيان" للروائي الحبيب السائح بلغة متميزة ومجموعة من الخصائص الفنية والقيمات الجمالية التي تطرح بطريقة فنية العلاقة بين : الواقعي / المتخيل، الروائي/ التاريخي، التأصيل/ التجريب، الذاتي/ الموضوعي، الأنا/ الآخر... وغيرها من العلاقات التي قدمت بلغة راقية وتكثيف دلالي قائم على الانزياح

¹ - محمد العيد تاورته، تقنيات اللغة في مجال الرواية الأدبية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، كلية الآداب واللغات، العدد 21، 2004، ص51.

² - جوادي هنية، التعدد اللغوي في رواية "فاجعة الليلة السابعة بعد الفة" لواسيني الأعرج، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 05، 2009، ص:313.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

والغموض وخرق المؤلف من أجل إنتاج شعرية خصوصية تستفز القارئ لإقحام عالم الرواية.

ومن امثلة التعدد اللغوي داخل المتن السردى لرواية "تماسخت...دم النسيان" نجد:

6-1- لغة القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو المرجع الأول والنص السامي المقدس الذي ينهل منه الروائي، كلماته وألفاظه، لما فيه من فصاحة وبلاغة وصياغة جديدة، فهو يصور تقلبات القلوب وخلجات النفوس.

لقد وظف الروائي الكثير من التعبيرات القرآنية، والتي أصبحت بمثابة المعجم اللغوي الذي يستند إليه في عملية الكتابة.

ومن هذه التعبيرات نجد قول كريم "فتراءت له يد سي عبد القادر امتدت إلى دمه العاري في الشارع

الخالي ورسمت به على الدار الله بريء"¹

فالله بريء جملة من القرآن وظفها الروائي تناسبا مع الآية القرآنية "...أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ " سورة التوبة، الآية 3

دلالتها في الرواية أن الله بريء من أفعال الجماعة المسلحة التي كانت تزهق دماء النفوس البريئة تحت اسم الشهادة

وكذلك في قوله "أسبح في الملكوت حين أسمع ترتيل عبد الباسط يرقى بضياعي إلى منتهى غيابي في الأحد عشر كوكبا والشمس والقمر "²، فهذه الجملة مأخوذة بعينها من

¹-الحبيب السائح، تماسخت...دم النسيان، ص:37.

²-المصدر نفسه، ص 95.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

سورة يوسف، لقوله تعالى: "إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ" سورة يوسف، الآية 4.

هذا التناص الذي أورده الروائي عبر من خلاله على إعجابه الشديد بترتيل عبد الباسط لآية من سورة يوسف.

وفي موضع آخر يأسف "كريم" على الحالة التي وصل إليها شعبه من جراء جرائم الجماعة المسلحة التي تزيد يوما عن يوم، بقول "القتل يلثم زماننا غدرا وثأرا وتنكيلا، أنظر الحماقة تستنفرنا مثل جهنم تندي فينا هل من مزيد"¹، وهذا التعبير جاء لإظهار الحسرة وكدليل على استمرار القتل وتواصله مثل جهنم تريد المزيد مثل قوله تعالى "يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ" سورة الكهف، الآية 30 .

كما يورد كريم في أحد حواراته جملة مقتبسة من القرآن الكريم يعبر بها عن أمته بقوله "هل تسمع ناهيا عن منكر أو ناهيا عن منكر أم آمرًا بمعروف بصدع"²، وهي مأخوذة من سورة آل عمران يقول عز وجل "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ" الآية 110، هذا الاقتباس جاء به الراوي لتأكيد على أن الأمة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتواظب على فعل الخير، لن تظل ولن تتفرق مهما حصل داخلها، هذا من جهة وكرمز للتحدي والأمل والوقوف في وجه الزمن الظالم من جهة أخرى.

واستدل الروائي بآيتين من سورة الفيل في قوله تعالى: "وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ" سورة الفيل الآية 3-4.

لتصوير كيفية التحاق المسلحين بطلاني وقنله شر قتلة وبعد أن اجتمعوا كأنهم أبابيل، يقول السارد: "وفيها كان طلياني أردى بمسدسه احد المارة ألي جلاذ وفر لاحقه حشد غاضب فقتلوه وشخوا رأسه فعم سيل عظيم وانفجر الهول وسط لعلعة البارود وقذفت

¹-المصدر السابق، 120.

²-المصدر نفسه، 123.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

الحجارة من فوق أقواس، كان أبابيل ترميها على العسكر " ¹، وهذا دليل على فجاعة القتل.

كما أورد الروائي تعجبا واستغرابا عن فضاة وفجاعة القتل والتكيد الذي يمارسه الإنسان في حق أخيه من دون إن يرف له جفن يقول احد الشيوخ لكريم: "كيف يظلم ابن ادم أخاه وقد حرم الخالق على نفسه الظلم" ²، هذه الجملة مقتبسة من الحديث النبوي الشريف، دلالتها في الرواية هي التعجب من ظلم الوحش في الوطن، فهم يمارسون الظلم الذي حرمه الله على نفسه لقوله تعالى على لسان نبيه . " يا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالُمُوا".

وفي مقطع آخر مقتبس من الحديث النبوي الذي جاء على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، ويمسي كافرا ويصبح مؤمنا " يعني أن اشد الفتن هي أن يمسي المؤمن مؤمنا ويصبح كافرا في يوم واحد، وقد وردت في الرواية بالمعنى ذاته يقول السارد : "ستكون فتنة بعدي يموت فيه الرجل يموت بدنه يمسي مؤمنا ويصبح كافرا" ³

كانت هذه بعض من الخطابات الدينية التي كانت حاضرة بقوة في خطاب "تماسخت" التي تنوعت وآيات قرآنية أحاديث نبوية، كدليل على ثقافة الروائي الإسلامية وسعة اطلاعه، جاعلا من النص أكثر إقناعا وجالبا للمتلقي.

6-2- لغة تاريخ :

ترتبط الرواية كبنية رمزية لغوية متخيلة تقدم رؤيا خاصة للعالم بتاريخ كعلم يمتاز بالموضوعية، واعتمادا على مناهج مضبوطة وما يؤكد هذا الارتباط هو اندراج أي نص

¹-المصدر السابق، ص :202.

²-المصدر نفسه، ص :124.

³-المصدر نفسه، ص :68.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

أدبي "ضمن سياق مجتمعي التاريخي يشترط ويحضر ظهوره، فغناصره ما قبل النص الأدبية واجتماعية وإيديولوجية تحت تراث ومادة المؤلف أي التي يتشكل من انسجامها فاعل تاريخي ومجتمع ملموس وهو الكتاب"¹

فرواية إذن هي: "تاريخ متخيل خاص داخل التاريخ الموضوعي"² ومن هنا يلتقي الروائي بالمؤرخ في اعتماد كل منهما على المادة التاريخية إلا أنهما يختلفان في كيفية التعامل مع هذه المادة وفي الغاية التي ينشدها كل واحد منهما في تعامله مع التاريخ.

وبالنسبة لرواية "تماسخت... دم النسيان" فهي رواية تتأسس على استحضار التاريخ الذي ينتشر في كامل متن الرواية، مذكرا بأحداث تاريخية حاسمة من التاريخ العربي، أو ملفتا الانتباه إلى بعض الصور الدرامية وخيبات الأمل والانكسارات المريرة، يقول "كريم": "استدرك شيخ بعمر قبسة من تاريخ الكراهية، واستذكر التي استصرخت صلاح الدين الخليل لا يجيب فجرا يتظهر بدم مصلية عصب عينيه بخرقه عبثية"³

كما يربط ما يجري في الجزائر بفلسطين، فيقول: "بحث بين ضلوعه عن مخايط يرتق به انشطاره بين إلهه، وبين ضلالة انتمائه فالتقط شعاعا نسبته شمس تلك الجزائر"⁴، ويواصل قوله: "مسلوب منهوب ومهلوك من ليس دينه القتال ولا في غريزته البأس خمسة عشر من القتال الديني ضد الآخر وضد الذات ومن تأويل الحروب المقدسة ومن الانزلاق"⁵

إن هذه الشواهد التاريخية التي تعبر عن العرب كذات وكحضارة وتاريخ تشكل محطات تاريخية كبرى ومهمة، لكنها غير قادرة على إعطاء تفسير منطقي وحقيقي لما آلت إليه

¹ -إبراهيم الفيومي، الحداثة من خلال التراث، قراءة في رواية "هاتف المغيب" لجمال الغيطاني، مجلة البصائر، جامعة البنات الأردنية الأهلية-الأردن، قسم اللغة العربية، المجلد 1، العدد 2، 1997، ص: 14.

² - المرجع نفسه، ص: 16.

³ - الحبيب السائح، تماسخت... دم النسيان، ص 81.

⁴ - المصدر نفسه، ص 65

⁵ - المصدر نفسه، ص 103.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

أوضاع العالم العربي والإسلامي قديما وحديثا، وتحديد مواضع الخلل فيه لكن ذلك في خارطة وطي يضيق افقه لإدراك الصورة الكاملة، ويتسع بالمقابل لكل أصناف الأغلال والعتمات التي تحاول جاهدة لإخراس وإسقاط الضمائر في فجوة الذل والهوان

6-3- أشكال التعبير الأدبي الشفوي:

على الرغم من اختيار الروائي اللغة العربية، الفصحى واتسامها بمستوى روائي عالي جدا من خلال استثمار سحر البلاغة والتكثيف اللغوي الهادف، هذا ما يتضح جليا في هذا المقطع، يقول: "العربية...العبرية جناس مؤكد أن العمران لا يعاني من انتشاره العبراني..كم نحن ممزقون بين عربية وفرنسية، ليت التي تعلمت اللاتينية والأفقه والإشارات اللاهوتية في الفرنسية تغذيت من نسق اليهودية المسيحية لكني لا اعلم إن العبرية أضافت لأي لغة أخرى ما عدا السامية؟ نحن الساميون؟ لو في القدس رأيت حلما ولو في الأقصى رفعت أذانا أو في القيامة أقمت قداسا"¹، ادخل معها مجموعة من اللغات واللهجات العامية اليومية المتداولة بين أفراد المجتمع.

فاللهجة العامية تحضر كشكل لغوي أخضعه الروائي ودسه في بأشكال متقطعة بين تلافيف الفصحى، محاولا الارتقاء بالعامية إلى مستوى اللغة الفصيحة، مما يجعل كل منهما يحاور الآخر ويتفاعل معه تفاعلا بناءا.

ولقد استفردت رواية "تماسخت...دم النسيان" من سجل العامية الجزائرية المتنوع عدد لا يستهان به من الأشكال التعبيرية ونقتصر على ذكر بعضها:

أ-الأغنية الشعبية:

وظفت الأغنية الشعبية في آخر صفحات الرواية وكانت بمثابة الدعامة القوية التي يستند إليها، حتى يزيد روايته شعبية ويعطيها الصيغة الواقعية التي تمنح معانيها عمقا وقوة وإيحاء،

¹-المصدر السابق، ص:75.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

ليتأثر بها المتلقي بمجرد سماعها، ومن أمثلة المقاطع الشعرية المطبوعة بالغة الدارجة والتي أضافت على الرواية سحرا وجمالا يقول :

أما الدنيا وأهلها في ...	" الصبر لله والرجوع إل ربي
واللي صندوقه بالفلوس معبي	الشيخ الهيدوف واللي بماله
الناس الغنيا كسبهم في ...	التاجر والفلاح والوصاله
والقسم مسوقر في كفالة ربي ¹	الموت مرة بركه يا صاغيني

لقد جاء الروائي بالأغنية الشعبية ليعبر من خلالها عن عجزه وفقدان أمله اتجاه الوضع المأساوي الذي وصلت إل بلاده بسبب شناعة أفعال الجماعة المسلحة، خلال زمن المحنة والدم، فهي تصوير لعذاب الذات وتشظيها وخيبتها المتواصلة من خلال ما ثبته من أشجان وهموم وتجاوزت نطاق الذاتية الضيق لتتفتح على هموم الذات الجمعية وتخرق عواملها المريرة ولحظات اغترابها النفسي قبل الجسدي وتحولها غلى دمي بشرية تحت مشرط تجريح الجماعة المسلحة .وفي مقطع آخر يصف الألم والحرقة التي تسبب الإرهاب في إشغال فتيلها في النفوس البريئة، وسرق أرواح الناس من دون أي ذنب لهم يقول:

" لم ولادك يا جرجار هيا باش نفديو الثار²

كما يحضر في هذا المقطع دعوة صريحة إلى القتال والأخذ بالثأر وجعل الإرهاب يمتص مرارة الخيبة والخسارة، ودفعه إلى الشرب من نفس الكأس، وتعجيل منيته بخنجر ورصاصة الأمر الذي كان يمارسه خلال عشرية كاملة .

¹-المصدر السابق، ص :195.

²-المصدر نفسه، ص:178

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

ورود مثل هذه المقاطع المليئة بصدق المعاني والبعيدة على الزخرف اللفظي والخالية من التكلف، أضفى على الرواية الكثير من الواقعية والمصدقية، وجعل عالمها المتخيل قريب من العالم الموضوعي وتجلياته المختلفة.

ب- الصيغ العامية للهجات:

إستحضر الروائي بعض الصيغ العامية المتداولة والتي كانت لها حضور دال في الحوادث أو في سياق تداعيات بعض الشخصيات المحورية، من بينها: "الباب البراني-ربي يسهل -لويت ذراعه-يركع -دشرتهم-بالعقل عليك -كواغظك -حوانت -حوش- مغنديش- دوفيز-شحال عندك دراهم -الطاحنة -طروليات -مانيش ارنب" وغيرها من الصيغ التي كانت في مجملها تعبر عن مواقف بسيطة للإنسان الشعبي، إلا أن الروائي حاول تفعيلها واتخاذها أداة يكشف من خلالها عن رؤية الإنسان الشعبي لواقعه المعيشي مما أضفى على ملفوظ الشخص نوعا من الألفة والعفوية وأكد ارتباطه بالبيئة المحلية .

هذه المقاطع السردية من اللهجة العامية قد تخللت اللغة الفصحى على أساس ارتباطهما الوثيق، ليأتي خطاب "تماسخت" موافقا بين "الفصيح والدارج ينظر إلى وزن الفصيح وقيمتة المعرفية تبدو العامية مساسا به ¹، ومزاجا بين ثلاث لهجات في مقاطع حوارية بين اللهجة الجزائرية والمغربية والتونسية.

تجلت اللهجة الجزائرية في كثير من المقاطع السردية، مثلها البطل أثناء تواجده في الجزائر، يقول: "راني رايح للعاصمة في مهمة قد تطول قليلا ²، وفي مقطع حوار آخر بين أحد أفراد الجماعة المسلحة وأحد ركاب القطار يقول: " انت كيما صحك...هيا

الدوزيام

بلعقل عليك...اطلقتني..

¹ - السعيد بوطاجين، السرد وهم المرجع، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2005، ص:60.

² - الحبيب السائح، تماسخت...دم النسيان، ص:10.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

هيا امشي...

نح يدك حاسب روحك...حكومة.¹

كذلك يقول: "ما تقتلنيش مانيش أرنب؟"²، "كواغظك"³

تظهر اللهجة العامية الجزائرية من خلال الألفاظ التالية:"راني رايح -صاحبك-بلعقل عليك-نح يدك-حاسب روحك-ما تقتلنيش-مانيش-كواغظك...".

عندما سافر كريم الى المغرب، نجده استخدم اللهجة المغربية في قوله:

"واه تسمح لي بتلفون

زوز ديال الدراهم"⁴.

وفي موضع آخر يقول: "مليحك...أشداك إلى التراز"⁵، وأيضا "آشبيك ...آمولاى بالله عليك"⁶

تمثلت اللهجة المغربية في الألفاظ التالية "واه-مليحك-اشداك-التراز-اشبيك بالله عليك.. " وغيرها من الألفاظ والتراكيب المغربية والتي كانت في تداخل مستمر للغة الفصحى، وقد كثر استخدامها منذ اللحظة الأولى التي وصل فيها "كريم" إلى المغرب.

أما اللهجة التونسية فقط ظهرت أثناء رحلة كريم الأخيرة إلى تونس وتظهر من خلال حوارهِ مع أحد الأصدقاء، يقول: " إن شاء الله تعجبك تونس

¹-المصدر السابق ، ص:30

²- المصدر نفسه ، ص:15.

³- المصدر نفسه، ص:27.

⁴- المصدر نفسه، ص:108.

⁵- المصدر نفسه، ص:141.

⁶- المصدر نفسه، ص:150

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

مرحبا...بيك في تونس¹

وفي موضع آخر، يقول : "بربي ؟ الرجل الطيب"²، "كاين تونس، عميقة بحكم"³ إضافة إلى بعض المفردات وتراكيب الآتية ومنها: "بربي -عميقة بحكم -برشة -لوطة ...".
تمتاز هذه اللهجات الثلاثة في الرواية لتضع بعدا آخر لنسق اللفظ والدلالة، متجاوزة بذلك نمط الكاتبة التقليدية الكلاسيكية التي كانت سجينة الحرف الواحد والمدلول ثابت، فهي تحيل إلى الواقع بشكل كبير وتضفي على عالم الرواية اللمسة الحقيقية التي عاش في كنفها الروائي ونقل تفصيلها بأمانة وشفافية .

من خلال ما سبق نستخلص إلى أن:

- اللغة قبل أن تكون وسيلة الروائي فهي قبل كل شيء وعي إنساني مشبع بجل التجارب الحياتية في بعدها الإنساني.
- اللغة لها أهمية كبيرة في الرواية، فهي تتألف مع بقية العناصر الرائية لإبداع عالم منسجم يدل على المستوى البنائي .
- ظاهرة التعدد اللغوي من أهم الظاهر البارزة فالنص السردى التسعيني.
- تسعى رواية "تماسخت...دم النسيان" إلى إيصال ملفوظها السردى للقارئ بعدة لغات .
- إلى جانب اللغة العربية الفصحى وما تتوفر عليه من خصائص اللفظية وتركيبية، تظهر اللغة الدينية المقدسة، واللغة التاريخ المؤرخة، وتتشابك المقاطع السردية بأحاديث العامة رافعة لصوت الأغنية الشعبية واللهجات العامية.

¹ -المصدر السابق ، ص:160.

² -المصدر نفسه ، ص:178.

³ -المصدر نفسه ، ص:182.

الفصل الأول:.....تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

- هذا ركام الهائل الذي أقام عليه الروائي عوالم روايته ونسق تيماتها وأخرجها للقارئ بدرجة عالية من الاتساق وتناغم، يحي بتعدد مناهل الكتابة لديه وقدرته على تطويع قلمه لمثل هذه النماذج المتميزة.



الفصل الثاني

سرديّة الخوف وآلية المقاومة

- 1- صورة الخوف
- 2- الخوف والتحول
- 3- الخوف وآلية المقاومة
- 3-1- صورة الآخر
- 3-2- التأصيل للعنف
- 3-3- الحنين كمقاومة للخوف
- 3-4- فعل الكتابة ومقاومة للخوف
- 3-5- عنف اللغة كمقاومة للخوف
- 3-6- الخمر، الجنس كمقاومة للخوف
- 3-7- الخلاص من الخوف



الفصل الثاني:.....سردية الخوف وآلية المقاومة

عكست سردية الخوف في رواية "تماسخت....دم النسيان"، حالة نفسية أفرزتها ظروف اجتماعية وسياسية في الذات الإنسانية، حولت الخوف من الحالة الفطرية الطبيعية، إلى خوف هستيري رهابي تتسع دائرته، كلما كانت الظروف منتجة له، ليحيط هذا الهاجس بالذات الفردية ويظل كامنا بداخلها في أعماق العقل الباطني: محدثا تمزقات نفسية وممارسات غير سوية.

ومحاولة الثورة على حائط الخوف وكسر سطوته، تبوء دائما بالفشل وعدم القدرة على بتره، لأنه متجذر في أعماق النفس وامتدت جذوره حد النخاع، والتف حول العمود الفقري مشكلا طبقات متراكمة من الفزع والهلع، الذي يتسلل إلى الأجساد ويلتصق بالأرواح لدرجة ظهوره بين طبقات الجلد الرقيقة والمسامات، فهو مرض مزمن يتعايش مع الروح يكبح رغبتها ويحرمها من الرؤية الإستشرافية، يقول السارد: "أنتظر وفي جيبى تذكرة عودتي نحو رصاصتي أو خنجري الضامنين إلى دمي"¹.

فالذاكرة السمعية والبصرية التي عايشها الفرد على وجه الخصوص والمجتمع الجزائري عامة، كان شاهدا عليها، هذا ما أدى إلى مجموعة متراكمت لا متناهية وعديمة الحل لظاهرة الخوف في نفسه، يقول السارد: "بحث في خفايا مكبوتاته عن مخطط يوقف به تمزق روحه بين التيه وبين ظلاله لا انتمائيه، عن شعاع يضمده به لوم ضميره التائه"².

حيث أنه لم يجد تفسيراً غير إرجاع هذه المخاوف إلى المتسبب الرئيسي لها وهو الجماعة المسلحة، والتي حالت دون القدرة على بناء نظرة واضحة للعالم وللمستقبل، يقول:

"كل هذا الحديد في أيدينا وأرجلنا

حتى لا تقل به في آخرتنا

سنموت اليوم؟

¹-الحبيب السائح، "تماسخت....دم النسيان"، ص 176.

²-المصدر نفسه، ص 94.

كلنا سنموت قبله¹.

وقوفه في الزمن الماضي، هذا ما جسده كثرة الإسترجاعات والأحلام الجميلة، التي كانت المتنفس الأول للهروب من جهنمية الواقع والضبابية التي نشرتها حالة الرعب والإرهاب الرهيب، يقول: "أحن إلى أمن طفولتي هنالك في سفح الجبل الموقوف باسم جدنا، إلى هدهدة خفيف غابته ينعشني صوتها، جالسا تحت الصنوبرة الكبيرة قرب بيتنا، يطربني هديل الحمام ويشجيني نوح اليمام بلوعة لم أدرك مصدرها أبدا"²، والذي وسع إطار العنف وفضائه والتف في كل الاتجاهات.

أما المتنفس الثاني الذي لجأ إليه بطل الرواية، هو مغادرة وطنه هروبا من الموت الرخيص الذي أصبح يحيط به، يقول "وليدعوا أنني فررت كل لذاته والموت للجميع"³، هكذا كان تصور الذات لذاتها بسبب سطوة الخوف التي كبلت البطل وغيّرت تصورات وقناعاته الإيديولوجية، وردود أفعاله تجاه الخوف المحدق به، وجعلته في حالة من التشاؤم والخزن، يقول:

لنا كل يوم موتة ثم نشوة
من الراح إلا أننا لسنا ندفن⁴

فالبطل ينتظر موته كل يوم، وربما هو ميت لكنه لم يدفن بعد.

1-صورة الخوف:

حمل النسيج السردى "لتماسخت.....دم النسيان" تمثلات للخوف وما يحمله من أبعاد وما يترتب عنه من تراكمات معقدة، تنتهي إلى ممارسات قابلة للتصعيد تدفع بعناصر السرد

¹-المصدر السابق، ص 205.

²-المصدر نفسه، ص 19.

³-المصدر نفسه، ص 07.

⁴-المصدر نفسه، ص 71.

الفصل الثاني:.....سردية الخوف وآلية المقاومة

إلى التلاحم لتصل إلى مرحلة الذروة، والتي يجد فيها البطل نفسه عاجزا عن مواجهة خوفه، الذي أحدث له خلخلة في أفكاره وزرع لكيان مجتمعه.

يتجلى الخوف كظاهرة نفسية وانفعال حاد يسيطر على البطل المثقف نتيجة عمليات الاغتيال واستهداف مجموعة من الصحفيين والمثقفين من قبل الجماعات الإرهابية خلال فترة العشرية السوداء "عمر، إسماعيل، جميلة، وغيرهم وكل من تنعاهم الصحف يوميا وجميع الذين سرت في جنائزهم"¹.

ويتزايد أخبار الإرهاب وأفعالهم الشنيعة يزداد خوف البطل ويسيطر على تحركاته يذكر السارد: "فمرت في ذهنه عناوين قصاصات الجرائد المسفوحة أخبارا عن الموت والتدمير (...) صورة مؤطرة لرأس فتاة ممزقة النحر، وبالبند الغليظ: لا شيء يردع مجانين ربهم وفي الفرعي: أختان تذبحان، سهام ست عشرة سنة، نصيرة عشرون سنة، تحته بالعادي: لأنهما رفضتا زواج المتعة"²، فأعمال هؤلاء الأصوليين مست كافة فئات المجتمع ولم يسلم من طيشها أحد.

وفي موضع آخر يقول: "على طرف سريرة، إذ فتح الجريدة، لطمه العنوان الكبير: الحرب الأهلية في الجزائر تدق طبولها والدعوة إلى التجنيد والمقاومة المسلحة مستمرة، فأحس غلظة البنط السوداء لونا لفاجعته ونبز الكلمات بطعم التشفي"³.

أصبح الخوف موجها لحياة البطل واختياراته ومواقفه الحياتية والوجودية، يقول: "فكرة الكتابة لك، في تلك الظروف، أملاها شعوري بوحشة كاسحة في عاصمة تفر من جلدها إلى المجهول، أحس الخراب اختفى منها كل الذين كنا نعرفهم ومن لا نزال نعرفهم، حتى لا أحد فينا يكاد يعرف أحدا، كأن أشياءها جميعا صارت أشباحا"⁴.

¹-المصدر السابق، ص 16.

²- المصدر نفسه، ص 24.

³-المصدر نفسه، ص 79.

⁴-المصدر نفسه، ص 84.

الفصل الثاني:.....سردية الخوف وآلية المقاومة

وبات يتعايش معه كشعور غريب ينتابه عند إحساسه بالخطر ويجعله غير آمن ومهدد بالموت في أي لحظة "كل شيء في أحلامنا رهنته الحماقة، حتى لا خلاص إلا بالموت الرخيص، نحن معذبو هذا الزمن، ضحايا اللعنة التي تلاحق هذا البلد"¹.

فتنامي الخوف والفجيرة، وتمزق ذات البطل وإحباطها، يجعل حياته على كف عفريت وفي مهب الريح، فلعنة الإرهاب صبغت الجو العام بطابع مأساوي، وجنون القتل الدرامي، والتفنن في القتل وسلب فرحة المواطن وحتى أحلامه، فها هو عمر صديق البطل يغتال بأبشع الطرق، يقول البطل: "كانت بقية من رغبة في البوح عمدته على الكلام، هول رؤية أمه تحضن رأسه مفصولا عن جسده"².

الخوف الذي يعيشه البطل "كريم" ويسيطر عليه وعلى حياته كلها ليس مصدره الذات، أي أنه ليس خوفا طبيعيا، وإنما هو متولد عن تخويف تشعله محكيات وأخبار الإرهاب وأحداث القتل التي كانت الجماعة المسلحة تمارسها في حق النفوس البريئة والتي كانت تصل البطل حتى في رغبته، يقول السارد: "صباحا في غرفته، إذا أشعل المذياع، صعقه الخبر: وقد أعلنت وكالة الأنباء الجزائرية أنه تم اليوم اغتيال رئيس الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان رميا بالرصاص في مكتبه بمسدسات كاتمة"³.

يبعد هاجس الخوف البطل عن مدينة وهران التي أحبها وعشقها "لم أجد في الجزائر مدينة مثل وهران تجعلني أحس أنني جزء من كيائها، ولكن ها هو قدر يذريني تذكارا لحماقة زمانها"⁴. حيث أنها فقدت صفاتها الروحي وزادها القهر اضطرابا وتعقيدا، ففر أهلها وفزعوا خوفا، يقول البطل: "وهران من هذا العلو، تبدو أنهكها متاعب نهارها وساعات زنى

¹-المصدر السابق، ص 35.

²-المصدر نفسه، ص 19.

³-المصدر نفسه، ص 181.

⁴-المصدر نفسه، ص 08.

الفصل الثاني:.....سرديّة الخوف وآلية المقاومة

ليلها"¹، هذا الكسر الذي تشعر به مدينة وهران جعلها منطوية على نفسها مكسورة الخاطر حزينه مصغية إلى الرعب الذي يقطع أحشائها كان سببه العنف الإرهابي الذي انقض علىها وأخذ يلتهمها وأكل الأخضر واليابس، فحال وهران الآن كحال الجندي القوي الذي يختبئ من العدو وهو يحرص نفسه يقول: "تائمة الآن على عين كمحارب في خندق"².

في موضع آخر يمدح مدينة وهران بعد المحنة التي مرت بها، راجيا أن يسترد استقراره، مثلما فعلت وهران واستردت جمالها وسحرها، يقول السارد: "كما ترك وهران منذ غادرها، لا تزال أنوارها الليلية كترصيعه قفطان على جسم تلمسانية محتفية"³.

وهران بالنسبة للبطل كانت فضاء للقتل والرعب والخوف فاقدة للألفة الإنسانية جراء الأفعال الإجرامية على يد الإرهاب، حيث يقول "قابلتني وهران على غير عاداتها ساكنة الشرفات متعطّرة بالكافور، متلفة الجمال"⁴، فهي مشحونة بمشاعر البطل الحزين الخائف، وبؤرة لأحداث العنف.

فتذكره لوهران جرف معه صور عن الخوف الذي كان منتشرا فيها، وانتقل إليه إلى درجة عجزه عن قراءة رواية، فالخوف يسري فيه وبشكل حركته، ويجعله غير قادر على الخلاص منه، لأنه سكن أعماقه، يقول السارد عن حالة البطل: "فأخرج رواية ليصرف بها شيئا من قلقه، سرعان ما طواها وخبأها... نعرف يجلدون المدققين فما بال الذين يقرؤون الكتب المدنسة"⁵.

ولا يتوقف عند ذلك بل يتعداه إلى نقل تجربة خوف الآخرين وكيف يعيشون في سرية ويتحايلون على الموت الرخيص، الذي أصبح يحيط بهم من كل الاتجاهات، ويعكر عليهم

¹ - المصدر السابق، ص 07.

² - المصدر نفسه، ص 08.

³ - المصدر نفسه، ص 13.

⁴ - المصدر نفسه، ص 33.

⁵ - المصدر نفسه، ص 34.

الفصل الثاني:.....سردية الخوف وآلية المقاومة

صفوة حياتهم، يقول: "جاري ليلة دخلته، خذله الحيوان فيه لما لم تثر رغبته عند ملامسة بشرة عروسه، خار فيه العصب فبردت بين يديه"¹. كذلك مشهد الصحفية المسكونة بالخوف والتي مررت خبر ارتكاب مجموعة مسلحة مجزرة في حق مواطنين عزل، فبعد تقديم هذه الفجيعة، تفر إلى سريرها "بعد تقديم النشرة الرئيسية تدخل سريرها المسكون بالخوف، معانقة مسدسها، بدلا من جسد رجل ساخن"².

وفي موضع آخر لتشخيص حالة الخوف التي سيطرت على الجميع، يذكر حادثة احتضار خاله يقول "طلب خاله إلى زوجته وهو يحتضر أن تتخير له امرأة شابة من غير المحارم، الواقفات على رأسه ينتظرن موته ليثرن المناحة، فسألته لماذا فأجابها مرتعدا أنه يريد أن يقتل بين فخذ بها موته ليرحل مطمئنا إلى آخرته، فتبسمت"³.

إن الخوف الذي عاشه البطل أصبح علامة مرضية تسري في عروقه وكيانه خاصة والمجتمع عامة، يقول: "الجنون خطط له، ويتم الآن التأسيس له، القمع فضيحة الإنسان الحيوانية"⁴.

فكل من يحاول مواجهة الخوف يكون مصيره القتل برصاصة أو محشوشة على يد الإرهابيين، فينتصر الخوف ويتقوى في نفسية البطل الذي يحاول جاهدا فهمه ومواجهته يقول: "توصيني أن أنتصر على ما يرعب الدهماء والرعاع، وبأن أفني وهمي في يقين المعرفة، لكني يا صديقي ظللت بلاد رد فعل"⁵. لكنه لا يستطيع فعل ذلك وحتى تجاوزه لأنه غائر في كيانه.

¹-المصدر السابق، ص 21.

²- المصدر نفسه، ص 37.

³- المصدر نفسه، ص 49.

⁴- المصدر نفسه، ص 67.

⁵- المصدر نفسه، ص 16.

2-الخوف والتحول:

يقر كريم بالتحول الجذري الذي حدث له نتيجة رهاب الخوف الذي سكنه، يقول: "كذلك هو الرعب! تكاد لا تعرفني؟ قل لها ذروة الانهيار"¹.

فتجربة الخوف التي طالت كريم ومحيطه الخاص، كانت لها انعكاسات سلبية تمثلت في تحولات مست شخصية البطل في حد ذاتها، يقول بخوف: "أحس الأشياء من حولي ترحل...رجلاي لا تقعان على يابس"²، وهذا ما يفسر تمكن الخوف منه، وأثره في الحياة النفسية والاجتماعية للبطل.

كما كان له انعكاسات على رؤيته للمكان، فقد ألحق سمة الجنون بوطنه لأنه لم يحمي أبنائهم، يقول: "لكن هذه الجزائر مجنونة خالية سريالية! كلما أظهرنا لها عشقنا أفسحت لنا الموت على صدرها كأطفال ينامون إنها قابضة في ذاكرتنا، في عمق نسياننا، ضميري يتأرجح بمجرد ذكر اسمها"³، فهذا الوطن هو من ألحق به العذاب وجعله يموت في كل لحظة من هول ما هو شاهد عليه.

لقد كان لمحنة الوطن تأثير بالغ على البطل كريم، وانعكس ذلك سلبا على حياته، حيث كان ينظر إلى نفسه نظرة احتقار واشمئزاز يتخللها الندم، يقول عن نفسه "كيف تلكأت عن كتابة سطر واحد عن اغتيال عمر؟ لم أفقد قيد الجبن على عقلي؟ أنا جدير بالإدانة، ليست ردة نحورا، إنها فتنة ظلم بوصمة الانحطاط ووجعه"⁴.

كذلك يعترف بجبنه قائلا: "أنا لم أخلق لأكون بطلا"⁵.

¹-المصدر السابق، ص 32.

²- المصدر نفسه، ص 85.

³- المصدر نفسه، ص 142.

⁴- المصدر نفسه، ص 72.

⁵-المصدر نفسه، ص 63.

الفصل الثاني:.....سردية الخوف وآلية المقاومة

"أبغى أن أوهم نفسي لوجه غير هذا الوجه الكالح المنهزم"¹.

"فزفر لوهران أنه لم يخلق لأكون بطلا مأساة"².

كما يرى البطل نفسه بأنه أناني، ذلك بقيامه بما كان يستبعده قائلًا: "ظلمت نفسي عن إيجاد وازع لبقائي، إن لم تكن أنانية المثقفين من البرجوازيين الصغار فماذا هي إذا"³.

ويقول السارد أيضا "أحس كريم مرارة الانسحاب من معركة صار في ميدانها زملائه وغيرهم يخوضون نهايتها بشرف"⁴، هذا الانسحاب ولد لدى كريم الإحساس بتأنيب الضمير والخوف لأنه لم يستطع أن يواجه قدره مثلما فعل بقية زملائه.

ومن ملامح انهزامه أيضا، يرى بأن الموت في بلاده وهو يقاوم العدو موت مجاني رخيص، حيث يقول: "الموت بالمجان شيء بشع"⁵، وأحس أن كل شيء ينتظر موته الجبان، فهو يرفض أن يقاوم الإرهاب فيموت، لأنه لا يريد أن يموت هكذا، فهو يرى أن موت أصدقائه الصحفيين من طرف الإرهاب موت عبثي فهو يعري نفسه بهذا الكلام، فيقول "ثم أرتد فعري نفسه بسؤال عن أي معنى يأخذه موتهم جميعا، إن لم يكن غير عبثية"⁶.

تغلب عليه اليأس لدرجة أنه يرى بأن مدينة الجزائر تحولت بأكملها، حيث يقول كريم: "...اختفى منها كل الذين تعرفهم ومن لا نزال نعرفهم، حتى لا أحد فيها يكاد يعرف أحدا، كأن أشياءها جميعا صارت أشباحا"⁷.

بسبب قمع الإرهاب وزرع الرعب فيه، تغيرت نظرتة إلى كثير من الأمور أولها تغير نظرتة إلى مهنته (مهنة الصحافة) التي أصبح يراها بسبب الإرهاب مهنة الموت، حيث

¹-المصدر السابق ، ص88

²-المصدر نفسه، ص33

³-المصدر نفسه، ص33

⁴-المصدر نفسه، ص 33

⁵-المصدر نفسه، ص 174.

⁶-المصدر نفسه، ص167

⁷-المصدر نفسه، ص74

الفصل الثاني:.....سردية الخوف وآلية المقاومة

يقول: "لم يكن أحد يتوقع أن تتحول مهنة الصحافة في البلد إلى ما يشفي الضمير ويوحد الموقف ويعفر الكرامة ويسبب الموت الرخيص"¹، فهي بالنسبة له مهنة متاعب وموت، وقد كان صديقه عمر أول المستشرفين بحقيقتها، يقول: "عمر كان قدر باستشراف أن الكلمة ستتهار في بورصة الطواطؤ....لم نستوعب وقتها كلامه"². ولعن حتى الطريق التي قادته إلى الجامعة، وأصبح بفضلها صحفياً مثقفاً، وبالتالي فريسة للإرهاب، يقول السارد: "وقد غادر مكتبه في الجريدة، لعن الطريق التي قادته إلى الجامعة ليدخل كلية الصحافة"³.

كذلك أعادة النظر في كل قناعاته الإيديولوجية التي صار يعتبرها أوهام وأحلام انجلت، حيث يقول عن الثورة الزراعية: "لا الفلاحون المعدمون ولا الخماسون المهتكون طالبوا بأي تغيير ما سمي ثورة اجتماعية في الريف كان ثورة زعيم دعا إليها مثقفون حالمون، وحملها طلبة التسعينات وكنا من بينهم، سفرا من الوهم الجميل ليس أكثر ولا أكبر"⁴.

ورفض أن يعيد تجربة اسمها الجماهير مرة أخرى "خمس عشرة عاما من وهم عمرنا برغم ذلك لم يتحول الشيطان ملاكا، ثم كلا أن تكون أخطاء الرجال فحسب ابن أعيد أي تجربة تجاه ما يسمى الجماهير، أفديك كي تحيا لذلك، أما عن قضيتك فالصمت أولى"⁵. فهو كثير النقم عليها بسبب ما أفرزته بالنسبة له واعتبرها خدعة "العرب والقومية والوطن العربي أحادثي ليل سكارى، الجماهير خدعة هذا القرن"⁶.

¹-المصدر السابق، ص 14.

²-المصدر نفسه، ص 21.

³- المصدر نفسه، ص 07.

⁴- المصدر نفسه، ص 20.

⁵-المصدر نفسه، ص 135.

⁶-المصدر نفسه، ص 135.

الفصل الثاني:.....سردية الخوف وآلية المقاومة

كما قلل من دور المؤسسات التي تعمل موازية في شكل جمعيات ذات جناحين مدني علني وشبه عسكري سري، فرغم كثرتها فهي لا تقدم شيء: "المؤسسات كثيرة، لكن ما أقل التفاتها إلى ما يعانيه إنسانها في جسده وضميره"¹.

لقد كان كريم على مدار الرواية تحت تأثير هاجس الموت والخوف وغيرها من الأحاسيس، التي دفعت به إلى الانسحاب، الذي احتسى مرارته لأنه فر من معركة صاير في ميدانها زملائها، ف شعر بندم نتيجة انسحابه، يقول: "أدعيت لي أن الانسحاب شجاعة أخرى، أنا لم أخلق لأكون بطلا"².

يقوده هذا الانسحاب إلى الإعلان عن هشاشته التي زادت من عمق جرحه وألم نفسه يقول: "أردت لك أن تخاف، ولو كنت بعيدا في سهوبك الخوف شجاعة ثانية، أنا خرجت خوفا، وبقيت انت لأنك لست على هشاشتي"³.

فهاجس الخوف جعله ضيق الأفق رافعا لرؤية القهر، عاجزا عن ترتيب مراسم الخيبة التي تحيط به، ناقما على القدر الذي كتب له أن يعيش حالة الخوف هذه، يقول: "الخوف هو ما كان ينقصنا أعرف أنك آتية من الجحيم وعائدة إليه، قدري وقدرك، إنها ضريبة إعتناق الجزائريين"⁴.

كما تمنى لنفسه لو أنه أصابه مرض خبيث، ولا عاش في هذا الزمن ولا في هذا الوطن الذي ساد فيه الظلم والعنف، يقول: "كنت فكرت في لو أنه أصابني مرض خبيث فرحلت جبرا"⁵، هكذا تظهر نفسية كريم الحزينة والمتألمة من جزائر التسعينات.

¹ - المصدر السابق، ص 67.

² - المصدر نفسه، ص 63.

³ - المصدر نفسه، ص 102.

⁴ - المصدر نفسه، ص 176.

⁵ - المصدر نفسه، ص 103.

الفصل الثاني:.....سردية الخوف وآلية المقاومة

وفي موضع آخر يقول: "ليت اني كنت بلا سمع ولا بصر، أو جئت في زمن غير هذا العصر في بلد غير هذا الوطن، أو كنت ولدت قبل الطوفان، أو بقيت جزيئا سابحا في الفضاء"¹.

نفس مخنثة بالعجز واليأس وقبلة الحيلة في المقاومة، يقول: "مذلة إنسانية شامته، واغتصاب وجودي سافر، قدرنا على هذه الأرض بأس مدمر وموت بطيء هل تملك أنت شبرا واحد تستطيع الحركة فيه بلا قيد"².

فلا يرى كريم أي أمل في خروجه وخروج وطنه من أزمة العنف الممارس عليهم من قبل الإرهاب، لينتهي به الأمر إلى اعتبار الجنون حلا وخلصا من المأساة الواقع الفاجع الذي ينجمه من وطأة الواقع الذي يعيشه، يتجسد ذلك في قوله: "كانت غرفة كريم الباردة الفارغة نضغته بسأم أسود، فكر في أن ما يخرج من زمنه الشقي هو أن يجن"³، ويقول في موضع آخر: "لا تستغرب الجنون غائر في ذاكرتنا"⁴.

كل هذا يعبر عن انهزام البطل كريم الذي طغى عليه اليأس والتشاؤم والنظرة السوداوية لكل ما هو موجود حوله، حتى قناعاته التي كان مؤمنا بها تغيرت، نتيجة عجزه وانهزامه أمام خوفه وتردده الشديد، يقول: "كريم الذي نعرفه مات، أنا وأنت صديقان لكن معركتك لن تكون معركتي لم أهزم تردي، حسرت معركتي الأخيرة مع خوفي، شأئك إذن أن تضحي في سبيل من يطاردون فيك الدم ويدمرون في هذا البلد كل حلم"⁵.

¹ - المصدر السابق، ص 26

² - المصدر نفسه، ص 107.

³ - المصدر نفسه، ص 26.

⁴ - المصدر نفسه، ص 120

⁵ - المصدر نفسه، ص 133.

3-الخوف وآلية المقاومة:

العنف الذي مارسه الإرهاب فترة المحنة على الشعب الجزائري عامة، وبطل الرواية كريم خاصة، أذهل العقول وصدّم النفوس، وفتح أبوابا واسعة للمعاناة والخوف، فهرب البطل كريم من موطنه جعل منه شخصية غير مستقرة، مرتحلة من مكان إلى آخر، فهي تنتقل من الجزائر إلى المغرب، ومنه تشد الرحال إلى تونس باحثة عن الأمن الذي فقدته في وطنها وهروبا من موتها، يقول السارد: "إشعر لتحرك القطار الذي لم يطلق أي صفير، كانت أشعة الشمس غروبية تلامس أعالي المرتفعات الفاصلة بين أقصى الجزائر وأدنى المغرب"¹، ويقول في موقف آخر: "نزل كريم في مطار قرطاج محاصرا بمخاوفه من خيبة ثانية..."².

يظهر البطل بئسا محاصر بالخيبة، يبحث عن الاستقرار والأمن الذي فقده في وطنه بسبب الإرهاب الأعمى، فهذا الشعور بالخيبة يمارس عليه خوفا من نوع آخر، فيحاول التغلب عليه والتقليل من وقعه في نفسه، من خلال عدة ردود أفعال تراوحت بين تمثيل الآخر بالوحش والتأصيل للعنف والحنين إلى ما هو مشرف في الماضي إضافة إلى ممارسة فعل الكتابة للتخفيف من ضغطه والهروب إلى الجنس والخمر لنسيان ألم طالما نزفت منه الروح دما، مستخدما في ذلك لغة عنيفة تتناسب والحالة النفسية والشنيعية التي يعيشها.

3-1- صورة الآخر:

انعكس خوف البطل على تصورات ونظراته للأمور وللعالم حوله، وأبرز ما يظهر ذلك هو الصورة التي قدمها لمرهبه، فمثله بالوحش المخيف للقلوب: وكما هو معلوم فالوحش هو الذي لا يرحم ضحاياه يفتك بهم كما يشاء من دون رحمة ولا شفقة: "تلك حقيقة الوحش

¹ - المصدر السابق، ص 35.

² - المصدر نفسه، ص 149.

الفصل الثاني:.....سردية الخوف وآلية المقاومة

الذي أزاح عن النفوس الهشة خشية خالقها وبث فيها من خوفه البهيمي"¹. كانت هذه الصورة التي أعطاها كريم لمرعبه كنوع من المقاومة التي يخفف بها عن نفسه ويفرغ فيها خوفه وغضبه.

فالجماعة المسلحة مارست عليه مختلف أنواع العنف والقهر، حيث جعلته يعيش الخوف والرعب بكل أبعاده وعمقه، ويتضح في وصفه له يقول: "...يتسرب إلى الضمير وينفذ إلى القلب، يستقر في الوجدان، ويلبد في اللاوعي"²، ومن شدة خوفه منه وصل إلى درجة الانهيار يقول: "كذلك هو الرعب تكاد لا تعرفني، قل لها ذروة الانهيار"³.

يحول البطل كريم خوفه إلى هجوم، ويتخذ من التصوير وسيلة له فهو يصور الجماعة المسلحة بالوحش، وكيف يفتك بضحيتته في أي وقت وفي أي مكان شاء وبأي طريقة، يقول: "فإن الوحش الذي يزرع هذا الرعب في القلب ليس برأس واحدة كالإنسان، يحضر في زمانك وفضائك من حيث لا تدري مسلحا في زي شرطة أو درك أو جيش تجذبه رائحة دمك"⁴. فهو يحضر في كل وقت ولا يمكن أن تحرص نفسك منه.

وما يجعله وحشيا مخيفا هو أنه "يخترق القول والإدارات والمؤسسات والأجهزة الأمنية والجيش والعائلات والمساجد وقبع حزنا دائما في العيون"⁵، لأنه صار خطرا يداهم الجميع في أي لحظة وفي أي مكان.

إنهم وحوش مفترسة يخلو قلبهم من الإنسانية والرحمة، نظرا لقهرهم وممارستهم شتى أنواع التعذيب، يقول: "من يتعقبون فينا دما خلقوا وكأنهم مغسولون من مشاعر الإنسان"⁶. كما

¹ -المصدر السابق، ص 50.

² - المصدر نفسه، ص 50.

³ - المصدر نفسه، ص 32.

⁴ - المصدر نفسه، ص 117.

⁵ - المصدر نفسه، ص 105.

⁶ - المصدر نفسه، ص 194.

الفصل الثاني:.....سردية الخوف وآلية المقاومة

أصق به صورا أخرى فجعله كابن أوى في حيله وكالذئب في غدره، يقول البطل واصفا إياه: "إنهم ليسوا سوى أبناء أوى في حيلهم، وذئاب في انتمائهم، إنهم هم الوحوش أيضا"¹.

فهم يقتلون بلا رحمة بل ويتمعنون في تعذيب ضحاياهم والتتكيل بهم، وإلقاء الرعب في نفوسهم، يقول البطل واصفا همجية القتل: "لما رأيت الوحش يهجم على البركادي فرانكي ويطعنه حتى الموت يصرح في أهاليه، فجاء ثلاث منهم ومثلوا جثته في هستريا، هذا المتوحش لا يمكن لصورته أن تنساها ذاكرتي، ثم جاء رفيقه الذي قتل المساعد فرانكي وقبوله على الجثة المشوهة"².

كما وصف كريم أفراد الجماعة المسلحة بالتنويريين على سبيل السخرية إذ أنه في الحقيقة ينعتهم بالظلاميين أو الرجعيين أصحاب الأفكار البالية، وقد جاء في قوله: "تصور لي أنت على يد هؤلاء التنويريين الجدد ما لا لصاحب العير، لو كان بعث في هذا الزمان الكنود هل يسلم من جسده وضميره ويتمتع التنقل هل يكتب هل ينشر"³.

كما أورد على لسام المعري* بينتين من باب المحاكاة الساخرة، ممن يدعون التصوف والتدين، وهم يقومون بسوء الأعمال، فهم يتمظهرون فقط -حسب رأيه- يقول:

فقل لهم وأهون بالحلول

أرى جيل التصوف شر جيل

كلوا أكل البهائم وأرقصوا لي⁴

أقال الله حين عبدتموه

¹-المصدر السابق، ص 133.

²- المصدر نفسه، ص 152.

³- المصدر نفسه، ص 192.

*أبو العلاء المعري: هو أحمد بن عبد الله بن سليمان الفضاوي التنوفي المعري: شاعر وفيلسوف وأديب من عصر الدولة العباسية، ولد وتوفي في معرة النعمان في شمال سوريا (363هـ-494هـ)، درس في علوم اللغة والأدب والحديث والتفسير، وقد نفر من أهله، أول مجموعة شعرية ظهرت له هي: ديوان سقوط الزند.

⁴- الحبيب السائح، تماسخت...دم النسيان، ص 125.

الفصل الثاني:.....سردية الخوف وآلية المقاومة

كما لجأ كريم إلى إيراد رموز أسطورية من وحي خياله وإبداعه هو، ليصور بها بشاعة وقبح الإرهاب، بسبب تعسفهم وهمجيتهم حيث صورهم بمخلوقات مخيفة، تترجم ضبابية وسوداوية الوضع الذي هو فيه، يقول:

"إذا بالبغل ينهض برأس رجل"¹.

"فأبصر وراءه نسرا حديديا كبيرا قح نارا"².

"هذا الوحش .. ليس برأس واحدة كالإنسان"³

هذه الأوصاف تدل على بشاعة هيئة الجماعة المسلحة وأعمالهم الشنيعة، فهو وحوش بل وأكثر من ذلك.

3-2-التأصيل للعنف:

وكان من آليات المقاومة في الرواية عودة البطل إلى التاريخ لفهم سبب ما جرى كمحاولة منه للتخفيف من محنته النفسية، فلا يتوقف البطل الذي يغير **الخوف** قناعاته عن تمثيل الآخر بالوحش "**بعض الوحوش تقتل أحيانا لإشباع غريزتها**"⁴، وإنما يتعد ذلك إلى التأصيل للعنف، واعتباره متجذرا في التاريخ العربي الإسلامي وذلك باستعادة بعض النصوص والأحداث التاريخية الحافلة بالعنف ليعيد من خلالها قراءة الماضي بحس نقدي بعيد عن التمجيد بإظهار المسكون عنه فيه، يقول: "**إهانة تاريخية مستمرة، مذلة إنسانية شامتة**"⁵.

¹-المصدر السابق، ص 05.

²- المصدر نفسه، ص105.

³- المصدر نفسه، ص117.

⁴-المصدر نفسه، ص 57.

⁵-المصدر نفسه، ص 107.

الفصل الثاني:.....سردية الخوف وآلية المقاومة

فهذا الوحش ليس غريب عنهم، إنما يسكنهم وهو بينهم، يقول: "الوحش بينكم"¹، فالوحش ليس وليد الحاضر إنما هو ضارب بجذوره في الماضي والتاريخ حافل بأمثاله، ليردد في هذا المقطع عن تاريخه، فيقول: "ماذا في تاريخنا السياسي غير الدم؟ قتل صحابة، اغتيال خلفاء وأبيدت عائلة آخرهم، لعنت تلازم وجودنا منذ القرن الأول، قهر فينا العقل، وتزعم لي أن العرب المسيحيين فاتيكانيون والإسرائيليين يهود حتى لو كانوا غير يهود، فأما اليهود الغير إسرائيليين فإسرائيليون بالضرورة لأن الوجدان الجماعي كما الذاكرة الجماعية خليط مركبا ونسق عقائدي"².

في هذا الموقف التأصيلي يغمر البطل إحساس بالأسف وتنتابه حالة من البكاء، لوجود مثل هذه الحوادث في تاريخ بلده، ومن هذه الحوادث نكسة سقوط الأندلس، التي جاء ذكرها في أكثر من موضع، ومن ذلك... "تذكر رأي اليمنى، كان سافر من وهران سائحا، فعاد على غير الانتظار فسألناه هل أعجبته إسبانيا جنة أجدادك الضائعة"³.

وكذلك في قوله: "لا أنا ولا أنت نجهل بدء اشتعال المأساة، ولكن من أوقد الفتيل ومتى؟ من أحيا الجذب وكرس الحماسة ومن طارد الصواب حتى يتم التعطيل باخرة هربا من عاجلة لم تخلق لها يخلجنا فيها أننا بعد أقل من قرن فقدنا قيادة العقل الذي شق لنا إلى ما وراء المحيط لتكون 1492 آخر ما عمل السيف، والحريق في الذات فتستتر بقايا على عارها"⁴.

وفي موضع آخر يقول: "من ذا المعتوه الذي كان يقول لنا أن من أخرج العرب من أندلسهم كانت امرأة، بارزت عائشة الحرة ازبيللا أيهما كانت تجرر الأخرى"⁵.

¹-المصدر السابق، ص 38.

²-المصدر نفسه، ص 118.

³-المصدر نفسه، ص 55.

⁴-المصدر نفسه، ص 64،65.

⁵-المصدر نفسه، ص 164.

الفصل الثاني:.....سردية الخوف وآلية المقاومة

كما يرجع كريم إلى التاريخ العربي الإسلامي ليفسر همجية الوحش وأعماله الشنيعة التي ستبقى راسخة في الذاكرة، ووسمة عار بالنسبة له، يقول: "اطمئن اغتيالنا قلادة عار على صدورهم"¹.

في حديثه عن الطبري* يقول: "ليتك يا طبري وصف حجم حجارة الهمجية ترجمك بها الغوغاء، وليت الغم لم ينسك أن تلعن لحظة موتك تاريخا للحق واللغة، ولكن بالصبر الذي كتبنا به تاريخ عوترهم حفرت قبرك بالأظافر"².

كما تقصد كريم بعد خروجه من شارع ابن خلدون، ذكر تاريخ الانحطاط ذات فجر من عام اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف، يقول: "لا يزال المسجد بعقاقة الصمت السخي، يقوم آثرا لتلك اللحظة من الانحطاط"³.

وقد ربط كريم ما يحدث بالجزائر من وقائع بفلسطين، يقول السارد: "بحث بين ضلوعه عن مخايط يرتق به انشطاره، بين إله وبين ضلالة انتمائه، فالتقط شعاعا نسيته شمس تلك الجزائر"⁴،* ويواصل قوله: "مسلوب ومنهوب ومنهوك من ليس دينه القتال ولا غريزته اليأس خمسة عشرة قرنا من القتال الديني ضد الآخر وضد الذات ومن تأويل الحروب المقدسة ومن الاتزاق"⁵.

¹-المصدر السابق، ص 53.

* الطبري هو محمد بن حرير بن يزيد بن كثير بن غالب المشهور بالإمام الطبري ولد سنة 838هـ، وهو مؤرخ ومفسر وفقه مسلم، له كتاب (تفسير الطبري) وكتاب "تاريخ الأمم والملوك"، توفي سنة 923هـ.

²- الحبيب السائح: تماسخت...دم النسيان، ص

³- المصدر نفسه، ص112

⁴- المصدر نفسه، ص 125.

⁵- المصدر نفسه، ص118.

الفصل الثاني:.....سردية الخوف وآلية المقاومة

كما جاء في الرواية ذكر لبنو هلال* على لسان كريم في معرض حديثه عن مدينة الجزائر، يقول:

"يجب أن تكون قرصانا لكي تعيش في مدينة كالجزائر.

وجدان هذا البلد كله ينبض قرصانية برجل هلالية"¹.

وفي موضع آخر، يقول: "العالم كله مرجوج وكله يطلب العافية، المهم تعريف صديقك فأنت الذي وصفته لي كما نصف بقية بخس من الزمن الهلالي"².

إن هذه الشواهد التاريخية التي تعبر عن العرب كذات وكحضارة أوردتها البطل لإعطاء تفسير منطقي وحقيقي مقنع لما آلت إليه أوضاع الجزائر خاصة والعالم العربي عامة، وكذا من أجل إيجاد جذور العنف الراسخة في تاريخ العالم العربي والإسلامي، وهو ما عبر عنه السارد بالموقف الصريح حين قال:

"العرب، عرب ومتقفون لا يزالون يخطئون مراسي وجودهم كضمير

يا خويا مالك والعرب؟"⁴.

هذا الموقف يشير إلى حيرة البطل وعجزه عن إيجاد أرضية صلبة يرتكز عليها في محاولة لفحص التاريخ العربي والإسلامي وتفسيره، وإيجاد مواطن الخلل، وتداركها من أجل حماية هذا الوطن من الخيبات والهزات، ويمنع سقوط الضمير في بورصة الذل والهوان.

* بنو هلال قبلية عربية هوازنية فيسة مضرية عدنانية، أصلهم يعود إلى وسط حيث كانوا يقومون، هاجروا من الجزيرة العربية إلى الشام.

¹-الحبيب السائح: تماسخت....دم النسيان، ص84.

²-المصدر نفسه، ص 99.

الفصل الثاني:.....سردية الخوف وآلية المقاومة

وقد ذكر كريم شخصية الحلاج* في قوله: "وهذا الحسن بن منصور الحلاج، بعد قضائه ثمانين سنة في غياهب السجن"¹.

"وكان الوزير أبو حامد يود محاكمته الحلاج حاول التنصل من تبعة إعدامه، فألقى بهذه التبعة على عاتق الجميع"².

فالحلاج هنا رمز لتحمل الصعاب والعذاب والصبر، دلالاته في الرواية أن قتل المثقف "عمر-جميلة-اسماعيل..." والتكيل بهم لبس وليد الحاضر، وإنما هو ضارب بجذوره في الماضي والتاريخ، وذكر الحلاج كمثال، ورد ليدعم به أفكاره، ويخفف من محنته النفسية نتيجة الراهن الفاجع، بأن العنف موجود منذ الأزل، وليس وليد الزمن الذي يعيشه.

3-3-الحنين كمقاومة للخوف:

لقد كان للاسترجاعات حضور وهيمنة كبيرة على البناء السردى لرواية "تماسخت....دم النسيان"، بينما تظهر الاستشرافات غائبة أو شبه منعدمة، وهذا راجع إلى انسداد الأفق أمام البطل كريم بسبب سريان الخوف يقول: "سريان رائحة الخوف من مجهول مترقب"³. الذي يحد من كل تفكير إيجابي في مستقبل الشخصية، يقول: "ربما كنا نحن كوبياي تجربة مخابر أصولية تشتغل في عقل آخر"⁴.

وفي موقف آخر يقول: "كحالنا جميعا، شبه سرية، خوف، تحايل على الموت المبرمج بخنجر أو محشوشة"⁵.

* أبو عبد الله حسين بن منصور الحلاج 244هـ/858م، من أعلام التصوف يعتبر من أكثر الرجال الذين اختلف في أمرهم، فجماهير علماء السنة أجمعوا على تكفيره ورميه بالسر والشعوذة ونسبوه إلى مذهب لقرطاسة الإسلامية.

¹-الحبيب السائح، تماسخت...دم نسيان، ص124.

²-المصدر نفسه، ص 125.

³-المصدر نفسه، ص28.

⁴-المصدر نفسه، 67.

⁵-المصدر نفسه، ص 66.

الفصل الثاني:.....سردية الخوف وآلية المقاومة

حنين البطل كريم إلى الماضي، نتيجة ضغط الحاضر عليه، أعاده إلى الأحلام الجميلة في ماضيه، يقول: "تلك الأيام الصيفية القائظة في طفولتي"¹، ليكشف عن مدى شعور هذه الذات بالانكسار الكلي أمام الدمار والخراب الذي خلفهما الوحش، يقول: "حقيقتي العارية المخجلة، تبغني تأنيث ما نهبه الدمار من مملكة أحلامنا الضائعة بتذكارات لا تسفر إلا عن عورة الحماسة"².

فالحقيقة المرة تبقى دائما محفورة في ذاكرة كريم مهما حاول نسيانها فلن يستطيع لأنها جزء من ماضيه وحاضره.

كما عرج إلى جوانب من سيرته الطفولية كختانه في صيفه الرابع، يقول: "لم يذكر سوى القصعة المقلوبة وبرودة الرمل فوقها، ونظرات الختان إليه كما شرارات من عيني مارد وصباحا صيفيا، وابتسامة أبيه المخادعة، ووقفه أمه الراجفة، لم يصرخ سوى مرة قبل بزوغ شمس صيفه الرابع، بيض مشرشم شاشبه حمراء، عباية بيضاء، بلغة صفراء، وبقية من ألم الوحز في عضوه الطري"³.

وراح يتذكر أمه ويحن إلى بيتهم الريفي، يقول السارد: "تذكر بيتهم الريفي ووجه أمه ويدها المتملية على يده، نحو الغابة لتدخل به المدين...."⁴.

كما راوده حنين إلى أيام المراهقة بألوان العاطفة، يقول: "وإذا قام خالجه وجه جميلة باسماء نديا، يفك عن شعرها الكستاني محرماتها الموردة"⁵.

¹-المصدر السابق، ص 87

²-المصدر نفسه، ص 101

³-المصدر نفسه، ص 88.

⁴-المصدر نفسه، ص 31.

⁵-المصدر نفسه، ص 60.

الفصل الثاني:.....سردية الخوف وآلية المقاومة

وفي موضع آخر يقول: "تذكر الشاشة الكبرى بالألوان التي ملأها وجه المرأة تولج بين شفيتها المحمرتين حبة الفراولة بشقلبة فاجرة؟ الإتهبها....كانت حرقا العادة السرية لا تزال سارية بين أضلاعنا، إذ قهقهنا تتابع المطاردة بالحصان الذي لا يتعب"¹.

فحين البطل إلى طفولته وذكرياته من آليات المقاومة وموقفا من الواقع الرهيب والمرعب الذي ضاق به، إذ يحاول استعادة بعض المظاهر واللحظات التي اعتبرها مسروقة والتي اختفت في زمن الوحش، يقول: "خوفي وتردي وحبي الباقي لأرض أبوي هو ما يمزقني فأنزف حنينا إلى طفولتي المسروقة"².

كما يقدم كريم صورا حالمة عن بعض النساء كملاذ يفر إليه، هروبا من هجير الواقع، يقول: "أشقت من أهينهن اللهفة ذوات جنون شهشها الكحل، وضعت على رؤوسهن محارم زاهية استاحت من تحت فصالات شعر سوداء، يختلس بعضهن لبعض ضحكات الشهوة أثر المسواك في ثغورهن ونسفر أسنانهن بلمعان بردي تطمع له الرغبة"³.

هكذا كان الحنين إلى الماضي الغريب، واسترجاع الذكريات الجميلة متنفس للبطل كي ينسى مخاوفه ولا يستسلم للأيدي الطائلة التي تحاول إخراج روحه بأبشع الطرق.

3-4- فعل الكتابة كمقاومة للخوف:

رغم المعاناة التي يعيشها البطل كريم الصحفي في وطنه، وحالته النفسية المزرية، إلا أنه لم يتخل عن مهنة الكتابة يظهر ذلك في حديثه عنها وعن مداها قائلا: "حين تكتب يجب أن تغرغر إلى العظم"⁴.

فهو يعترف بأنها جزء من كيانه، رغم شعوره بالحزن والألم من خلال تلك الظروف المزرية التي يعيشها ويعيش تحتها، إلا أنها تبقى هاجسه وأداته التي يعبر بها عن حزنه أو

¹-المصدر السابق، ص 61.

²-المصدر نفسه، ص 105.

³-المصدر نفسه، ص 42.

⁴-المصدر نفسه، ص 102.

الفصل الثاني:.....سردية الخوف وآلية المقاومة

فرحه، يقول: "فكرة الكتابة لك في تلك الظروف، أملاها شعوري بوحشة كاسحة في عاصمة تفر من جلدها إلى المجهول"¹.

كذلك يظهر حبه للكتابة من خلال هذه المقطع الذي يقدم فيه كمال كريم لأصدقائه، فيقول: "الأخ كريم من الجزائر، أحد المصابين بجنون الحرف"².

فهو لم يتخل عن الكتابة لأنها كانت المنتفس الذي يحفف به عن نفسه ضغط هاجس الخوف، الذي طارده حتى خارج جغرافية وطنه وقد مارسها حتى خارج وطنه، يقول السارد: "يوم غادر كريم مكتب الاتحاد، حيث كان يقضي أكثر وقته يقرأ أو يرقن أوراقه التي يهيئها لبعض الجرائد المحلية، حمل إلى نهج القديم أشياءه القليلة الصغيرة البسيطة، وبعض الكتب الشخصية، ومسودة ورواية وقصصات مقالات..."³.

هذا المقطع يحيل أن كريم الصحفي يكتب المقالات وكذلك يؤلف الروايات إضافة إلى تأليف الكتب، ويظهر ذلك في هذا المقطع الحوار بين كريم وسي الحاج:

"أنت اخترت الكتاب، وأنت الذي جئت إلي.

صحيح.

طيب سدد لي المبلغ!

ليس قبل موافقة لجنة القراءة، إجراء عادي!

سلمتك الفصلين، سلمني المبلغ، وأنا مستعد لمراجعة العمل مع شخص تختاره"⁴.

¹-المصدر السابق، ص 141.

²-المصدر نفسه، ص 153.

³-المصدر نفسه، ص 183.

⁴-المصدر نفسه، ص 185، 186.

الفصل الثاني:.....سردية الخوف وآلية المقاومة

وكذلك يواصل كريم مهنته خارج بلده، يقول السارد: "والتزم في غرفته صرامة حديدية في تخصيص وقته لقراءة إصدارات فكرية كانت أو أدبية، وإعادة أعمدة عنها إلى بعض الجرائد المحلية التي كانت تكافئه بما حفظ له كرامته"¹.

هكذا يتجلى لنا أن الكتابة كانت وسيلة البطل في التخفيف عن آلامه، وترميم انكساره وخذلانه، أمام هذا الوضع الضبابي السوداوي، الذي ينشر الرعب والخوف، ويزيد من تأزم الوطن، هذه الحالة التي أصبحت على لسان الجميع، يقول أحد المغاربة: "كيف خليت الجزائر، حالكم يحزننا"²، فمن خلال الريشة والحبر يعيد صياغة واقعه من جديد، يقول: "هذا العالم يا صديقي، يجب أن ندمره ونعجنه وأن نعيد نحن الفنانين صياغته"³، ويثبت أنه أحق من أي أحد بهذا الوطن.

3-5- العنف اللغة كمقاومة للخوف:

لقد استطاع كريم بطل رواية "تماسخت....دم النسيان" أن يصور بنا معاناة الإنسان الجزائري وخاصة المثقف في ركن مأزوم يتخطبه العنف على مدار عشرية كاملة.

فاستخدام لغة واصفة عنيفة كوسيلة لمقاومة مرهبة ولمواجهة خوفه والتخفيف منه، وتمثل ذلك بالأوصاف التي ألحقها بعدوه الإرهابي، يقول عنه: "بعض الوحوش تقتل أحيانا لإشباع غرائزها"⁴.

هكذا يبدو لنا أن الخوف من الآخر وكأنه صار احتقارا له، فالصور التي يعطيها البطل هي تمثيلات ولدها وضخمها الخوف الناتج عن أفعال الغير وجعلها أكثر بشاعة، مستخدما لغة عتيقة، يشفي بها غليله من هذا الوحش المتطرف.

¹-المصدر السابق، ص 184.

²-المصدر نفسه، ص 150.

³-المصدر نفسه، ص 80.

⁴-المصدر نفسه، ص 57.

الفصل الثاني:.....سردية الخوف وآلية المقاومة

يقول في فاتحة الرواية: "تريد أن تقتلني بهذا الطاغوت الذي يحميك؟ وأخرج مدفعا، فهربا، فرمنا بقذيفة وقعت دون أن تنفجر"¹.

وفي مشهد آخر يقول: "صورة مأطرة لرأس فتاة ممزقة النحر.... امرأة تتحدث عن زوجها المغتال ذبحا في عيادته، ماذا كان يحمل غير سماعة النبض"².

ويورد أيضا: "كانوا جميعا غافلون عن مبعوث الوحش، إذ وضع القنبلة تحت مقعده ونزل قبل المحطة، كان الانفجار انشطارا من الجحيم، فتجمعت الأشلاء إربا إربا وانتشرت الفرائس ممزقة وترصعت بالنثار بقايا الواجهاة...ثمة ظل الفجيعة في ركام الأشلاء"³.

من خلال هذه المقاطع السالفة الذكر، توجد ألفاظ عدة للعنف منها: "القتل-المدفع-قذيفة-تنفجر-ممزقة النحر-الاغتيال-الوحش-الانفجار-القنبلة-انشطار-أشلاء-فرائس ممزقة-بقايا الواجهاة-فجيعة-ركام..."، من خلال هذه الألفاظ صور لنا البطل كريم العنف في أقرب صوره، فقد تجاوز العنف الواقع وأصبح يمارس حتى على الأطفال والنساء، والمقطع الآتي يوضح ذلك: "لا تأخذكم رحمة بمن يحمل على رأسه قبعة أو خوذة، قتلوا، أقتلوه، وولدا لا تذروه، حريمه سبي، وبناته غنيمة"⁴.

"وجاء في خبر عاجل أنه وقعت مذبحة قرب العاصمة الجزائرية راح ضحيتها ثلاثون شخصا، جلهم من الأطفال والنساء"⁵.

عبر كريم عن العنف من خلال الألفاظ الآتية: "الضحية-الغنيمة... إضافة إلى هذا المقطع الذي يعبر عن عنف اللغة: "كانوا زاروا الطبيب الأخصائي في عيادته وخرقوا قلبه برصاصات كاتمة وغير بعيد خروا بمنشار رقبة أمام في المحراب، ثم ركز على رأسه في

¹-المصدر السابق، ص 05.

²-المصدر نفسه، ص 24.

³-المصدر نفسه، ص 144.

⁴-المصدر نفسه، ص 31.

⁵-المصدر نفسه، ص 108.

الفصل الثاني:.....سردية الخوف وآلية المقاومة

أعلى الصومعة....، أجاب قاضي التحقيق عن سبب استعمال المنشار بدل الخنجر الحاد أو الرصاص بأن الطاغون أو أحد أعوانه إذا أحس بدرجة الألم القصوى ضوعفت حسنات قاتله"¹.

عنف اللغة في هذا المشهد الأخير تجسدت في جملة تراكيب: "خرقوا قلبه-رصاصات- خروا بمنشار رقبتة، إضافة إلى المفردات التالية: الخنجر-الرصاص-الطاغون-الألم...." إضافة إلى أن هنالك مقاطع كثيرة تصور وتعبر عن موقف البطل من الجماعة المسلحة، أو كما يصفهم الكريم بالوحوش فمن شدة بشاعتهم، عجز كريم عن وصفهم، وهذا المقطع يوضح ذلك: "لا أجد وصفا لقتلة عمر"².

فهذا الوحش غدار ويحسن الإمساك بفريسته فهو يتربص بها ليسفك دمها: يقول: "في زاوية ما من شارع أو في مقبرة أو داخل مقهى أو مطعم يكز أسنانه ليجتث من صدرك القلب يحمله في كفه عربون امتثال"³، "تجذبه رائحة دمك"⁴.

إن التراكيب الآتية تبين لنا عنف اللغة، والتي تمثلت في المقاطع التالية: "رائحة دمك- يكز أسنانه، يجتث من صدرك القلب....."

جاء المفردات والتراكيب السالفة الذكر في جميع المقاطع لتؤكد أن الكتابة في هذه الحالة هي وسيلة لفضح العنف وإدانتته، واتخاذ موقف معادله، أي مقاومة العنف.

3-6- الشرب (الخمرة)/ الجنس (المرأة) كمقاومة للخوف:

يحاول كريم الهروب من واقع لا يريده، فيغرق في الشرب-الخمرة-لنسيان ألمه ومعاناته، حيث يراه ملاذ له، يحقق له الراحة والنسيان، يتضح ذلك في هذا المقطع: "أحس كريم أنه

¹-المصدر السابق، ص 92.

²-المصدر نفسه، ص 57.

³-المصدر نفسه، ص 117،

⁴-المصدر نفسه، ص 117.

الفصل الثاني:.....سردية الخوف وآلية المقاومة

أشرف بينها، وهو يتلذذ جرعة أخرى من معتقات أقبية تيغيف منوها أنه صار في مقدوره أن يفترق جدران الخرسانة من حوله"¹.

كذلك يقول: "لذلك شرب حتى تقياً، ثم سخط بدد أوراقه وركل المسجلة، وقذف المحفظة من النافذة إلى القمامة"².

فهو يحب شرب الخمر ويراه بأنه ضرورة يقتضيها هذا الزمن الفاجع، حيث يقول: "ولا تظنن ذلك مني بمفعول النبيذ، مهما يكن فإن بعض المحرم تجوزه الضرورة"³.

كما لجأ إلى النبيذ عندما سمع خبر اغتيال رئيس الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان رميا بالرصاص في مكتبه، يقول السارد: "قصب كأس نبيذ بدل القهوة ثانية، على خبر ثان: وقد أعلنت وكالة الأنباء الجزائرية أنه تم اليوم اغتيال رئيس الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان رميا بالرصاص في مكتبه بمسدسات كاتمة"⁴.

الشرب-الخمر- هو الذي يجعل كريم في حالة حسنة، وبعض المشاهد التي تمر بذاكرته، وتعصف بروحه، وتجعله حبيس لحظة الفاجعة التي مست الجميع، حتى في مناسباتهم الدينية التي كان لها نصيب من الخوف والألم، يقول:

" ثم عب جرعة أصغر، عاصرا عينيه لفريقها أنا أهذي؟ يدقنا الذي باغته في بيته يوم عيد الأضحى كبلوه، وأمام أطفاله نحروه، ثم بصقوا في دمه"⁵.

فالشرب سبيله الوحيد، ووسيلته للانبطاس، يقول:

¹-المصدر السابق، ص41.

²-المصدر نفسه، ص 51.

³-المصدر نفسه، ص 54.

⁴-المصدر نفسه، ص 181.

⁵--المصدر نفسه، ص 194.

الفصل الثاني:.....سردية الخوف وآلية المقاومة

"وعب من قم الزجاجة البوخة، ذات الثمن ...برغم أنني انبسط قليلا كلما تذكرت اللحظة التي قررت فيها الرحيل، لا أنسى الريح التي قادت شراعي كنت انا موجهها من يتعقبون فينا دما خلقوا وكأنهم مغسولون من مشاعر الإنسان"¹.

وفي سوق تونس المركزية، رأى خليط السمك التونسي فجاءت في ذاكرته صورة عمر الذي يحب تناول هذه الأكلة مع النبيذ الأبيض، يقول: "عمر كان يستمتع عن تناول السمك التونسي بلا نبيذ أبيض"².

وأثناء تنقله في شوارع تونس والتقاءه بمجموعة من الصحفيين والكتاب، نذكر جلساته مع أصدقائه وسهراتهم الجميلة، نتزف وجعا وطلب شرابا، يقول السارد: "يبدو كريم كعرب مهيب، يطلب غالبا مشروبا كحوليا، في جو سرعان ما يصخب ويتلوث بدخان السجائر، مذاق بيرة نواس في وهران أشد مرارة، ولون نبيذ مرتفعات معسكر والمدية وتلمسان بلون دم الغزال، ما أذه مزيجا من الحموضة والعذوبة"³.

فالشرب أعاد كريم إلى أرض وطنه أين كان ينعم بالراحة والسكينة، وهذا كله قبل ان تدنسها أعمال الطغاة، ومصدر للنسيان وخلق الراحة ولو كانت مزيفة حيث يقول على لسان شاعر الخمرة أبو نواس*:

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها لو مستها حجر مسته سراء⁴

فالشاعر أبو نواس يصف في هذا البيت الخمر وكيفية تأثيره على شاربيه، حيث تبعث فيهم البهجة والسرور.

¹-المصدر السابق، ص 194.

²-المصدر نفسه، ص 162.

³-المصدر نفسه ص 161.

*أبو نواس أو الحسن بن هاني الحكمي الدمشقي، شاعر عربي من شعراء الدولة العباسية يكنى بأبي نواس والنواسي، عرف بشاعر الخمر، ولكنه تاب عما كان فيه، واتجه إلى الزهد وله من الأشعار ما يثبت ذلك، توفي عام (199هـ-813م).

⁴-الحبيب السائح، تماسخت...دم النسيان ص 70.

الفصل الثاني:.....سردية الخوف وآلية المقاومة

كما عاد كريم إلى أحد الأدباء المعروفين لتأكيد على موضوع الخمر واعتباره شيء نافع، يخلص الإنسان من همومه ومخاوفه، وهو القيرواني، الذي وظف مقطع من كتابه، بقوله فيه: "قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمر، كأن روحينا حدث عصر صاحب مصنف المختار من قطب السرور في أصناف الأنبذة والخمر"¹.

هكذا يعطي البطل كريم لنفسه أحقية شرب الخمر لأنه ملاذه الوحيد، ودوائه في جراح الحاضر الآسي، لذلك نجد الخمر يتخلل مختلف مواقع الرواية، فهو يتحدث عن الخمر ويصفه كمنسي للهموم بل ويعطينا حتى أوقات شربه حسب تسمياته، حيث يقول على لسان القيرواني*: "سميت راقا لأن صاحبها يرتاح إذا شربها، وقبل للاستراحة من الهموم والأحزان، ومن أوانيها الكأس، ولا تسمى كأسا حتى يكون فيها شراب، ومن أوقات شربها الغبوث: شرب العشية والحاشرية، شراب آخر الليل وقبل الصبح"².

فالخمر وليالي السهر كانت تحمل البطل إلى واقع غير واقعه الدموي وتجعله في لحظة ملأها السعادة.

إلى جانب الخمر، لجأ كريم إلى الجنس -معاشرة النساء- لينسى خوفه، ويتضح ذلك في قوله: "النبذ آخر ما يفضل لطاقتنا المهترئة بالجنس والطعام أن تتحملة"³.

"كان أخذها أول مرة شعر أنها لا تمتلك ذراعين، وأن جسدها من تحته أو فوقه ليس بالكثافة التي تلبى مطلق الرغبة، لم أشعر من قبل أن للمرأة رائحة الفريسة"⁴.

¹-المصدر السابق، ص 69.

*القيرواني: هو أبي علي الحسين بن رشيق القيرواني، أديب وناقد وشاعر ولد عام 390هـ، بمدينة المسيلة بالمحمدية بتونس: درس النحو والشعر والفقه والعروض، من مؤلفاته: العدن في محاسن الشعر وتعه وآدابه، توفي سنة 456هـ.

²-الحبيب السائح، تماسخت...دم النسيان ص 70.

³-المصدر نفسه، ص 41.

⁴-المصدر نفسه، ص 90.

الفصل الثاني :.....سردية الخوف وآلية المقاومة

و في مساء كئيب أحس كريم بصلابة خرسانة الخوف في قلبه فشرب نبیذا لكنه لم يشعر بارتخاء عصب واحد في جسده، ففزع إلى امرأة ترتدي جلبابا أسودا وأقنعها بالبقاء عنده هذه الليلة، يقول أحد معارفه: "أي قوة استخدمتها معها لتبقى معك ليلة كاملة؟ الويسكي شراب الملوك فعلا سقتك ومارست فيك غراما حد الانتشاء، نحبك برغم رعونتك، وتعتبرها أنت مثلن جميعا لأنها تقيم معك علاقة غير طبيعية"¹.

يلتقي كريم بشهلة صدفة في مناسبة ما يشاهدان وقع المفرقات في حي البارود من نافذة المنزل، فانتابه حنين فاجع إلى وطنه، ووخز جسمه بإبرة خوف، كان لابد من الخلاص من مفعولها فأغلق النافذة وضغط على شهلة: "ضغط شهلة ضد الحائط ملفوقا بحرارتها المعطرة بحس نبضات قلبها في صدره، مرسلًا شفثيه فراشتين من نار على شفثيها على عنقها وما بين نهديها، فضربته براحتيها خفيفا حيثما اتفق، كما يعبث طفلان، وصفقته على يده الموغلتين في منطقتها الحساسة، لا تقاوم لهيب رغبتها، فطوقها ودار بها فرماها على السرير"².

كما نذكر كريم وهو في كافيتيريا الفندق عائلته وشده حنين لهم وخوف عليهم من مخالب الوحش، وهو جالس مع امرأة تبين له أنها من أسرة أميرية في وقت متأخر، يقول:

"ساعة واحدة على قهوة كافيتيريا الفندق كانت كافية لأن يبتلعنا السرير، افترسني قبل أن تفرعني، في اليوم الموالي فقط تبينت له من أسرة أميرية...بعد أن عبث بأعضاء جسدها الحساسة التي تحركت بغنج مثل موصوفات المشببين الجاهلين"³.

كما يستحضر السارد ببعض الأبيات الشعرية التي توجي إلى عاطفة الحب والهوى، والتي غرضها الغزل بالمرأة وإعجابه الشديد بها، يقول على لسان الشاعر:

¹-المصدر السابق، ص 193.

²-المصدر نفسه، ص 179.

³-المصدر نفسه ، ص 96-97.

الفصل الثاني: سردية الخوف وآلية المقاومة

إِذَا جِئْتَ فَاْمْنَحْ طَرَفَ عَيْنِيْكَ غَيْرَهَا
لِيْ يَحْسِبُوْا اَنْ اَلْهُوْىَ حَيْثُ تَنْظُرُ¹

الفصل الثاني:.....سردية الخوف وآلية المقاومة

فقد رفض أن يكون ضحية هذا الواقع المتدني: "أبدا ولن استسلم لأن أكون ضحية أو أهرب من مواجهته، أني أحسم نفسي في خصم شراسته، ومن ثمة أنا أقاوم بقدر ما أملكه: كلماتي ونزاهتي الأخلاقية تجاه الحقيقة"¹.

سعى إلى الهروب خارج الوطن، الذي وجد بداخله قيودا تكبله وتمنع حركته داخل ما سمي بالوطن العربي، ليجد نفسه قد انفرط في اللهو والعبث في حانات الرباط وتونس يقول السارد: "تحضر مغلولات ببؤسك فلا يظهر عليك إلا فرح أشهب طالما أصاب كريم باشمئزاز من كل ما هو لذة، تأكل الموز ونشرب النبيذ أحيانا فلا نجد الحرارة رسولا لها"².

وبعد عجزه عن مواجهة خوفه، يعود البطل كريم إلى وطنه خائبا، وهو لم يغير في واقعه شيء، يقول: "أمس كالיום واليوم كغد وغد كبعد غد"³، فالأوقات عنده واحدة سواء في وطنه أو في بلاد القربة، لأن الإحساس بالبأس والخيبة هو الرابط بينها، وهذا ما يؤكد قوله: "قبل أن تعيده خيبة النهار"⁴.

فقد يأس من الوضع الفاجع واستسلم لخوفه واعترف بعدم قدرته على المقاومة، يقول كريم على لسان النفري*:

"وقال لي أقعد في ثقب الإبرة ولا تبرح، وإذا دخل الخيط في الإبرة فلا تمسكه، وإذا خرج فلا تمدّه، وافرح فإنني لا أحب إلا الفرحان"⁵.

¹-المصدر السابق، ص 98.

²-المصدر نفسه، ص 90.

³-المصدر نفسه، ص 128.

⁴- المصدر نفسه، ص 78.

هو محمد بن عبد الجبار بن حسن النفري: كان من كبار الصوفية، من أشهر كتبه (المواقف والمخاطبات)، من فرطه* تواضعه لم يكتب ما كان يقول: إنما كان يؤلف كتابه شفها لميرير له، ويكتفي بذلك، من أشهر ما ذكر عنه أنه قال: كلما اتسعت الرؤيا ضاقت العبارة

⁵-الحبيب السائح، تماسخت...دم النسيان، ص 117.

الفصل الثاني:.....سردية الخوف وآلية المقاومة

صدق الفقري، أينما كنت أو أياں صرت فيغير صباحك أو مساءك نحن للموت مبرمجون¹.

كما وظف البطل أغنية شعبية ليعبر عن عجزه وعدم مقاومته للوضع المأزوم الذي آلت إليه البلاد بسبب الإرهاب الأعمى، فترة العشرية السوداء فهي تمثل صدى حقيقي للذات تستقرأ عذاباتها وانكساراتها المريرة، نحن وطأة الاستبداد والقهر من خلال ما تثبته كلماتها أحزان وهموم إزاء الراهن الفاجع، يقول فيها:

أما الدنيا وأهلها في...	"الصمم لله والجوع إلى ربي
واللي صندوقه بالفلوس معبي	الشيخ الهدوف واللي بماله
والناس الغنيا كسبهم...	التاجر والفلاح والوصالة
والقسم مسوقر في كفالة ربي. ²	الموت مرة بركة يا صاغيني

من خلال ما جاء من مباحث نستخلص ما يلي:

- الخوف حالة نفسية لحقت بالبطل كريم، في فترة العشرية السوداء وسيطرت عليه، وأصبحت حالة هستيرية وشبح يكتم أنفاسه.
- الذاكرة السمعية والبصرية التي كان كريم شاهدا عليها، أدت إلى تراكمات لا متناهية من حالة الخوف.
- أحدث هذا الخوف تغير جذري في حياة كريم وقيمه وإيديولوجياته وأول تغيير طرأ في حياته، تمثل في تغير نظرتة إلى مهنة الصحافة، للثورة الجماهيرية.

¹-الحبيب السائح ، تماسخت...دم النسيان ، ص 117.

²-المصدر نفسه، ص:195.

الفصل الثاني:.....سردية الخوف وآلية المقاومة

• كان من أساليب مقاومة البطل لخوفه لجوئه إلى:

-إعطاء صورة موحشة عن الجماعة المسلحة وتمثيلها بالوحش وابن آوى، لأنها كانت تمارس أبشع عمليات القتل والتتكيل، ومحاولة الكشف عن وعيها الزائف والوقوف أمام دسائسها.

-كما عاد إلى الماضي البعيد وحاول البحث عن مثل هذه الظاهرة في التاريخ العربي الإسلامي ومعرفة كيفية مواجهته والقضاء عليه.

-ظهور الحنين إلى الوطن والذكريات الجميلة التي تنسي مرارة الواقع وهمجيته، بالاعتماد على الاسترجاع في كثير من المواقع، فالذكرى تولد ارتباط جذري بالوطن، فالوطن هو الماضي والماضي هو الإنسان.

-وقد كان للكتابة حضور بارز في أساليب مقاومة البطل لحالة خوفه الهستيرية، فهي أدوات التي يعبر بها عن حزنه وفرحه، والتي يحاول من خلالها تعبير واقعه المرير.

-وقد تميزت هذه الكتابة بعنف لغتها لأن الوضع هو من ألزم عليه هذا النمط من الكتابة العنيفة.

-المرارة التي تجرعها البطل، جعلت منه شخصية منهزمة، تلجأ إلى الحانات والشرب ومعاشرة النساء لنسيان خوف تجذر في أعماق النفس والتقى بعمودها الفقر محدثا جرحا عميقا، فالخمر والنساء كانا بمثابة مقاومة لحالة تخويف يزدادا ضغطها بتزايد حالات القتل.

-رغم كل هذه المحاولات لمقاومة الخوف يعجز كريم عن نسيان خوفه، الذي يدفعه في النهاية للانتحار من أجل وضع حد لهذه الحالة الهستيرية، التي رافقته خارج الوطن وداخله.



خاتمة



الخاتمة

وصلنا إلى توقيع صفحة النهاية بعد أن كنا في أولى صفحاتها ،وحاولنا أن نتوج خطته أقلامنا في متن بحثنا بأن نعطي ثمرة موجزة عن تجلي دال الخوف في رواية "تماسخت... دم النسيان".

وقبل صياغة النتائج المترتبة عن هذا البحث نود أن نخبر القارئ بأننا نخطئ ونصيب، شأننا شأن كل بحث فلكل جواد كبوة ولكل باحث عثرة وثغرة.

عالجت روايتنا المختارة فترة حرجة من تاريخ الجزائر الدموي راح ضحيتها الوطن وغرق فيه المواطن في سراديب الخوف والفرع ليظهر ممسوخ الروح متشطي الذات عاجز عن مواصلة حياته منطوي على نفسه ،مسترجعا لمشاهد مروعة من القتل والتكيل ،معبرا عليه بدال الخوف وألفاظ تحمل معاني الرعب والفرع .

من النتائج التي خلص إليها بحثنا: نذكر

- 1-الرواية جنس أدبي ووسيلة مناسبة للتعبير عن الحياة المعاصرة وبخاصة إذا كانت هذه الأخيرة متأزمة ذات تفاصيل معقدة وغامضة.
- 2- ترتبط الرواية بمرجعيتها التاريخية وسياقاتها الاجتماعية والثقافية لتعكس واقع معيشي.
- 3- عالجت الرواية التسعينية وضعا عنيفا ومتأزما عاشه الوطن والمواطن .
- 4- كان هاجس الخوف من أهم تمخضات الأزمة .
- 5- إنتقل الخوف من حالته الطبيعية إلى الحالة الرهابية نتيجة الوضع التخويفي السائد .
- 6- يظهر الخوف كقوة دافعة للمتن الروائي وبقية البني السردية .
- 7- من خلال حركة شخصيات وأقوالها يظهر خطاب الخوف المسيطر على ذاتها.

خاتمة

- 8- أدت شخصية البطل دورا فعالا في تحريك أحداث الرواية ودفعها الى بؤرة التأزم، من خلال تجسيدها لهاجس الخوف الذي سيطر على حركتها وغير من قناعتها.
- 9- يلعب المكان دورا هاما في منح الرواية عالمها الخاص من جهة وإعطاء صورة عن الخوف الذي تجلى عبره من جهة أخرى.
- 10- منح الزمن التسعيني وما يحمله من مواقع ،طابع مأساوي لشخصية البطل.
- 11- مكنت المفارقات الزمنية من الرجوع إلى الماضي واستحضاره تخليدا لذكراه، والإقبال على المستقبل واستشرافه لنسيان مرارة الحاضر.
- 12- استخدمت اللغة العنيفة تماشيا والوضع السائد الذي عم فيه القتل والتعذيب والتكيل.
- 13- استحضر الروائي إلى جانب اللغة الفصيحة التعبير الأدبي الشعبي ، ليؤكد على واقعية الظاهرة المطروحة، وإضفاء اللمسة النوعية.
- 14- إنقلاب الذات ورغبتها في التغلب على هاجس الخوف دفعها للبحث عن آليات لمقاومة هذه المخاوف
- 15- كان من أهم آليات مقاومة الذات للخوف :
 - إعطاء صورة عن مخفيها .
 - التأصيل لهذه الحالة النفسية الرهابية .
 - الحنين ولجوء إلى كتابة عنيفة تبدد حالة الخوف .
 - اللجوء إلى الشرب والجنس لنسيان المخاوف.
 - وضع حد لحالة الخوف والخلاص النهائي منه .

خاتمة

***كانت "تماسخت. ..دم النسيان" حاملة لخطاب الخوف في إطارها الشكلي والمضموني، ومجسدة لتجلياته في بعدها المكاني والإنساني .



ثَبَّتَ الْمَصَادِرَ الْمُرَاجِعَ



المصادر

رواية "تماسخت ... دم النسيان" لـ الحبيب السايح

المراجع

1. السعيد بوطاجين، السرد ووهم المرجع، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2005،
2. أمنة يوسف، تقنيات السرد بين النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 2015.
3. عبد الرحيم محمد عبد الرحيم، دراسات في الرواية العربية، دار الحقيقة للإعلام الدولي، ط1، 1990.
4. حميد لحميداني، النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2000.
5. حميد لحميداني، النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2000.
6. عبد القادر أبو شريفة، حسين لاقى قزق، مدخل الى تحليل النص الأدبي، دار الفكر، عمان - الأردن، ط4، 2008.
7. علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية الى القراءة " مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2000.
8. نبيل حمود الشاهد، بنية السرد في القصة القصيرة، سليمان فياض نموذجاً، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، 2016.
9. إبراهيم وجيه محمود، مدخل إلى علم النفس، دار المعارف، القاهرة، 1970.
10. إبراهيم وجيه محمود، مدخل إلى علم النفس، دار المعارف، القاهرة، 1980.

ثبت المصادر والمراجع

11. ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، المجلد 2، 2003، ط7، 2003، ص414.
12. أحمد محمد عبد الخالق، أسس علم النفس، دار المعرفة الجامعية، ط3، 2000.
13. أحمد محمد عبد الخالق، أسس علم النفس، دار المعرفة الجامعية، ط3، 2000.
14. أحمد مداس، لسانيات النص " نحو منهج لتحليل الخطاب لشعري"، جدار للكتاب العالمي، عمان الأردن، عالم الكب الحديث أريد- الأردن، دط، 2007، ص 11.
15. أسعد رزق، موسوعة علم النفس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1987.
16. إلياس خوري، باب الشمس، دار الآداب، لبنان، ط6، 2000.
17. ام الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دراسة سوسيو نقدية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2013.
18. بلعدي حبيبة، شعرية العتبات في ديوان " أسفار الملائكة لغز الدين ميهوبي"، مركز الكتب الأكاديمي، 2016.
19. حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، مج4، 2018.
20. حيدر حيدر، مرايا النار، دار ورد للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط3، 2000.
21. رزاق إبراهيم حسن، المدينة في القصة العراقية القصيرة، الموسوعة الصغيرة 143، دار الحرية لطباعة، بغداد، العراق، 1984.
22. سلمان كاصد، عالم النص " دراسة بنيوية في الأساليب السردية"، دار الكندي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2003.

ثبت المصادر والمراجع

23. صالح بن حميد وعبد الرحمان بن ملح، موسوعة ثغرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، 1998، ط1، ج1،
24. صدوق نور الدين، البداية في النص الروائي، دار الحوار للنشر والتوزيع سورية، ط1، 1994،
25. صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1997
26. عبد الرحمان الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، دار النفائس، مصر، القاهرة، 1902
27. عبد العزيز الفوصي، أنس الصحة النفسية، النهضة المصرية، القاهرة
28. عبد العزيز الفوصي، أنس الصحة النفسية، النهضة المصرية، القاهرة، ص329.
29. عبد المجيد نوسبي، التحليلي السيميائي للخطاب الروائي، " البنيات الخطابية، التركيب والدلالة"، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2002
30. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 1998،
31. عبيد الديحات، النظرية النقدية الغربية (من أفلاطون إلى بوكاشيو)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 2007،
32. علل شنقوقة، المتخيل والسلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2000،
33. فؤاد إبراهيم صناعة الخوف: الأبعاد الاجتماعية والسياسية والدينية، دار الملتقى، ط1، 2009
34. كلود عبيد، الألوان " دورها - تصنيفها - مصادرها - رمزياتها - دلالتها"، مراد محمد حمود، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت، ط1، 2013،

ثبت المصادر والمراجع

35. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، د.ط، 1997
36. منصور حسين، محمد مصطفى زيدان، الطفل والمراهق، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1998
37. منير الحافظ، سوسولوجيا الرهبة، الأنا القومية وأنماط ثقافة الخوف، المايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2013.
38. نبيل راغب، موسوعة الفكر الأدبي، دار راغب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ط، 2002،

الكتب المترجمة

1. جيرالد برانس، قاموس السرديات، تر: السيد أمام، مريم للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2003،
2. لطفي الشريبي، معجم مصطلحات الطب النفسي، تر: عادل صادق، مركز تعريب علوم الصحة.
3. دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2015.
4. آرثر بيل، الفوبيا، الخوف المرضي من الأشياء وكيفية التغلب عليها، تر: عبد الحكم الخزامي، دار الأكاديمية للعلوم، ط1، 2011
5. آرثر بيل، الفوبيا، الخوف المرضي من الأشياء وكيفية التغلب عليها، تر: عبد الحكم الخزامي، دار الأكاديمية للعلوم.
6. روي كاون، الأدب وصناعته، تر: جرا ابراهيم جرا، منشورات مكتبة منيمنة، بيروت، د.ط.
7. ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، جدار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1987.

المعاجم

1. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، باب الميم، مج14، دار صادر، بيروت، ط3، 2004
2. أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج1، دار القلم، دار الشامية، دمشق، بيروت، ط1، 2009
3. الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، مج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003
4. عبد الغني أبو العزم، معجم الغني، مج1، حرف خ، مؤسسة الغني للنشر.

ملتقيات

1. إبراهيم سعيدي، تسعينيات الجزائر كنص سردي، المتلقي الدولي السادس عبد الحميد بن هدوقة للرواية، أعمال وبحوث مجموعة محاضرات المتلقي الدولي السادس،
2. إبراهيم سعيدي، تسعينيات الجزائر كنص سردي، المتلقي الدولي السادس عبد الحميد بن هدوقة للرواية، أعمال وبحوث مجموعة محاضرات المتلقي الدولي السادس

المذكرات

1. بدوهن سلمى، بلجنان نوال، فنيان وتقنيات القصة القصيرة وخصائصها عند أحمد رضا حوحو "نماذج بشرية"، مذكرة ماستر، جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2014-2015،
2. حبيبة حجاج، مليكة أوكسل، صورة الموت في رواية الأزمة الجزائرية "رواية الحلاج وزغاريد الدماء" لمحفوظ كحوال، مذكرة ماستر، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، كلية الآداب واللغات، 2016-

ثبت المصادر والمراجع

3. حبيبة حجاج، مليكة أوكسل، صورة الموت في رواية الأزمة الجزائرية "رواية الحلاج وزغاريد الدماء" لمحفوظ كحوال، مذكرة ماستر، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، كلية الآداب واللغات، 2016-2017
4. رانية عزاب، نجاح تلاقت، صورة المثقف في الرواية الجزائرية المعاصرة " رواية تماسخت للحبيب السائح أنموذجاً"، مذكرة ماستر، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2016-2017
5. رحالي فاطمة جلييلة، مقارنة نفسية علاجية عبر الأنترنت للخوف المرضي البسيط، رسالة دكتوراه في علم النفس الإكلينيكي، جامعة محمد بن أحمد، كلية العلوم الاجتماعية، 2014-
6. رنيم موسى شعبان، دلالة الألوان في الرواية النسوية الفلسطينية دراسة تحليلية إحصائية، مذكرة ماستر، جامعة الأزهر، غزة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2016-2017
7. زهرة شهبر، نورة مهود، صورة المجتمع في روايات العشرية السوداء روايتي "القلاع المتآكلة" لمحمد ساري و"بماذا تحلم الذئاب" لياسمينه خضرا، مذكرة ماستر، جامعة الجبلاني بونعامة، خميس مليانة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2015-
8. سمية بن حوشن، بنية الشكل الروائي في رواية " مواكب الأحرار" لنجيب كيلاني، مذكرة ماستر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة
9. سميحة بن نوي، آليات تحليل الخطاب الشعري، من منظور سيميائي عند محمد مفتاح "كتابه تحليل الخطاب الشعري" إستراتيجية التناص نموذجاً، مذكرة ماستر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، كلية اللغة والأدب العربي، قسم اللغة والآداب، 2015-2016
10. ضياء غني لفقة العبودي، البنية السردية في شعر الصعاليك، أطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية التربية، فلسفة في اللغة العربية وآدابها، 2006، ص 61.
11. عبد الله محمد الرقيب، النسيج اللغوي في روايات الطاهر وطار أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، 2006

ثبت المصادر والمراجع

12. منبر بهار العتيبي، البنية الزمكانية في روايات وليد الرقيب "دراسة وصفية تحليلية"،
مذكرة ماستر، جامعة الشرف الأوسط، كلية الآداب والعلوم قسم اللغة العربية وآدابها،
2014-2015
13. مها حسن يوسف عوض الله النصراوي، الزمن في الرواية العربية (1960-
2000)، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 2002.
14. هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكندي للنشر
والتوزيع عمان، الأردن، ط1، 2004،
15. والأدب العربي، 2014-2015.
16. وقندول حبيبة، بوهالي حسية، ظاهرة الإرهاب في رواية " وطن من زجاج " ليا
سمينة نصر، مذكرة ماستر، جامعة عبد الرحمن ميرة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة
والأدب العربي، 2012-2013

المجلات

1. احمد بلقاسم جعفري، الأبعاد التاريخية في رواية "تلك المحبة" للحبيب السائح،
مجلة العاصمة، الجامعة الإفريقية أحمد دراية أدرار، الجزائر، المجلد9، 2017،
2. باقر جواد محمد رضا الزجاجي، ثنائية الاسترجاع والاستباق في البناء السردى لدى
الطيب الصالح، روايني " موسم الهجرة إلى الشمال - عرس الزين"، مجلة كلية التربية
الأساسية، جامعة أهل البيت، كلية الآداب، المجلد 19، العدد81.
3. جوادي هنية، التعدد اللغوي في رواية "فاجعة الليلة السابعة بعد الفنة" لواسيني
الأعرج، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية
والاجتماعية، العدد05، 2009
4. رمضان علي عبود، الزمن في قصص جمال نوري، مجلة آداب الفراهيدي، العدد
17، كانون الأول، 2013

ثبت المصادر والمراجع

5. زهير محمود عبيدات، تجليات الخوف في رواية بابونس، مجلة جامعة طبية، للآداب والعلوم الإنسانية، السنة السادسة، الأردن، العدد 12، 1437هـ.
6. فرحات بحري، السالم محمد خضر، بنية المكان في فحص (حراس المعبد) لحسن عبيد حسين، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، كلية التربية للعلوم الإنسانية، العدد 39، 2018
7. كلثوم مدقن، دلالة المكان في رواية موسم الهجرة الى الشمال" للطيب صالح الأثر - مجلة الآداب واللغات، جامعة ورقلة - الجزائر - العدد 4، ماي، 2005،
8. محمد العيد تاورته، تقنيات اللغة في مجال الرواية الأدبية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، كلية الآداب واللغات، العدد 21، 2004.
9. مرضية أباد، رسول بلاوي، دلالات الألوان في شعر يحي السماوي، اضاءات نقدية محكمة، السنة الثانية، العدد 8، 2012.
10. هشام محمد عبد الله، اشتغال الفنيات في رواية " من أنت الملاك"، دراسة في المسكون عنه، مجلة دياالي، كلية التربية، قسم اللغة العربية.

مؤتمرات

علي جعفر العلق، شعرية الخوف: قراءة في شعر يوسف الصائغ، مؤتمر فيلادلفيا الدولي الحادي عشر،

أحمد برقايوي، الإيديولوجيا والخوف، مؤتمر فيلادلفيا الدولي الحادي عشر، ثقافة الخوف،

المواقع

http://www.djazairss.com annasr.

عبد الحميد ختالة، المكان وأهميته في النصوص السردية، مجلة النصر 06-02-2017

الساعة 24:21، الموقع الإلكتروني: https://www.djazairzss.com/annasr/ 165553

محمد تحريشي، رحلة الكتابة - كتابة الرحلة نحو أفق كتابة مغربية، عبد الحميد بن

هدوقة، جامعة بشار، الموقع الإلكتروني: www.Benhedouga.com .

ثبت المصادر والمراجع

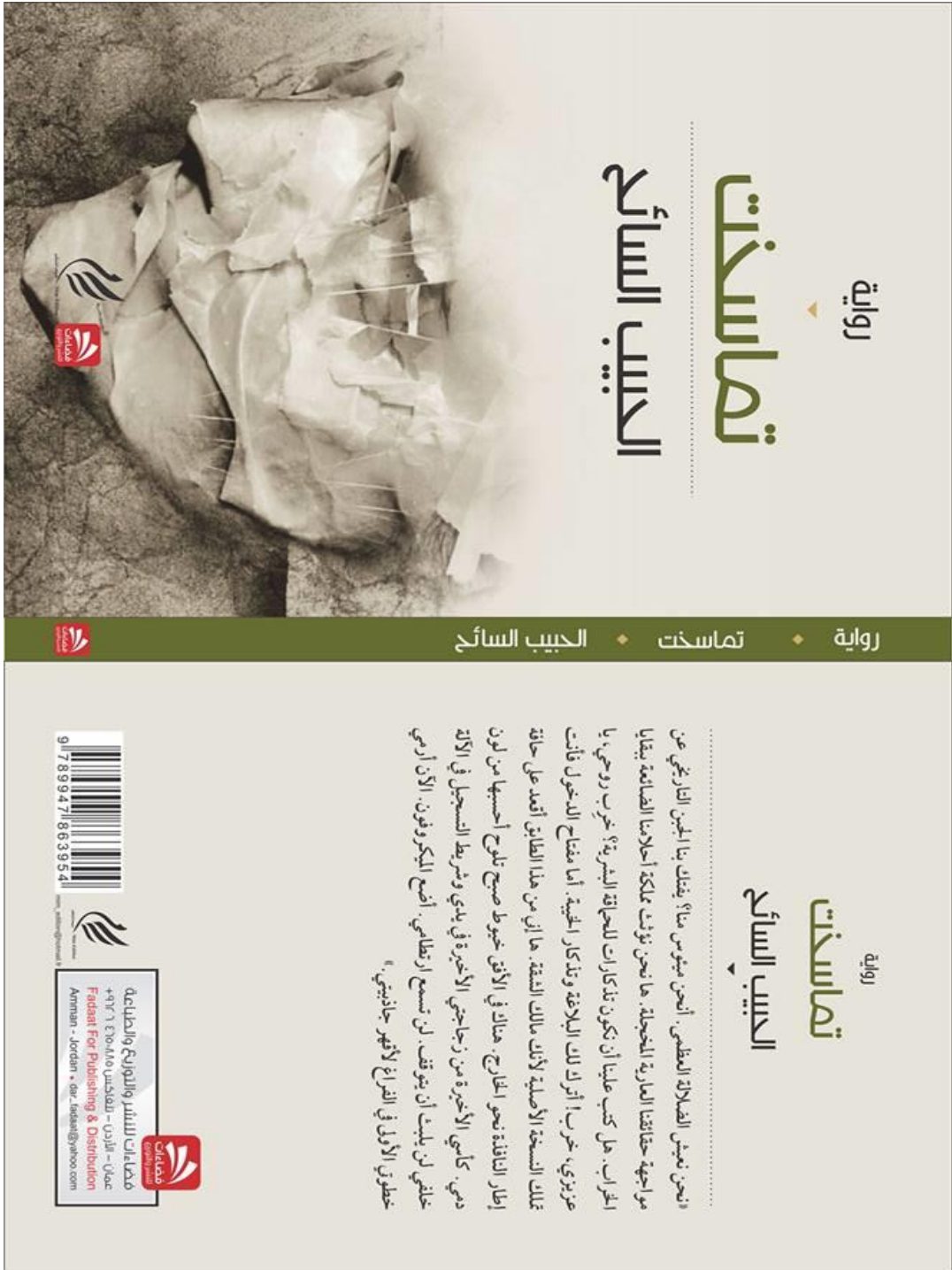
نواره لحرش، الروائي الحبيب السائح، جريدة النصر 12-09-2009م، الموقع الإلكتروني:

هادية الشاهد المسيهلي، الإرهاب يتمركزون في الأحياء الشعبية: مداهمان الشقق والأملأك المعدة للكراء، صحيفة الشروق التونسية، 19 فيفري 2014، الموقع الإلكتروني: [http://Archive. Alchrouk.Com](http://Archive.Alchrouk.Com)



ملاحق





ملخص الرواية:

تتخذ رواية "تماسخت...دم النسيان" من الواقع والتاريخ مرجعية أساسية لها، ففي إطار تطور أحداثها عبرت "تماسخت" عن أصعب فترة مرت بها الجزائر هي فترة العشرية السوداء، فهي متن مليء بالأحداث الدموية التي صورت أبشع صور العنف الجسدي والنفسي، الذي مارسه الجماعة المسلحة في حق النفوس البريئة التي ليس لها إثم سوى أن قدرها كتب لها العيش في هذه المحنة التي اغتصب الوطن والمواطن.

تحدث الرواية عن رحلة الصحفي كريم ابن مدينة وهران، الذي كان شاهدا على حقبة الدم التي مرت بها الجزائر، والتي استهدفت على وجه الخصوص النخبة المثقفة والعاملين في مهنة الصحافة، وقد كان أصدقاء كريم من بينهم، حيث تعرضوا للاغتيال بأبشع الطرق وأندل الوسائل.

هذا الوضع المأساوي يجبر كريم على الرحيل والهروب من الموت الذي أصبح يترصده ويعد له الخطوات نحو قبره، ويجبره على أن يتخلى عن مهنته في الصحافة، لأنها أصبحت مهنة الموت الرخيص، الذي استشرف عمر حقيقتها قبل اغتياله.

يختار كريم الذهاب إلى العاصمة هروبا من موته وخوفه الذي سيطر عليه في مدينة وهران، لكنه يتفا جي بوضع أكثر تأزما وحالة أمنية متدهورة أفرزتها الجماعة المسلحة، والتي كانت تبث الرعب والفرع في كل مكان. ليجد نفسه محاصرا بمخاوفه وذكرياته الأليمة التي تعذب روحه وتشتت كيانه، وتجرف معها صور ومشاهد مخيفة عن حالات الاغتيال الرهيبة.

دفعت هذه الذكريات الدموية ونداءات الموت التي كانت تحاصره وتحاول أخذ روحه الطاهرة، البطل كريم إلى مغادرة وطنه، كمحاولة لنسيان كل تلك الأحداث الرهيبة التي سمع عنها عبر الصحف.

كانت وجهته الأولى خارج تراب الوطن إلى المغرب الشقيق، حيث ركب القطار المتجه

ملاحق

الى الرباط، بعد ان عصف به شبح الألم والخوف في محتطها وبات مشدود الوجدان إلى ماضيه القريب.

يقف كريم في محطة الرباط وحيدا ينتظر صديقه الضاوي، فتسلل إلى نفسه شعور الغربة وأشتم ريحها التي أثارت في نفسها حنيناً عميقاً إلى الجزائر.

في الرباط تعرف كريم على أناس جدد وأصدقاء كثر كعبد الحميد وميلود وغيرهم، لكنه لم يجد الراحة النفسية التي خرج يبحث عنها، لأن الشعور بالوحدة والغربة لم يفارقه منذ اللحظة الأولى التي وقف بها في محطة الرباط.

فشد الرحال إلى تونس، حيث التقى بصديقه كمال في مطار قرطاج، وتعرف على مجموعة من الأصدقاء وأقام معهم علاقة حميمة، وأصبح كثير الالتقاء معهم، والخوض معهم في مواضيع مختلفة رغم كثرة الشخصيات من حوله إلا انه مازال يحس بالوحدة، ويرى نفسه غريباً عنهم، لأنه فعلاً ليس ابن تونس، بل هو ابن الجزائر المفجوعة في أرضها وأبنائها، فأحس بمرارة الانسحاب وسيطر عليه هاجس الرعب والخوف مكبلاً حركته، فلجأ إلى الشرب وارتداد الحانات ، ليفزع شيء من حزنه وخوفه في كأس الشرب.

ورغم كل محاولات النسيان والطرق المؤدية إليها، بفشل كريم في نسيان مخاوفه ولتخفيف عن نفسه لان صور الموت وإخباره لم تفارقه ولو للحظة، فيقرر العودة الى الجزائر والموت على ترابها لأنه أدرك إن الموت على صدر الوطن أهون من العيش بلا كرامة، فالوطن هو منبع الحنان ولا سبيل للعيش بعيداً عنه، لتظهر نفسية كريم، نفس مسكونة بهم عام يخص السواد الأعظم من بني قومه، حيث ترجم جزء من المعاناة التي عاشها المواطن الجزائري في فترة العشرية السوداء.

يقدم كريم في نهاية الرواية ورحلته نحو النسيان إلى وضع حد لحياته بالانتحار داخل غرفة، لأنه عجز عن تغيير واقعه، ولم يستطع أن ينسى مخاوفه وذاكراته الأليمة، سواء في وطنه الجزائر، أو خارجه.

ملاحق

هكذا كانت "تماسخت" رحلة لذات مشتتة باحثه عن ميناء سلام، في زمن التسعينيات،
ورحلة المخاض لفاجعة الخوف والمهانة، فما أقسى أن يكون الإنسان شاهداً على نهايته،
نهاية إنسان بكل آماله وأحلامه وطموحاته إنها الفاجعة الكبرى.

الملحق الاول:

- قراءة تحليلية للرواية موضوع البحث.
- رواية "تماسخت...دم النسيان".
- للكاتب والروائي الجزائري: الحبيب السايح.
- سنة اصدار الطبعة الاولى: سنة 2016.
- فضاءات للنشر والتوزيع، الأردن/ دار ميم للنشر والتوزيع، الجزائر.
- رواية من الحجم المتوسط تحتوي على 211 صفحة.



الملحق الثاني:

* نبذة عن حياة الحبيب السائح:

الحبيب السائح كاتب جزائري، من مواليد 1950م، بمنطقة سيدس عيسى ولاية معسكر، نشأ في مدينة سعيدة، تخرج من جامعة وهران، اشتغل بالتدريس وساهم في الصحافة الجزائرية والعربية، تحصل على جائزة الرواية الجزائرية عام 2003، متفرغ للكتابة.

* أعماله الروائية المنشورة:

- زمن النمرود: رواية الجزائر 1985.
 - ذلك الحنين: رواية الجزائر 1997.
 - تلك المحبة: رواية الجزائر 2003.
 - مدنيون لون دمهم في كفي: رواية دار الحكمة الجزائر 2009م.
 - كولونيل الزيرير: رواية دار الساقى، الجزائر 2015م.
 - الموت في وهران، الجزائر، الطبعة الأولى، 2016م.
 - تماسخت... دم النسيان، رواية، الجزائر الطبعة الأولى 2016م.
- * أعماله الروائية المترجمة:

2013. Un Amour de papion - ذلك الحنين، دار القصة، الجزائر.

Tamassikht - تماسخت، دار القصة، الجزائر 2003.

Cet amour-la - تلك المحبة: دار الحكمة، الجزائر 2012.

- مدنيون لون دمهم في كفي: رواية دار الحكمة الجزائر 2014.

-encore le Sang de coupables sur ma main.



فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات

أ	مقدمة
	المدخل: الخوف (المفهوم والمصطلح)
13	1- ماهية الخوف:
13	1-1- المدلول اللغوي للخوف.
14	1-2- الخوف في القرآن الكريم والسنة النبوية.
16	1-3- الخوف في النقد النفسي.
18	1-4- المدلول الاصطلاحي للخوف.
19	2- ثقافة الخوف وتجلياتها.
25	3- أشكال الخوف:
26	3-1- الخوف الطبيعي.
27	3-2- الخوف المرضي "الفوبيا"
36	4- أبعاد صناعة الخوف
32	4-1- البيئة الثقافية للخوف:
33	4-2- البيئة الاجتماعية للتنشئة الرهابية:
34	4-3- البيئة الدينية للتنشئة الرهابية "لاهوت الخوف":
35	4-4- البيئة السياسية للتنشئة الرهابية:
	الفصل الأول: تجليات خطاب الخوف في البنية السردية

فهرس الموضوعات

41	1- دلالة العنوان:
47	2- دلالات الغلاف والصورة:
47	2-1- الغلاف الخارجي:
49	2-2- صورة الغلاف:
51	2-3_ الغلاف الخلفي:
52	3- تجليات خطاب الخوف عبر الشخصيات:
52	3-1- تعريف الشخصية:
53	3-2- أنواع الشخصيات:
54	أ- الشخصية الرئيسية:
55	أ-1- شخصية كريم:
58	أ-2- الجماعة المسلحة:
63	ب- الشخصيات الثانوية:
70	4- تجليات خطاب الخوف عبر المكان:
70	4-1- تعريف المكان:
72	4_2_ أنواع الأماكن في الرواية:
72	4-2-1- الأماكن المفتوحة:
73	أ- مدينة وهران:
76	ب- مدينة الجزائر:
78	ج- دولة المغرب:

فهرس الموضوعات

80	د_ دولة تونس:
81	4-2-2_ الأماكن المغلقة:
82	أ_ الغرفة:
84	ب- محطة القطار:
87	5_ تجليات خطاب الخوف عبر الزمن:
87	5-1- تعريف الزمن:
89	5-2- المفارقات الزمنية:
90	5-2-1- الاسترجاع Anapleps اشتغال الذاكرة:
97	5-2-2- تقنية الاستباق Proleps اشتغال التخيل:
104	6-التعدد اللغوي/ تعدد اللهجات
105	6-1- لغة القرآن الكريم:
107	6-2- لغة تاريخ :
109	6-3- أشكال التعبير الأدبي الشفوي:
109	أ- الأغنية الشعبية
111	ب- الصيغ العامية للهجات:
الفصل الثاني: سردية الخوف وآلية المقاومة	
117	1- صورة الخوف
122	2- الخوف والتحول
127	3- الخوف وآلية المقاومة
127	3-1- صورة الآخر

فهرس الموضوعات

130	3-2-التأصيل للعنف
134	3-3-الحنين كمقاومة للخوف
136	3-4-فعل الكتابة ومقاومة للخوف
138	3-5-عنف اللغة كمقاومة للخوف
140	3-6- الشرب (الخمير) ،الجنس(المرأة) كمقاومة للخوف
145	3-7-الخلاص من الخوف
150	الخاتمة
154	ثبت المصادر المراجع
164	ملاحق

الملخص:

يقول الحبيب السائح: "إنني عرفت الخوف لعل ذلك ما جعلني مرة أخرى أقدر على تسيير وعيي فلا أفقد وعيي الذي بفضلته استطعت أن أمنح نفسي الكثير من الصبر عللا استعاب جزء من صورة مشهد المحنة" هذا ما كانت رواية "تماسخت...دم النسيان" محملة به ، ناقلة لحيثياته بشكل جريء وبصيغة بارودية قائمة على المفارقة اللفظية التي جعلت المسار السردى متواطئا مع الجو المأساوي.

الكلمات المفتاحية: السردية-الخوف-الرواية-الشخصية-المقاومة.

Summary

«I knew fear ; perhaps that made me once again, able to manage my anger, so i would lose my consciousness, which i was able to give myself a lot of patience to absorb a part of the ordeal scene, that what was the story of « TAMMSHKHT...THE BLOOD » of forgetting loaded with it ,conveying to its rationalities in a bold and based on the verbal paradox that made the narrative path complicated with the tragic atmosphere.

key words: Fear- novel- character- resistance.